فريد ريك نيتشه

ما وراء الخير والشر

(مختارات)

ترجمة: د. محمد عضيمة

ما وراء الخير والشر

(مختارات)

فريد ريك نيتشه

ما وراء الخير والشر
(مختارات)

ترجمة: د. محمد عضيمة



الإهداء

الى الصديق اليابانى المستعرب الاستاذ نوبواكى نوتاهارا الذى ساهم فى إنجاز هذا المشروع بما أتاحه لى من الوقت والظروف الملائمة، وبما قدّمه من رعاية أخوية وتشجيع أثناء إقامتى فى اليابان.

المترجم

تنويه

تجدر الإشارة الى أننى اخترتُ هذه النصوص من ثلاثة كتب هى:

١ ــ إنسانى، إنسانى جداً

٢ ــ المعرفة الناجحة Legai Sauaiz



-١-

كيمياء الأفكار والمشاعر

تتخذ المشكلات الفلسفية اليوم، وعلي جميع الأصعدة، الصيغة الاستفهامية ذاتها التي كانت منذ ألفي عام. كيف يمكن للشيء أن يولد من نقيضه؟: مثلاً العقل من اللاعقلاني؛ الإحساس من الجماد؛ المنطق من اللامنطقية؛ التأمل المترفع النزيه من الإرادة المتعطشة ما لفائدة ،إيثار الغير من الأنانية؛ الحقيقة من الأخطاء؟ كانت الفلسفة الميتافيزيقية، وحتى الآن، تتلافى هذ الصعوبات منكرة أن الشيء يقدر على توليد الآخر ومقتنعة؛ فيما يخص الأشياء التي تعتبرها أرفع وأسمى، بوجود أصل خارق ينتجه مباشرة جوهر «الشيء بذاته» والحيوي في ذلك الشيء. أمّا الفلسفة التاريخية الأكثر جدة من بين جميع المناهج الفلسفية والتي لم يعد بإمكانها أن تتصور الأشياء منفصلة عن العلوم الطبيعية، استطاعت وفي بعض الحالات الخاصة (وربّما توصلت إلى النتيجةذاتها في جميع الحالات) أن تنظر إلى هذه الأشياء على أنها ليست متناقضات إلاّ في حالة المبالغة المألوفة لدي التصور الشعبي والميتافيزيقي، وأنه يوجد في أساس هذا التناقض خطأ ارتبكه العقل: فوفقاً لشروحات العقل ليس هناك، وبدقة، سلوك غير أناني، تأمل نزيه تماماً.. فهذا وذاك ليسا إلا نوعا من التسامي الذي لا يظهر فيه العنصرالأساسي والفاعل، لكنّ المراقبة الدقيقة والثاقبة ستكشف عنه بالتأكيد – ما نحتاج إليه وما لا نستطيع التقاطه إلا على مستوى كل علم من العلوم.. هو كيمياء من التصورات والمشاعر الأخلاقية والدينية والجمالية.. كيمياء أيضاً من جميع تلك الانفعالات التي نشعر أنها ترتبط ارتباطاً قوياً بتيارات حضارتنا ومجتمعنا، الكبيرة والصغيرة، والتي تنتابنا حتى في العزلة: لكن إذا قادت هذه الكيمياء إلى حقيقة أن الألوان الأكثر

جمالاً لا يحصل عليها إلاّ من مواد خسيسة، تافهة تستحق الازدراء، فهل سيكون هناك أناس كثيرون لديهم الاستعداد لمتابعة بحوث مماثلة؟ الإنسانية تحب أن تفرغ الذهن من جميع هذه الأسئلة الجوهرية والأولية: ترُى.. هل يجب أن نكون لا إنسانيين تماماً كي نشعر بالاتجاه المعاكس؟!

-٢-

خطيئة الفلاسفة الأصلية

يشترك الفلاسفة جميعاً في عيب أنهم ينطلقون من الإنسان الحالي؛ ويعتقدون أنهم وصلوا إلى الغاية المطلوبة عبر التحليل الذي يقدمونه عن هذا الإنسان. يتصورون بشكل مبهم – ودون أن يقصدوا ذلك «الإنسان» – أنه ثابت في زوبعة الأشياء، أنه المقياس الأكيد للأشياء. غير أن جميع ما يقوله الفيلسوف عن الإنسان ليس في العمق إلا شهادة عن الإنسان في حيّز زماني محدود جداً. لا بل أن أكثرهم يعتبر الصيغة الثابتة التي يجب الانطلاق منها موجودة في الصورة الأخيرة للإنسان، أي تلك الصورة التي كونها تأثير بعض الأديان، تأثير بعض الأحداث السياسية، ودون أن ينتبه إلى ذلك. لا يريدون فهم أن الإنسان هو نتاج الصيرورة، إن قوة الإدارك هي الأخري نتاج الصيرورة، في حين أن بعضهم يخرج العالم كله من قوة الإدارك هذه – لكن الجوهري، كل الجوهري، في التطور الإنساني حدث في ليل الزمن، حدث قبل هذه الأربعة الاف عام التي نعرفها بالكاد. ولعل الإنسان لم يتصور كثيراً خلال تلك السنوات. لكن ها هو الفيلسوف يتصور «غرائز فطرية» لدى الإنسان الحالي ويقبل بأنها تشكل جزءاً من المعطيات اللامتغيرة للإسانية، وبأنها يمكن أن تكون مفتاحاً لإدارك العالم بشكل عام. إن التيولوجيا بكليتها تقوم على أننا نتحدث عن إنسان الأربعة الاف

عام الأخيرة بصفته إنساناً خالداً - ابدياً نقيس جميع أشياء العالم ومنذ البدء بالنظر إليه لكن كل شيء هو صيرورة. لم يعد هناك معطيات أبدية، كما لم تعد هناك حقائق مطلقة - لذلك أصبحت الفلسفة التاريخية ضرورة بالنسبة إلينا ومعها فضيلة التواضع.

-٣-

الحلم - سوءُ فهم

في العصور الأولى لحضارة بدائية اعتقد الإنسان أنه اكتشف في الحلم عالماً حقيقياً آخراً. وهنا يكمن أساس وأصل كل ميتافيزيقيا. لولا الحلم لما وجد أدنى سبب لتجزئة العالم إلى عالمين. والفصل بين الروح والجسد يعود هو الآخر إلى أقدم مفهوم للحلم، تماماً كمقولة الصورة الجسدية للنفس. بالإجمال، الحلم أساس كل اعتقاد بالأرواح وربما بالآلهة. «فالميت يستمر في الحياة، طالما يتجلي للأحياء في الحلم»: هذا هو التفكير الذي ساد قديماً وعبر آلاف السنين.

- ٤ -

التراجع عدة خطوات

يبلغ الإنسان درجة عالية من الثقافة عندما يتجاوز مخاوفه وأفكاره الدينية الخرافية ويكف عن الاعتقاد بالملائكة التي تحرس أو بالخطيئة الأصلية؛ عندما لا يعود يعرف الكلام على خلاص الأرواح: بعد الوصول إلى هذا المستوى من التحرر يبقى عليه أن يبذل أقصى حركة تراجعية: آنذاك يجب عليه أن يفهم المسوّغ ـــ التاريخي والفيزيولوجي لهذه التصورات، أن يعترف بأن تقدّم البشرية يكمن في هذا الفهم، وبأننا - لانعدام هذه الحركة الرجوعية - نحرم

أنفسنا من أفضل ما أنجزته البشرية لحد الآن. وحول هذه النقطة الخاصة بالميتافيزيقيا الفلسفية، كثُرَ الذين بلغوا نهاية سلبية (أي كل ميتافيزيقيا وصفية هي خطأ). لكن ما أقل الذين يرجعون إلى الوراء عدة خطوات [أو درجات]، إذ يناسب أحياناً أن نتجاوز الدرجة الأخيرة من السلم بالنظر فقط، لكن ربما يناسب أيضاً ألا نتوقف هناك. وبالكاد ينجح الناس الأكثر تنوراً في التحرر من الميتافيزيقيا وفي النظر إليها من فوق. ضروري هنا، كما هو ضروري في مضمار سباق الخيل، أن ندور على أطراف الميدان القصوى.

— ٥ —

إمكانية التقدم

عندما يُقسم عالم في مجال الحضارة القديمة ألا يعاشر الناس الذين يؤمنون بالتقدم، فهو محق. لأنه لم تعد لهذه الحضارة القديمة أية عظمة ولا أية فضيلة إلا في الماضي فقط. يجبرنا التكون التاريخي على الاعتراف بأنها لن تعثر إطلاقاً على طراوتها من جديد. ولإنكار ذلك لابد من بلادة ذهن لا تطاق أو ذهن متحمس بشكل لا يحتمل. يستطيع الناس، بوعي تام، أن يتمسكوا بتوجيه تطورهم نحو حضارة جديدة. وفي حين كانوا ولحد الآن، يتطورون بشكل غير واعٍ وخاضع للمصادفة، يستطيعون اليوم خلق شروط أفضل للإنجاب والتغذية والتربية والتثقيف ، يستطيعون إدارة اقتصاد الأرض بحيث يتم استخدام الطاقات البشرية جميعاً استخداماً متوازناً. هذه الحضارة الجديدة، الواعية، سوف تقتل الحضارة القديمة التي ـ منظوراً إليها في مجموعها ـ عاشت حياةً حيوانية ونباتية غير واعية؛ سوف تقتل أيضا الخوف والحذر من التقدم – هذا ممكن. أريد القول: من الطيش لابل من العبث الاعتقاد بأن التقدم بمعنى وبطرق

الحضارة القديمة غير قابل للتصور. الأمر كذلك دائماً عندما تستخدم اللاواقعية الرومانسية كلمة «تقدم» وفقاً لوجهات نظرها (مثلا حضارات وطنية، أصلية ومغلقة) وكل مرة نستعير من الماضي صورة تلك الحضارة، فإن الأصالة كل الأصالة تنعدم من تفكيرها في هذا المجال.

- ٦ -

إبدال الدين

يُعْتقَد بأننا نمتدح فلسفة ما عندما نوكل إليها أن تحل محل الدين بالنسبة إلى الشعب. ففي الاقتصاد الروحي تتجلى بالطبع الحاجة إلى أفكار انتقالية بهذه المناسبة. الانتقال من الدين إلى الرؤية العلمية للأشياء هو قفزة قاسية وخطيرة، هو شيء يتم التحذير منه عادة. لهذا فإن التقريظ مؤسس جيداً. لكن ينبغي أيضاً الانتهاء بإدراك أن الحاجات التي لباها الدين والتي يجب على الفلسفة أن تلبيها الآن ليست حاجات ثابتة ويمكن أن نُضعفها وأن نقوّضها. لنفكر مثلا بالعذابات المسيحية، بالتأوهات على فساد النفس بالقلق من أجل الخلاص - جميع التصورات التي لا تجيء إلا من أخطاء العقل والتي لا تستاهل أية تلبية، بل تستأهل الإلغاء تماماً.. يمكن لفلسفة ما أن تكون مفيدة إما بإرضاء هذه الحاجات (فتكون هي الأخرى كالدين) وإما بإلغائها. لأن هذه الحاجات هي حاجات مكتسبة، محدودة بالزمن، وترتكز على فرضيات تتعارض مع فرضيات العلم. بمقدورنا هنا، ومن أجل الانتقال أن نلجأ إلى الفن للتخفيف عن النفس المثقلة بالأحاسيس والعواطف، لأن الفن يُعنى بهذه التصورات المذكورة أقل بكثير مما تفعله فلسفة ميتافيزيقية. ثم سيكون سهلاً الانتقال من الفن إلى علم فلسفي محرر حقاً.

- ٧ -

كلمات مخصية

فلتسقط هذه الكلمات.. كلمات التفاؤل والتشاؤم المستهلكة لحد القرف! إن الدافع إلى استخدامها ينعدم أكثر يوماً بعد يوم ولم تعد ضرورية إلا للثرثارين. لأنه من أجل أي سبب في العالم سينطلق فلان ليعلن تفاؤله طالما أنه غير مجبر على الدفاع عن إله.. إله لابد وأنه خلق أفضل العوالم بدءا من اللحظة التي كان هو فيها الخير والكمال؟

ومن هو المفكر الذي لا يزال محتاجاً إلى فرضية إله؟ لكن ليس هناك أيضاً أي دافع لممارسة اعتقاد تشاؤمي إذا لم تكن هناك مصلحة تقوم على معارضة عنيفة لمحامي الإله، الفقهاء والفلاسفة المثقفين، ومقاومتهم بالفرضية المضادة، بالقول: إن الشر يحكم، إن الكدر ينتصر على الحبور، إن العالم خدعة فاشلة، تجلٍ لإرداة عيش رديئة.. لكن من يهتم اليوم بالفقهاء، غير الفقهاء؟ الفقه ومحاربة الفقة مطروحان جانباً. العالم ليس سيئاً وليس جيداً، ليست الأفضل وليست الأسوأ، وبالتالي لا معني لمفاهيم «الجودة» و «الرداءة» إلا بالنظر إلى الإنسان، وأكثر من ذلك ربما لا يكون لها أي مبرر طالما أن الطريقة التي نستخدمها من خلالها عادة هي الذم أو المدح. على أية حال يجب التخلص من هذا التصور عن العالم.

- ٨ -

رجال طغاة، رجال متخلفون

الرجال الطغاة لا يمكن أن نعتبرهم إلا بقايا بعض مستويات الحضارات القديمة. فيهم يتكشف جبل الإنسانية عن بنيات عميقة تبقى عادة خفية . إنهم

كائنات متخلفة لم يتطور دماغها في اتجاه الرقي والكونية وذلك بسبب المصادفات المحتملة التي تحدث عبر الوراثة. إنهم يكشفون ما كناه جميعاً ويجعلوننا نرتعد من الخوف: لكنهم ليسوا مسؤولين عن ذلك مثلما أن قطعة صوان غير مسؤولة عن كونها من الصوان. ولابد أنه يوجد في دماغنا أيضاً بعض التلافيف التي تتقاطع مع هذه الذهنية، كما قد توجد بقايا تشير إلى السمكة التي كانت على شكل بعض الأعضاء الإنسانية. لكن هذه التلافيف لم تعد السرير الذي يأخذة سيل مشاعرنا.

- ٩ -

ويتحول الظاهر إلي وجود

لا يستطيع الكوميدى، حتى في أقصى درجات الألم، أن يكفّ عن التفكير بالانطباع الذي تولده شخصيته، بالمفعول المسرحي الكامل وذلك عندما يحضر دفن ابنه مثلا: سيبكي ألمه وسيبكي تجليات هذا الألم، إنه مشاهد ذاته - فالمدعي الذي يلعب باستمرار الدور نفسه يكف في نهاية الأمر عن أن يكون مدعياً. مثلاً، الرهبان الشباب، أو الشيوخ الشباب، هم في العادة أدعياء بوعي أو بغير وعي ينتهون إلى أن يكونوا طبيعيين، ومذّاك لا يمكن أن نكون أفضل الرهبان بواقعية تامة دون أدني حد من الحب والعاطفة. وإذا لم يستطع الأب بلوغ ذلك فالابن سيبلغه مستفيداً مما قدمه الأب ووارثاً للدربة والخبرة، وعندما نأنف ولوقت طويل أن نظهر بصفتنا شيئاً ما، سوف يكون صعباً في النهاية أن نكون شيئاً آخراً. جميع الطموحات تقريباً، تبدأ بالادعاء، بالمحاكاة الخارجية، بتصوير الفعل. فالإنسان الذي يحمل باستمرار قناعاً ذا مظهر محبوب ينتهي ضرورة إلى الحفاظ على حالات التسامح التي من دونها لا يمكن أن نقرأ في وجهه أي تعبير

من تعـابيـر اللطف والحـب - ثم إنهـا هي التـي تنتهي بـالمحـافظة عليـه في إطار سـلطتها: إنه متسـامح طيب.

-١٠-

حبّة النزاهة فى الخداع

جميع المخادعين الكبار يمثلون ظاهرة جديرة بالاعتبار، ظاهرة يدينون لها بما لديهم من القـوة. فـفي عـمليـة الخـديعة نفـسـهـا، وفي خـضـم الاسـتـعـدادات والارتعاشـات التي تنتـاب الصـوت والوجه والحركات.. نقـول في وسـط هـذا المشـهد الانفعـالي المدهش، يحدث لهم فـجأة أن يصدقوا أنـفسهم: هـذا التـصديق هـو الذي يتحـدث إلى من يحيط بـهم ويقنعه باعـجوبة. يمتـاز مؤسـسـو الديانات عن هـؤلاء الماكرين الكبار بكونهم لا يخرجون من حالة التوهـم الفطرية هذه، أو قلّما يجدون في هـذه اللحظات الرؤيوية أوقاتاً يشعـرون فيها بأن الشك يسـحقـهم. لكن اعتادوا أن يعزّوا أنـفسهم بإحالة هـذه اللحظات إلى الخـبيث، وإلي الخـصـم. تضليل الذات هذا، ضـروري كي يسـتطيـع أؤلئك وهؤلاء ممارسـة فـعل علـى نطاق واسع، لأن الناس يؤمنون بحقيقة ما يبدو موضـوعاً لإيمان قوي.

-١١-

الكـــذب

لماذا يقول الناس الحقيقة في الحياة اليـومية وغالب الأوقات؟ بالتأكيد ليس لأن إلهـاً منع الكذب، لكن وأولاً ، لأن في ذلك كـثـيـرا من الملائمـة والدعة والراحـة. فـالكذب يتطلـب اخـتـلافـاً، إخـفـاءً وذاكـرة (الأمـر الذي دفع بسـويفت swift إلي القـول: مـن يروي كـذبة قلمـا يفكر بالثـقل الذي ينبـغي أن يحـمله؛ يلـزمـه، في

الواقع، وكي يدعم كذبة واحدة، أن يختلق عشرين كذبة أخرى). ثم لأنه من الملائم، وعندما يجري كل شئ ببساطة أن نتكلم دون لفّ أو دوران : أريد هذا ، فعلت ذلك وهكذا.. الخ. يعني لأن طرق الإكراه والسلطة أكثر سلامة وضمانا من طرق الاحتيال – لكن إذا حدث ونشأ طفل في وسط عائلي معقد، فإنه سوف يمارس الكذب بشكل طبيعي جداً ويقول بشكل لا إرادي دوماً ما يتجاوب مع مصلحته. معنى الحقيقة والنفور من الكذب شيئان غريبان عنه تاماً، هكذا يكذب بكل براءة.

-١٢-

جلدُ النفس

كما أن العظام، العضلات، الشرايين العصبية والدموية محاطة بجلد يجعل منظر الإنسان محتملاً، فإن انفعالات ونزوات النفس ملفوفة هى الأخرى بالعبث: العبث جلد النفس.

-١٣-

نوم الفضيلة

لتنم الفضيلة، لتنم، فإنها ستستيقظ أكثر نضارة.

-١٤-

حشمة

أينما وجد «الغيب» وجدت الحشمة. والحالة هذه، يقوم هنا مفهوم ديني عرف اتساعاً كبيراً في العصور المتأخرة من الحضارة الإنسانية. كانت هناك ميادين

مغلقة يقف على بوابتها الحق الإلهي ليمنع الدخول إلا بشروط محض محلية وبحجة أن بعض الأماكن لا يمكن أن تطأها أقدام العامة. ففي جوارها سيعانون من الرعب والقلق. هذا الشعور تم نقله بكميات كبيرة إلى حالات أخرى منها العلاقات الجنسية التي كان يجب - وبصفتها امتيازاً للعمر الناضج - أن يمتنع عنها الشباب من أجل مصلحتهم: اعتُقد بوجود عدد كبير من الآلهة الذين لا عمل لهم إلا إنقاذ الشباب وتحريم هذه العلاقة، وهم موضوعون كالحراس في بيت الزواج. هذا البيت يُسمي باللغة التركية «حريم»، كلمة تستخدم أيضاً لحرم الجوامع؛ تماما مثل المملكة - مركز إشعاع القوة والبرق - هي غيب من الأسرار والحشمة، بالنسبة إلى الإنسان - الذات. ولاتزال الانعكاسات تتجلى - حتى أيامنا - عند شعوب لم تعد إطلاقاً من عداد المحتشمين. الشيء نفسه يقال حول عالم الحالات الداخلية الكلي. « النفس » ، كما نسميها، تبقي ولحد الآن غيباً بالنسبة إلى جميع اللافلاسفة وذلك بسبب الزمن اللامتناهي الذي ظُنّ خلاله أنها جديرة بأصل إلهي وتستحق أن تكون موضوع تجارة مع الآلهة. على جميع المستويات هي فاضحة وتلهم الحشمة.

- ١٥ -

الفن وفضيلة التأويل الكاذب

جميع رؤى القديس وأهواله وعجزه وشطحاته هي حالات مرضية معروفة يفسرها بشكل مختلف، أي يعتبرها شيئاً آخراً غير الأمراض وذلك استناداً إلى أخطاء دينية وبسيكولوجية متأصلة. كذلك ربما يكون جني سقراط مرضاً بالأذن، لكنه يفسره حسب أفكاره الأخلاقية المسيطرة تفسيراً لا يمكن أن نقدمه اليوم. ولا يمكن للأمر إلا أن ينطبق على هذيان الأنبياء وكهنة الوساطة الإلهية. درجة المعرفة والتخيل والغيرة والأخلاقية المنشطة لعقل وقلب المفسرين هي التي

صنعت من ذلك أشياء كبيرة. ومن أقوى الأعمال التي مارسها هؤلاء الرجال الذين نسميهم عباقرة وقديسين تكمن في أن سطوتهم أوجدت مفسرين لا يستطيعون، وذلك لصالح رفاهية الإنسانية، أن يفهموهم جيداً.

- ١٦ -

معنى الحقيقة عند الفنان

عندما يتعلق الأمر بمعرفة الحقائق، فإن لدى الفنان أخلاقية أقل وأضعف مما لدى المفكر. فهو لا يريد إطلاقاً أن نسلبه الرموز المشرقة للحياه ويتقي جميع المناهج والنتائج العارية الفجة. ظاهراً، يناضل من أجل إعلاء شرف وقيمة الإنسان، واقعاً لا يريد التخلي عن المسلمات التي تكفل لفنه أفضل التأثير والنتائج: الشيء الخارق، الأساطير، الضبابي، الأطرف الخارقة. إذاً، يعلّق أهمية على استمرار نوعية نشاطه الإبداعي أكثر من اهتمامه بالإخلاص العالمي للحقيقة بجميع أشكالها ومهما كان بسيطاً في المظهر الخارجي الذي يمكن أن ترتديه.

- ١٧-

الفن الساخر

يضطلع الفن عرضياً بمهمة الحفاظ على بعض الأفكار المنطفئة وإحيائها. وعندما يقوم بهذه المهمة فإنه ينسج علاقة تدمج عصوراً مختلفة وتستدعي أرواحها. وهذا مظهر حياة لا أكثر ينهض هكذا كما فوق القبور، مظهر حياة شبيه بعودة الأموات الأعزاء في الحلم، لكن على الأقل، وللحظات، ينتعش الإحساس القديم ويأخذ القلب بالخفقان، لبعض الوقت، وفق إيقاع منسي. عندها يجب - وبسبب هذه الفائدة العامة للفن - ألاّ نحقد على الفنان نفسه إن لم يكن في الصفوف الأولى لأنوار العقل داخل إطار إنسانيته تصبح ذكورية

بالتدريج. ظل طوال حياته طفلاً أو مراهقاً وتأخر عن الوضعية التي فاجأته فيها فطرته كفنان. غير أن أحاسيس المراحل الأولى من الحياة هي أقرب إلى أحاسيس عصور الماضي منها إلى أحاسيس الزمن الحاضر، ويعترف بذلك عموماً. إن الفنان يجد نفسه ومن دون قصد ملتزماً بمهمة إرجاع الأنسانية إلى طفولتها وفي هذا تكمن عظمته: ونها يته أيضاً.

- ١٨ -

عندما يلطف الشعراء الحياة

من اللحظة التي يريد فيها الشعراء تلطيف حياة الناس، فإنهم إما أن يصرفوا الأنظار عن الحاضر المؤلم، وإما أن يكسوا هذا لحاضر ألواناً جديدة وذلك بالاعتماد على نور يجعلونه يشع من أعماق الماضي. وللتمكن من ذلك، لابد أن يكونوا – وعلي أصعدة كثيرة – كائنات تلتفت إلى الماضي بحيث يستطيعون أن يكونوا جسوراً مع عصور وأفكار قديمة جداً، مع ديانات وحضارات ميتة أو على وشك الموت. إنهم وبحصر المعنى ورثة بالضرورة. بالتأكيد هناك أشياء غير ملائمة للحديث عن وسائلهم في تلطيف الحياة. لا يخففون من الحياة ولا يشفون إلا مؤقتاً فقط أثناء لحظة معينة بل يمنعون الناس من العمل على تحسين حقيقي لظروفهم عندما لا يفعلون إلا تنفيس وإلغاء انفعالات المحتاجين الذين يندفعون إلى الفعل – يقومون بذلك من خلال قوة ذات حمولة تلطيفية تخفيفية.

- ١٩ -

سهم الجمال البطيء

الجمال الأكثر نبلاً هو الذي لا يأسر دفعة واحدة ولا يهاجم باندفاع مدوّخ (هذا النوع من الجمال يثير بالأحري القرف)، بل هو الذي يتسلل بطيئاً، وهو الذي نحمله ولا نشعر به ويحدث أن نعثر عليه في الحلم، لكن ينتهي بعد أن يكون قد شغل مكاناً متوضعاً في القلب.. ينتهي بامتلاكنا بأن يملأ عيوننا دموعاً وقلوبنا حنيناً - وما هو ذاك الحنين الذي توقظه رؤية الجمال؟ هو أن تكون جميلاً: يعتقد أنه من الضروري ربطه بالسعادة لكن هنا تكمن الخطيئة الكبرى

-٢٠-

الفن، من أين تأتيه الروح

حيث يأخذ الدين بالتراجع يرفع الفن رأسه ويعود إلى تناول مجموعة من الأحاسيس والأحوال النفسية التي أنتجها الدين، يستعيد الإيقاعات بصدق، يكتشف فيها أعماقاً جديدة تجعله قادراً على إيصال الإلهام والرفعة وهو الأمر الذي كان يجهل فعله سابقاً. إن خصوبة الإحساس الديني التي تصير نهراً بفعل التزايد والنمو لا تتوقف عن الفيضان وتحاول اكتساح ممالك جديدة. لكن تقدم الأنوار قد زعزع مباديء الدين وأفرز احتراساً جذرياً: فالإحساس الذي أقصته الأنوار من الحقل الديني أخذ يصبُّ في الفن، في الحياة السياسية أحياناً لا بل في العالم مباشرة..

-٢١-

الفن خطر علي الفنان

عندما يسيطر الفن، وبقوة على كائن فإنه يعيده إلى مفاهيم زمن عرف فيه الفن ازدهاراً وحيوية شديدة.. عندما يمارس فعلاً تراجعياً. يأخذ الفنان بتقديس الانفعالات المباشرة كل يوم، يعتقد بالالهة وبالجن، يضع روحاً في كل مكان من الطبيعة، يكره العلم، يتقلب مزاجه مثل ناس العصور السابقة، يطالب بتغيير جميع الظروف غير الملائمة للفن، يطالب بعنف وقلق الطفل. غير أن الفنان هو بالتحديد ذلك الكائن المتخلف إذ يتمسك دوماً بلعبة تخص الشباب والطفولة. وإلي ذلك يُضاف التطور التراجعي البطيء الذي يعيده إلى أزمنة أخري. هكذا ينتهي بأن يولّد تضاداً وخصومه بينه وبين معاصريه من العمر نفسه: حزينة نهايته. وبهذا الشكل، كما تقول الرواية: أنهى هوميروس واسخيل حياتهما وماتا في الكآبة والسودواية.

-٢٢-

العبقرية والعجز

بين الفنانين، وحدها الأذهان الأصيلة، الخالقة بالفطرة، تستطيع الا تعطي إلا جوزات فارغة، ساذجة، في حين نلاحظ أن الطباع الأقل حرية - المواهب كما نسميها - تمتلك دوماً ذاكرة مليئة بجميع أنواع الجمال الممكن وتنتج شيئاً ما مقبولاً حتى في أوقات عجزها لكن إذا هجرت الأذهان الأصيلة نفسها، فإن الذاكرة لا تفيدها بشيء: أذهان تدور في الفراغ.

-٢٣-

تربية الجمهور الفنية

إذا لم يُعالج الموضوع الواحد مائة مرة وبأشكال مختلفة ومن قبل أساتذة متعددين فإن الجمهور لا يستطيع الارتقاء فوق مصلحته الخاصة لصالح المادة نفسها. لكنه - أي الجهور - ينتهي إلى فهم وتذوق الفروقات والإبداعات الجديدة - الدقيقة في معالجة هذا الموضوع حالما يعرفه عبر تاريخ طويل من المعالجات المتعددة؛ وسوف يكفّ عن تذوق جاذبية الجدة والفضولية في هذا الموضوع.

-٢٤-

نوعان من التجاهل

تعاسة الكّتاب المؤثرين والواضحين تقتضي أن نراهم مسطحين وبالتالي لا نُعيرهم شيئاً من الجهد والاهتمام. وحظّ الكّتاب الغامضين هو أن القارىء يجهد نفسه قدر الامكان من أجلهم ويشعر إزاء فاعليتهم بلذة تأتيه من جهده.

-٢٥-

تناقضات المؤلف

تناقضات المؤلف المزعومة التي تزعج القارئ لاتوجد، غالباً، في كتاب المؤلّف بل في رأس القارئ.

-٢٦-

التضاد

التضاد هو الباب الضيق الذي يستلذ الباطل بعبوره للوصول إلى الحقيقة.

- ٢٧-

اسلوب المفكرين

المفكرون في غالبيتهم يكتبون بشكل روئ لأنهم لايكتفون بإيصال أفكارهم وحسب، بل مضاد هذه الأفكار ايضاً.

- ٢٨-

الأفكار فى القصيدة

يتقدم الشاعر بأفكاره فوق دبابة اللحن بشكل احتفالى: لأنها - أي الأفكار - لاتعرف أن تمشي على أقدامها

- ٢٩-

جاذبية اللامكتمل فى الفن

اللامكتمل يؤثر غالباً أكثر من المكتمل، وبخاصة في الإطراء: هنا نحتاج بالتحديد ـــ وبالنسبة إلى مايقدمه الإطراء - إلى سحر اللامكتمل بصفته عنصراً غير عقلاني يعكس لخيال المستمع بحراً ويحجب كالضباب المنعطف المواجه، يعني يحجب حدود الكائن الممدوح. أن نهدد جميع الفضائل المعروفة عن شخص دون الخوف من ذكر التفاصيل، فذلك يعني توليد شكوك في أن لافضائل له إلاّ ماذكر. أن نمدح بشكل كامل، يعني أن نضع أنفسنا فوق الممدوح، أي يختفي عن النظر فيما نظل نحن في الأعالي. لذلك فالإكمال يولّد الضعف.

-٣٠-

الكتابة والتعليم يقتضيان الحذر

من يبدأ الكتابة ويشعر برغبة أن يكتب، فإنه وفي جميع مايفعل وما يحس ويجرِّب لايجد ضرورة أن يتعلم إلاّ مايمكن إيصاله بشكل أدبي. يكف عن التفكير بنفسه، لكن يفكر بالكتاب وبجمهوره، يريد لنفسه رؤى عميقة، لكن ليس من أجل استخدامها لصالحه. ومَنْ يعلِّم فإنه في غالب الأحيان يعجز أن يتصرف شخصياً لصالحه، إذ يفكر دوماً بصالح الطلاب ـ التلاميذ، ولا تستطيع أية معرفة أن تُسعده إن لم يكن بمقدوره تعليمها: ينتهي إلى اعتبار نفسه مطرحاً لعبور المعرفة، أي وسيلة لاغير...

-٣١-

ضرورة الكاتب الرديء

لابدَّ من وجود كاتب رديء باستمرار، وذلك لأنه يشبع ذوق الأجيال الشابة التي لم تتطور بعد. ولهذه الأجيال حاجات كالآخرين تماما. ولو كانت الحياة الإنسانية أطول لكان عدد الناجحين يفوق أو يعادل عدد اللاناجحين. لكن النّاس، وفي الحياة كما هي، يموتون شباباً، أي هناك دوماً غالبية من العقول المتخلفة ذات الذوق الرديء. هذه العقول تطالب، وبكلِّ عنف الشباب، بإرضاء وإشباع حاجاتها وتسبب بوجود كتّاب رديئين مخصصين لها.

-٣٢-

أفكار غير تامة

كما أنه ليس لعمر الإنسان فقط قيمة، لكن للشباب والطفولة قيمة أخرى ويقضيان نظراً ورؤية على أصعدة متعددة لا بصفتهما مراحل انتقالية وجسوراً

فقط... فإن للأفكار التي بقيت غير تامة قيمتها هي أيضاً. بالتالي، مايلزم ليس أن نضع شاعراً في أسر تأويل راقٍ، لكن أن نُعْجَبَ بلا يقينية

أفقة كما لو أن الطريق كانت منفتحة على أفكار لامتناهية. إننا نقف على العتبة، ننتظر النبش عن كنز حقيقي: يبدو أننا سنكتشف بنجاح أفكاراً عميقة. الشاعر يستبق إلى حدٍّ ما اللذة التي يشعر بها المفكر وهو يكتشف فكرة جوهرية، يملؤنا رغبة تدفعنا في اتجاه تلك الفكرة... أما الفكرة ذاتها، فتمرُّ، تتقدم لَعُوْبَةً، تحك لنا الرأس، تفرش أجنحتها كأجمل أجنحة الفراش - ومع ذلك لانقدر على الإمساك بها.

-٣٣-

لذة الشيخوخة

المفكر - والفنان أيضاً - الذي احتفظ في مؤلفاته على أفضل ماعنده، يشعر بسعادة مؤذية تقريباً وهو يرى إلى جسده وروحه وقد قوّضهما الزمن كما لو أنه - من حيث هو - كان يشاهد لصاً ينقضّ على خزنته التي يعلم أنها فارغة وأن كنوزه بأمان....

-٣٤-

لذة العبث

كيف بمقدور الإنسان أن يلتذ بالعبث؟ تلك هي الحالة التي يأتي فيها الضحك إلى العالم كلّ مرة. لا بل يمكن القول: حيث توجد السعادة توجد لذة العبث. انقلاب التجربة إلى نقيضها، والممارسة تصير اعتباطية، الضروري يصير نزوة عابرة، لكن بحيث أن هذا المثال لايسبب أذى ولا يحدث إلاّ مرة واحدة بإفراط... كلُّ ذلك يسعدنا، يفرحنا ويخلصنا آنياً من ضغط الضروري ومن البراغماتية والنفعية حيث نجد باستمرار أساتذتنا الأشداء. نلهو، نضحك كلّما انفجر الشئ

المتوقع دون أن يؤذي (بيُسبب عادة إزعاجاً وقلقاً) إنها سعادة العبيد في أعياد زُحل.

-٣٥-

نشوة العبقرية

المهارة التي يستخدمها المساجين في البحث عن وسائل الهرب، ثم الثبت والصبر الشديدان اللذان يستخدمهم للاستفادة من أدنى الحظوظ... كلُّ ذلك يساعد علي فهم الخطة التي تستفيد منها الطبيعة في انتاج العبقرية - كلمة رجو أن تؤخذ دون أية خلفية فيثولوجية أو دينيه نضعها في زنزانة ونثير رغبتها بالهروب. أو لكي نصبر بصورة أخرى: مَنْ يضيّع طريقه في الغابة تماماً، لكن يحاول الوصول الي الأرض المكشوفة، متبعاً - وبطاقة استثنائية - أي اتجاه، قد يكتشف أحياناً طريقاً جديدة لا يعرفها أحد. هكذا تنشأ العبقرية التي نحتفل بأصالتها. لقد أشرنا مراراً الي أن بتر عضو أو ضموره يتيح غالباً الفرصة لعضو أخر كي يطوّر صفات وخاصيات استثنائية بحكم أنه مضطر للإضطلاع بوظيفة أخري إضافة الي وظيفته الأساسية. وفي هذا نستطيع اكتشاف جذور كثيرة من المواهب الرائعة. استنادا علي هذه الملاحظات العامة حول اصل العبقرية، نستطيع فهم هذه الحالة الخاصة:ولادة الذهن الحرّ والتام

-٣٦-

صوت التاريخ

عموماً، يبدو أن التاريخ يعلمنا مايلي حول إنتاج العبقرية: (يصرخ ذلك الصوت بالحسد والحقد والغيرة) عذّبوا الناس أهينوهم، ادفعوا بهم إلى الهاوية، حرضوهم على بعضهم. لكن، عندها، وعبر عصور ربّما، وفجاة، تفجّر ضوء العبقرية وقد أشْعلته شرارة بعيدة، شرارة الطاقة المرعبةالتي تحددت. عندها،

تجمح الإرادة مثل حصان هيّجه مهماز الفارس، وتثب إلى مجال آخر. إن الذي يقدر على امتلاك فكرة واضحة عن ولادة وأصل والعبقرية، عليه أن يكون مثل الطبيعة أيضاً، خشناً، فظاً غير لطيف ـ لكن ربّما نفهم بشكل غير سليم.

ـ٣٧ـ

أنصاف إله الصيرورة

عندما ينبسط تاريخ الحضارة أمامنا وقد اختلطت فيه وتشابكت الأفكار الرديئة والنبيلة، الصحيحة والمزيفة، بحيث أن مشهد هذا التدفق يسبب الدوخةوالدوار، ندرك وقتها أي عزاء يقدمه لنا مفهوم الصيرورة: شيئاً فشيئاً، يكشف هذا الإله عن نفسه في تحولات الإنسانية ومصائبها، ليست كلّ شيء نتاج آلية عمياء أو نتاج تداخل الأقوال بلا هدف ولا سبب. إن تأليه الصيرورة منظور ميتافيزيقي يُطل على بحر التاريخ من فوق المنارة، وفيه وجد جيل من العلماء المولعين بالتاريخ عزاءهم. يجب الا نغضب بسبب ذلك وأياً كان خطأ هذا التصور. وحده الذي ينكر التطور ـ مثل شبنهاور ـ لايُحِسُّ بشيء من بؤس هذا التدفق التاريخي، وبالتالي لايشعر بشيء من هذا الإله المتحوّل ـ الصائر ولا يحسُّ بحاجة إلى القبول بوجوده... هكذا يستطيع أن يسخر بكلّ إنصاف.

ـ٣٨ـ

عبقرية الحضارة

لو أردنا أن نتصوّر عبقرياً للحضارة، فمن أية طبيعة سيكون؟ يستخدم أدواته: الكذب، العنف، اشرس أنواع الأنانيات... يستخدمها بثقة تدفعنا إلى القول إنه كائن شيطاني وشنيع، لكنّ نواياه التي تتجلى هنا وهناك طيبةٌ نبيلة. إنه ذلك الكائن الخرافي الذي نصفه رجل ونصفه فرس لكن بأجنحة ملاك فوق رأسه.

ـ٣٩ـ

على أطراف الجنون

لقد ازدادت مجموع مشاعرنا، معارفنا، تجاربنا ـ أي كلُّ ثقل الحضارة ازداد واتسع بحيث أنه أدي إلى إثارة القُوى العصبية والفكرية. هناك خطر شامل: الطبقات المثقفة في البلدان الأوروبية مصابة بالعصاب تماماً ولا تكاد توجد عائلة كبيرة في هذه البلدان إلاّ وفيها فرد من أفرادها قد جُن أو اقترب من الجنون. ربّما توجد الآن آلاف الطرق للوصول إلى الصحة الذهنية، غير أن مايظلُّ ضرورياً بالنسبة إلى الجوهري هو تخفيض هذه الكثافة في المشاعر وتخفيف هذا العبء الثقيل من الحضارة التي ـ من المؤكد أنها تكبدت خسائر كبيرة ـ لاتترك لنا خيار ان نأمل بشيء كبير قد تكونه مثلاً نهضة جديدة. ندين بغزارة مشاعرنا وانفعالاتنا العميقة للمسيحية، للشعر، للفلاسفة، لجميع الموسيقيين. وإذا أردنا ألاّ يخنقنا هؤلاء بتكاثرهم، فعلينا أن نتعزّم بروح العلم التي، وباعتبار كلّ شيء، تجعلنا أكثر فتوراً، أكثر ارتياباً وتخفف، بالتحديد، من تدفق حرارة الايمان بحقائق أخيرة ونهائية جعلت منها المسيحية [والاسلام أيضاً] سيلاً طائشا باندفاعه.

ـ٤٠ـ

عزاء تقدّم يائس

إن عصرنا يقدّم صورة أو يترك انطباعاً لحالة إنابيّة مؤقتة. فالمفاهيم القديمة عن العالم والحضارات العتيقة لاتزال سائدة لحد الآن. أما الجديدة فلم ترسخها العادة بعد، ولذا فإنها تفتقر إلى الوحدة والانسجام. ويبدو أن كلّ شيء يرجع إلى السديم والخواء، يبدو أن القديم يتلاشى وأن الجديد لايعادل شيئاً ويتجه إلى الضعف باستمرار. لكن الشيء نفسه ينسحب على الجندي الذي يتعلم السير:

تراه متردداً منعدم المهارة لأن عضلاته تتحرك تارة وفق النظام القديم وتارة وفق النظام الجديد. ثم إن أحد النظامين لاينتصر على الآخر بشكل نهائي. نتمايل نتأرجح، لكن من الضروري الأ نقع ضحية قلق قد يجبرنا على التخلي عن المكاسب الجديدة. وإلي ذلك، يستحيل أن نعود إلى القديم، أحرقنا مراكب الرجوع بلا تردد. لم يبق لنا إلاّ أن نكون شجعاناً مهما كان الخارج من هناك. لنباشر السير، لنغيرّ المكان، هذا كلُّ مايجب! فلعلّ مسيرتنا ستشبه تقدّماً ما، وإلاّ من الممكن أن نردد باستمرار كلمة فريدريك الكبير على سبيل التعزية لا أكثر: آه ياعزيزي SULZER ، لاتعرف جيداً هذه السلالة الملعونة التي تنتمي إليها.

-٤١-

المعاناة من ماضي الحضارة

من يكوّن لنفسه فكرة واضحة عن مشكلة الحضارة، فسيعاني من الشعور الذي يعاني منه وريث ثروة جُمِعتْ بطرق غير شرعية أو شعور أمير يحكم بفضل أعمال العنف التي مارسها أجداده. لن يكفّ عن التفكير، حزيناً، بأصوله. وغالبا مايشعر بالعار ويكون نزقاً سريع الانفعال. إن مجموع الطاقة وإرادة العيش والسعادة... إن هذا المجموع الذي يكرّسه لرفاهيته وراحته يقابله تقزز داخلي عميق: لايقدر على نسيان أصله. المستقبل! ينظر إلى المستقبل بسوداوية مرضية. أحفاده! يعرف ذلك سلفاً: سيعانون من الماضي كما عانى.

-٤٢-

حكم سبق لصالح العظمة

اعتاد النّاس أن يقدّروا تقديراً عالياً كلّ ماهو عظيم، وذلك ليقينهم الواعي، أو غير الواعي بوجود بعض الفائدة الأكيدة في ذلك المجال الوحيد الذي يعطيه الفرد كلّ قوته وطاقته، وبالتالي يتحول - أي الفرد - إلى عضو واحد ووحيد، عضوٍ

مرعب ومخيف. إن تنمية متوازنة لقوى الإنسان ستمدّ هذا الإنسان نفسه بفوائد أعظم وسعادة أبهى، لأنّ الموهبة الكبرى تمتص دم ونسغ جميع القوى الأخرى. من شأن الانتاج المفرط أن يؤدي بالكائن الموهوب جداً إلى الجنون. كذلك الطبائع المتطرفة، في الفن، تتطلب كثيراً من الانتباه، لكن يلزمها ثقافة محدودة جداً كي يكون بمقدورها أن تجتذب وتشد. تعوّد الناس أن يخضعوا لكل من يدّعي الانتماء إلي القوة.

-٤٣-

تعلّم لغات عديدة

أن تتعلم لغات عديدة يعني أن تملأ الذاكرة بكلمات عوض الوقائع والأفكار. والذاكرة ليست بالنسبة إلى فردٍ ماغير وعاءٍ يقدر على استيعاب كمية محدودة جداً من المواد. ولتعلّم لغات عديدة أيضاً هذا الجانب من الإيذاء، إذ يحمل على الاعتقاد أنّ لدينا كفاءات ويضفي نوعاً من الجاذبية في إطار التجارة بين النّاس، ثم إنه يتناقض وبشكل غير مباشر مع اكتساب المعارف الصلبة ومع التصميم الراسخ على استحقاق احترام الناس بنزاهة. وأخيراً، إنّه الفأس الموجهة إلى جذر هذا الحس اللغوي الرهيف الذي تهبه لنا اللغة الأم: حس يتقوّض من جرّاء ذلك تقوّضاً لاشفاء له. إن الشعبين اللذين أفرزا أهم الأساليب هما الفرنسي والإغريقي.. هذان الشعبان لايتعلمان الأجنبية كثيراً. لكن وطالما أن التجارة بين النّاس تشهد اتساعاً عالمياً متزايداً، ومثلما أن تاجراً ـ سمساراً بلندن، مثلاً، يستطيع أن يتفاهم مع الآخرين شفهياً وكتابياً عبر ثماني لغات، يجب الاعتراف بأن دراسة عدة لغات شرٌّ لابدّ منه، لكنه شرّ سيفضي، وبعد بلوغ الذروة إلى إجبار الإنسانية على ايجاد الدواء. وفي مستقبل بعيد، غير محدد، قد توجد لغة جديدة بالنسبة إلى العالم كلّه، لغة تجارية أولاً، ثم لغة مُعمّمة للتجارة

الثقافية.... وإلاّ لماذا سيكون علم الألسنية قد درس خلال قرن قوانين الكلام. وقوّم ماهو ضروري، وثمّن القيم والنتائج في كلّ لغة من اللغات.

ـ ٤٤ ـ

اصابة مزدوجة

من يريد أن يتحرر جدّيا، فسوف يفقد دفعة واحدة وبلا أي إكراه، ميوله المشوبة بالعيوب والنقصان، وسوف تقلُّ ثورات غضبه وغيظه بالتدريج، وذلك لأنّ إرادته لن تعود ترغب شيئاً إلاّ بالمعرفة وبوسائل بلوغ هذه المعرفة، يعني تلك الحالةالمستمرة التي يكون فيها أكثر قدرة على المعرفة.

ـ ٤٥ ـ

فضيلة المرض

يحدث للمريض الملقي في فراشه أن يكتشف، في اللحظات الأخيرة، أنه مريض بسبب عمله، بسبب أشيائه أو مجتمعه حيث فقد كلّ رؤية واضحة وكلّ وعي بنفسه: يستخلص هذه الحكمة وقت الفراغ الذي أجبره عليه المرض.

ـ ٤٦ ـ

إلى الأمام

إذن هيا إلى الأمام وعلى طريق الحكمة بخطى واثقة! ولتكنْ من كنت، استفد من نبع التجربةهذا، النبع الذي أنت هو! ارم من على القمة الاستياء الذي يأتيك من وجودك، اغفر لنفسك «أنَاكَ»، لأنّ في داخلك، وعلى اية حال، سلّماً له مئات الدرجات التي تقدر بفضلها أن تسمو إلى المعرفة. هاهو العصر الذي تغتم فيه لشعورك بالنفي يعلنك سعيداً إذ تمتلك هذا الحظ. هاهو يناديك قائلا إنه يخصك دون غيرك بقسط من التجارب التي لابدّ أن يتجاوزها أناس الأزمنة الأخرى.

لاتتأفف لكونك كنت متديناً. اكتشف معنى انك انتهيت إلى الفن بأصالة. أليس لديك الآن وبفضل هذه التجارب قدرة أن تشيِّد المراحل الإنسانية السابقة عليك وذلك لأنك تفهم هذه المراحل بشكل أفضل؟ يجب أن نجرِّب حُبَّ الدين والفن كما نحبُّ أماً أو مرضعة - وإلاّ فلا وجود للحكمة. لكن ينبغي أن نرى أبعد منهما، أن نتخلص منهما بالارتفاع فوقهما. فالبقاء تحت سحرهما الفتّان يعني عدم فهمهما وإدراكهما. يجب أن يكون التاريخ بالنسبة إليك صديقاً مألوفاً، وكذلك اللعب الذكي بكفتي الميزان: «من جهة... ومن أخرى». ارجع أدراجك واقتف الآثار حيث خطّت الانسانيةمسيرتها الكبيرة - المؤلة عبر صحراء الماضي: هكذا ستكون الأكثر معرفة بالاتجاه الذي لاتستطيع الإنسانية المقبلةأو لاينبغي أن تعود منه، وفيما تحاول بجميع قواك أن تدرك حدسياً كيف أن عروة المستقبل لاتزال تنعقد باستمرار، فإن حياتك ستتخذ منها قيمة للتثقف ووسيلة للمعرفة. سيكون لديك قوة أن تعرف بأن لحظات حياتك: من محاولات، واخطاء، آثام، أوهام وميول، الحب والأمل.. كلّها تندمج بالهدف الذي حددته: أن تصير، أنت، سلسلة ضرورية في قنوات الحضارة وأن تفضي من هذه الضرورة إلى ضرورة مسيرة الحضارة الكونية الشاملة. وعندما تصبح رؤيتك من القوة بحيث تغوص في أعماق ظلمة بئر كيانك ومعارفك، فإن كوكبة من نجوم الحضارات القادمة قد تتجلي لك في طيات سماطها البرّاق. هل تعتقد أن حياة مماثلة تتجه صوب هذف مماثل صعبة جداً، خالية من البهجة والمتعة؟ إذن، لم تعرف بعد أن عسل المعرفة أعذب عسلٍ وأن النهار سيطلع حين تصير سحابة الحزن الفاترة الأنثى التي منها ستأخذ حليب رفاهيتك... لاباس! فليأت العمر، عندها ستدرك حقيقةً أنك قد أصغيت إلى صوت الطبيعة، تلك الطبيعةالتي تحكم العالم كلّه من خلال اللذة: الحياة نفسها التي تبلغ الأوج في الشيخوخة تبلغ الأوج أيضاً في الحكمة، في وضوح هذه الشمس الوديع، في ساعدة الروح الدائمة. العمر والحكمة! سوف تلاقيهما معاً على قمة الحياة الواحدة، هكذا أرادت الطبيعة. عندها سيحين

الوقت، ليس لتغضب وتغتاظ، بل لاقتراب ضباب الموت. وثبة في اتجاه الضوء ـ إشارتك الأخيرة، احتفاء بالمعرفة ـ نَفَسُكَ الأخير.

ـ ٤٧ ـ

أخطر نصير

يوجد في كلِّ حزب رجل يدفع الآخرين إلى الارتداد وذلك بالدعاية العمياء إلى مبادئ الحزب.

ـ ٤٨ ـ

المريض وناصحوه

من يقدِّم النصائح إلى مريض، فإنه وسواء سُمِعَت نصائحه أم لا يزداد شعوراً بالتفوق على المريض. ولذلك فالمرضى الأباة والحساسون يكرهون ناصحيهم أكثر من المرض.

ـ ٤٩ ـ

لماذا يعارض

غالباً مايعارض رأي ما لأن النبرة التي يُقال من خلالها تثير النفور.

ـ ٥٠ ـ

توازن الصداقة

يحدث في علاقاتنا مع كائن آخر أن توازن الصداقة الحقيقي يقوم عندما تضع في كفة ميزاننا بعض حبوب الخطأ.

ـ ٥١ ـ

متى تكون التناقضات فى مكانها

لكي نكتسب مفكرين حقيقيين إلى جانب اطروحة ما، نحتاج أحياناً إلى تقديمها بشكل متناقض مرعب.

ـ ٥٢ ـ

الانتظار

أن نجعل النّاس ينتظرون طويلاً ، هذه هي الوسيلة المؤكدة لإغضابهم وحشو رؤسهم بأسوأ الأفكار : الانتظار الطويل يجعل المرء بلا أخلاق.

ـ ٥٣ ـ

ضد الحميميين جداً

النّاس الذين يثقون بنا ثقة تامة يعتقدون انهم بذلك يحق لهم أن يحوزوا على ثقتنا بهم. هذا تفكير غير سليم. لأن الهبات التي نقدّمها لاتمنح أي حق.

ـ ٥٤ ـ

مراعاة

إرادة ألا نجرح، ألاّ نؤذي شخصاً: ذلك إمّا علامة إنصاف وإمّا علامة حياء ذهني.

ـ ٥٥ ـ

ضرورى للنقاش

من لايعرف أن يضع أفكاره في مواجهة المرآة لاينبغي عليه أن يلج نار النقاش.

ـ ٥٦ ـ

سبب الهجوم

احياناً لانهاجم كي نؤذي شخصاً او كي نهزمه فقط، بل وربما من اجل أن نسبر قوته.

ـ ٥٧ ـ

خــرَسٌ

الطريقة الأكثر إزعاجا/ً، لهذا الطرف ولذاك، في الردّ على إشكالية معينة هي التزام الصمت المغيظ: لأن المهاجم سيفهم وبشكل عادي أن هذا الخرس علامة ازدراء.

ـ ٥٨ ـ

سرّ الصديق

نادرون أولئك الذين لايتاجرون بأخطر اسرار أصدقائهم عندما يعجزون عن إيجاد موضوع للمحادثة.

ـ ٥٩ ـ

خطر الصوت

احيانا وفي المحادثة، تسبب لنا رنة صوتنا الخاص إزعاجاً وتدفعنا إلى قول أشياء لاتتطابق مع راينا نهائياً.

ـ ٦٠ ـ

الغرور الذى يلاقى غرورا

بعد لقاء بين شخصين لدى كلّ منهما غرور كبير ـ مماثل، فإنهما يأخذان

انطباعاً سيئاً الواحد عن الآخر، وذلك لأن كلاً منهما كان منشغلاً بالانطباع الذي كان يريد أن يولّده لدى الآخر بحيث أن هذا الأخير لم يترك لدى الأوّل أي انطباع والعكس صحيح. ثم ينتهيان إلى إدراك أن كدّهما راح هباءً وأن كلا منهما يضع الحق على الآخر.

ـ ٦١ ـ

قراءة بصوت مرتفع

من يقرأ قصائد دراماتيكية بصوت مرتفع يكتشف بعض طباعه، يجد صوته بالنسبة إلى بعض النبرات وبعض المشاهد أكثر طبيعيةً منه بالنسبة إلى أشياء أخري: بالنسبة إلى مايحزن أو مايضحك مثلا. في الحياةالعادية لم يكن ينقصه إلاّ فرصةأن يظهر ميوله أو تهريجه.

ـ ٦٢ ـ

مسئ ومساء إليه

من الأفضل وبدرجات أن نسئ ثم نطلب العفو على أن يُساء إلينا ثم نعفو. من يتموضع في الحالة الأولي يُظهر عن قوة وعن طباع جيدة. أما الآخر وإذا كان لايريد أن يُعتبرَ غير إنساني ـ فهو مجبر، والحالة هذه، على العفو، لأن اللذة التي يمكنه جنيها من إذلال الغير تافهة لاشأن لها بتسيب هذا الاجبار.

ـ ٦٣ ـ

فى النقاش

عندما نعارض رأي الآخر فيما نعبر عن رأينا الخاص، فإن النظر الدائم إلى الرأي الآخر يزعج ويضايق غالباً مظهر رأينا الطبيعي: يبدو بفعل ذلك أكثر حسماً وربما أكثر مبالغة.

ـ ٦٤ ـ

استقامة متجاهلة

أثناء الحديث، وعندما يستشهد أحدهم بنفسه («قلت يوما»، «من عادتي أن أقول»): فإن هذه الأقوال تعطي انطباعاً بالادعاء في حين أنها غالبا ماتأتي من مصدر معاكس تماماً، من استقامة لاتريد على أية حال أن تزين وتبهرج اللحظة الحاضرة لأفكار تنتمي إلى زمن مضي.

ـ ٦٥ ـ

على مذبح المصالحة

لانقدر في بعض الأحيان أن نحصل من شخص ما على شئ ما إلاّ بجرحه وجعله عدوّاً: الشعور بأن له عدواً يُعذِّبه لحد أنه يستغل أول إشارات اللطف والدماثة كي ينتقل إلى المصالحة ويضحي، على مذبح هذه المصالحة، بالشئ الذي كان يتمسك به جداً والذي كان لايريد إعطاءه مهما كان الثمن.

ـ٦٦ـ

تقدير خاطىء فى المجتمع

يرغب أحدهم فى أن يكون مهماً من خلال احكامه، وآخر من خلال ميوله ونفوره، وثالث من خلال علاقاته، ورابع من خلال عزلته... والجميع يفرطون فى خداع أنفسهم بشكل قاتل. لأن الذى يجرى أمامه العرض يعتقد، والحالة هذه، أنه العرض الوحيد الواجب اعتباره.

- ٦٧ -

ساعات الفصاحة

فلان مثلاً، ولكي يتكلم جيداً، يحتاج إلى مَنْ هو أرفع منه بوضوح، لكن شخصاً آخر مثلا لايعرف أن يجد حرية كاملة للكلام، بيانا ذا تراكيب ناجحة جدا إلاّ بحضور من هو أدنى منه ويستطيع السيطرة عليه: السبب واحد فى الحالتين. كلٌ منهما لايتحدث جيداً إلاّ إذا تحدّث دون مضايقة: الأوّل لأنه بحضور ذهن أرفع منه حيث لايشعر بشوكة المنافسة والمباراة، والثانى لايشعر بها فى حضور من هو أدنى منه - وهناك نوع ثالث يحتاج، كى يتكلم بشكل جيد إلى جو المزاحمة ونية الانتصار والإقناع. أيٌ نوع من هذه الأنواع الثلاثة اكثر طموحاً: هل هو النوع الذى يتكلم جيداً عندما يكون قوى الطموح ومثاراً، أم هو الذى يتكلم، وللسبب نفسه، بشكل ردئ أو لايتكلم ابداً؟

- ٦٨ -

صمام المزاج

الإنسان الذى يفشل فى شئ ما يفضّل إحالة هذا الفشل إلى سوء النية عند فلان من النّاس على أن يحيلها إلى المصادفة. يتعزى شعوره ويرتاح إذ يتخيل شخصاً وراء فشله وليست شيئاً، لأن الانتقام من الأشخاص يقع فى إطار الممكن، لكن يصعب أن نبتلع شتائم القدر ولذلك اعتادت حاشية الأمير، عندما يزعجه فشل ما، أن تسمى له شخصاً واحداً تجعله سبب الفشل وتضحى به لصالح جميع جلساء الأمير - وإلاّ فإنّ هذا الأخير سيفرّغ شحنات حقده عليهم جميعاً لأنه غير قادر على الانتقام من إلهة القدر بالذات.

أصدقـاء

إذن، قـدِّر وبشـكل نهائى كم تخـتلف المشـاعـر وكم تتبـاين الآراء، حـتى فى علاقـاتك الأقرب، كم تـختلف تـوجهات أو قـوة آراء أصدقائك المتـشابهة عـما لديك، قدِّر أخيـراً عدد فرص سوء التـفاهـم وفرص الانعزال فى هـروب عـدواني. بعد ذلك سـتقـول: ما أوهـن التربة التى تقـوم عليـها عـلاقـاتنا وصداقـاتنا، مـا أقرب زخـات المطر البـاردة أو ما أقـرب الشـوادن، ما أكـثر وحـدة كلّ انسـان! إن من يلاحظ ذلك جـيداً، ويـرى أن جمـيع الآراء - بأنواعـهـا وبقوتهـا - لدى أشـبـاهه ضـرورية وغيـر مـسـئولة. كـأفـعـالهم، إن مَنْ يقـدر على إدراك هـذه الـضـرورة الداخلية للآراء فى التشابك اللابدّ منه، تشابك المزاج، الانشـغالات، الموهبة، الوسـط، - ربما يسـتطيع أن يتجـاوز تلك المرارة المتوحشـة، مرارة الشـعـور التى دفعت الحكيم المشـهـور إلى الصراخ: «يا أصـدقاء، لم يعـد هـناك أصدقـاء نهائياً!»... أو بالأحـرى سيـقـول: نعم هناك أصـدقاء، لكن التـوهـم، والخطأ فيـمـا يخص شـخـصـيتك هـو ماقـادهـم إليك. كان عليهم أن يتعلمـوا الصـمت كى يظلوا أصدقاءك، لأن مايرسـى علاقات إنسـانية مماثلة هـو وجـود عدد من الأشـياء التى لانقـول والتى لانقتـرب منها إطلاقـاً. لكن الحصى تشـرع بالتدحرج ووراءها تأخذ الصـداقة بالتفسخ والانكسـار. هل يوجد أناس قادرون على ألاّ يشـعـروا بالجراح لحد الموت عندمـا يكتشـفون أن أصـدقاءَهـم الأكـثر حـمـيـمـية يـعرفـون عنهم كلّ شئ وبعـمق؟ حـين نتعلم أن نـعرف أنفـسـنا بأنفسـنا، أن نعتبـر وجودنا الخاص عالماً غير مسـتـقر من الآراء والأمـزجة - وهـكذا نحـتقـره بعض الشـئ -،... حـينها نرسـّخ جـيداً التـوازن مع الآخـرين. صـحـيح أنه لدينا أسباب كثيرة للاسـتـخفاف بكلّ واحد من الذين نعرفـهم وعندما يصبح أكبر، لكن توجـد أسـبـاب مماثلة لإحالة وإرجـاع هذا الشـعـور ضدنا بالذات - هـكذا نـقدر على تحمل هؤلاء وأولئك طالما نتحمل أنفسـنا. وقتـهـا ربما تأتى سـاعة الفرح حيث يقول كلٌ واحد:

«أصدقاء! ليس هناك أصدقاء أبداً!» كان يصرخ الحكيم المتوفي:

«أعداء! ليس هناك أعداء أبداً!» يصرخ المجنون الحيّ الذى هو أنا.

ـ ٧٠ ـ

المرأة التامة

المرأة التامة هى نموذج الإنسانية المتفوقة على الرجل التام: إنها من الندرة بمكان ـ والتاريخ الطبيعى للحيوانات يساعد كثيراً فى جعل هذه الأطروحة صحيحة وممكنة.

ـ ٧١ ـ

صداقة وزواج

أفضل صديق قد يكون له أفضل زوجة، لأن الزواج الجيد يقوم أساساً على موهبة الصداقة.

ـ ٧٢ ـ

خطيئة النساء المشهورات

تعتقد النساء المشهورات أن الشئ لايوجد بشكل فعلى إلاّ عندما يكون الحديث عنه ممكناً فى المجتمع.

ـ ٧٣ ـ

مرض ذكورى

الدواء الأكيد لهذا المرض الذكورى القائم على احتقار الذات هو أن تحبنا امرأة ذكية.

- ٧٤ -

حسرات وحسرات

يتحسر بعض الرجال لأن أحداً خطف زوجته، لكن الغالبية تتحسر لأن أحداً لم يشأ أن يخطف الزوجة.

- ٧٥ -

زيجات الحب

الزيجات التى تنعقد عن حب (الزواج الذى نسميه حباً)، الإثم والدها والضرورة (الحاجة) أمها.

- ٧٦ -

صداقة نسوية

تستطيع النساء أن تقيم علاقة صداقة مع الرجل، لكن وقتها يلزم من أجل استمرار هذه الصداقة ألأ يكون هناك أى تعارض فيزيقي.

- ٧٧ -

ضجر

كثيرون هم الأشخاص الذين لايشعرون بالضجر، ولا سيما النساء، وذلك لأنهم لم يتعلموا أبداً العمل بشكل منتظم.

- ٧٨ -

حشمة

عموما، تزداد حشمة النساء بازدياد جمالهن.

- ٧٩ -

زواج جيد

الزواج الذى يتماسك جيداً هو الذى يحاول فيه كلُّ طرف أن يبلغ هدفاً شخصياً من خلال الآخر. مثلاً عندما تريد الزوجة أن تكون مشهورة بفضل زوجها أو الزوج المحبوب بفضل زوجته.

- ٨٠ -

وسيلة أن نقود أيا كان إلي أي شئ!

من جراء الارتباك الكثير، والقلق، والأعمال والأفكار المضنية نستطيع إرهاق اى شخص كان لحد انه - وعوض أن يعارض شيئاً يبدو معقداً - يقبله ويقرّه. النساء والديبلوماسيون يعرفون ذلك جيداً.

- ٨١ -

أقنعـــة

هناك نساء ليس لهن حقيقة داخلية نبحث عنها عندهن، لكنهن لسن أكثر من اقنعة. ياويل الرجل الذى يرتبط بواحدة من هذه الكائنات الشبحية المخيبة بالضرورة، لكن القادرة على إيقاظ أعنف رغباته: يذهب للبحث عن أنفسهن ولا يتوقف ابداً...

- ٨٢ -

الزواج هذا الحوار الطويل

عليك ان تطرح السؤال التالى عند عقد القران: أتظن انك قادر على متابعة الحوار، وبلذه، مع هذه المرأة حتى الشيخوخة؟ والباقى فى الزواج كله عابر، لكن يرجع غالب وقت التبادل الى الحوار والمحادثة.

ـ ٨٣ ـ

الذكاء النسوى

يتجلى ذكاء النساء بصيغ وأشكال متعددة: سيطرة تامة، حضور ذهني، استغلال جميع الامتيازات. وهذه طباع أساسية ينقلنها إلى أطفالهن، ثم يأتى الأب ليضيف عليها عمق الإرادة الأكثر غموضاً. إن تأثير الأب يحدد، إن جاز القول، الإيقاع والانسجام اللذين سيتحكمان بمجرى الحياة الجديدة، لكن المرأة تقدِّم النغم. لنقل للأذهان الفطنة: للنساء قوة الإدراك وللرجال الحساسية والانفعال. وهذا لايتعارض مع كون الرجال يدفعون بذكائهم بعيداً جداً: ميولهم أكثر عمقاً، أكثر قوة، وهى التى تقود ذكاءهم إلى أبعد مايمكن، فالذكاء بذاته شئ سلبى غير فاعل. غالباً ماتندهش النساء، وبشكل سرِّي، من التعظيم الذى يكنّه الرجال لحساسيتهن. مع ذلك، وأثناء اختيار القرين، يبحث الرجال قبل أى شئ آخر عن كائن ذى قلب طيب وعميق فيما تبحث النساء عن كائن لامع ذى حضور ذهنى وفطنة. هكذا نلاحظ أن الرجل يبحث عن الرجل المثالى وأن المرأة تبحث عن المرأة المثالية: أى كلٌ منهما يبحث عن تمام سماته الخاصة وليس عن مكمّله.

ـ ٨٤ ـ

النساء في الحقد

النساء أخطر من الرجال عندما يتملكهن الحقد: أولاً، لأن أى شكل من أشكال الإنصاف لايمكنه أن يوقفهن بعد أن تثار مشاعرهن العدوانية، لابل يتركن حقدهن يبلغ آخر العواقب دون أن يزعجهن أى شئ. ثانيا لأنهن متمرسات فى إيجاد نقاط الضعف (لكلٍّ نقاط ضعفه) التى يغرس فيها قضيب الحديد المحمى بتمرس أيضاً: وعلى هذا الصعيد يقدِّم لهن عقلهن ـ وهو الخنجر الذرب ـ خدمات رائعة ـ (فى حين أن رؤية الجراح توحى للرجال بالكثير من التعقل، وغالباً موقف تسامح).

- ٨٥ -

من يتألم أكثر؟

بعد مشاجرة، وخصام شخصي بين امرأة ورجل يتألم أحدهما لكونه آذى الآخر، في حين أن الثاني يتألم لكونه لم يؤذ الآخر بما فيه الكفاية. الأمر الذي يجعله يكدُّ كي يميت حيويته عبر قوة الدموع والبكاء والهزائم.

- ٨٦ -

عمي الوالدين

الأخطاء الكبيرة في الحكم على فردٍ ما يرتكبها عادة والداه: هذا واقع ملموس، لكن كيف يمكن أن يفسَّر؟ هل خبرة الوالدين بالطفل من التنوع بحيث لايستطيعون إعادتها إلى الوحدة؟ يُلاحظ أن الرّحالة يزورون شعوباً أجنبية كثيرة ولا يدركون بشكل صحيح سماتها المميزية والعامة إلاّ في بداية إقامتهم. وبقدر مايتعلمون اكتشاف شعب ما، بقدر ماينسون كيفيةالإحاطة بالخصوصيات النموذجية. فما إن تعتاد عيونهم على الرؤية القريبة حتى يكفوا عن إدراك الأشياء البعيدة. ألأنّ الوالدين لاينظران إلى أطفالهما من على بُعد كافٍ، يحكمان عليهم بشكل غير صحيح؟ يمكن أن نقدّم التفسير التالي: العادة تجعل النّاس وقد توقفوا عن التفكير بما يحيط بهم عن قرب... تجعلهم يكتفون بقبوله كما هو. هذا النقص في التفكير الناتج عن العادة هو سبب حكم الوالدين على الأطفال حكماً غير صحيح والوالدان مضطران للحكم على أطفالهما.

- ٨٧ -

المفكر الحر والزواج

هل تستطيع الأذهان الحرّة ذات الآفاق الواسعة أن تعيش مع النساء؟ بشكل

عام، أعتقد أنها مثل عصافير القديم النبوية تفضل ـ وهى التى تفكر بحقيقة الحاضر وتبشر بها ـ الطيران وحيدة.

ـ ٨٨ ـ

حيث يتنافر نغمان

تريد النساء أن يخدمن وفى ذلك يجدن سعادتهن: لكن الذهن الحرّ لايريد أن يكون مخدوماً وفى هذا سعادته.

ـ ٨٩ ـ

Xanthippe

لقد وجد سقراط المرأة التى كانت تلزمه ـ لكن لو أنه عرفها من قبل جيداً لما بحث عنها: حتى بطولية هذا المفكر الحر لم تكن لتذهب إلى ذاك الحد. والواقع أن xanthippeدفعته دوماً إلى الأمام فى قضيته الأصلية وذلك عندما جعلت مسكنه مستحيل السكن، بيته جافاً غير مضياف: هى التى علّمته أن يعيش فى الشوارع وفى جميع الأمكنة حيث كانت الثرثرة والاستهتار ممكنين. هكذا جعل من نفسه أكبر جدلى فى شوارع أثينا. وفى النهاية لم يستطع إلاّ أن يقارن نفسه بنُعْرَةٍ وضعها الإله فوق رقبة فرس أثينا الجميلة كى تحرمها متعة الهدوء والراحة.

ـ ٩٠ ـ

جيوش وطنية

إن أخطر سيئات الجيوش الوطنية العظيمةهى تبذير رجال ذوى ثقافةعالية، رجال لاينوجدون إلاّ بفضل جميع الظروف. فبأى اهتمام دقيق وعناية خاصة لاينبغى أن نعاملهم! إذ يجب ردح من الزمن لخلق ظروف جسورة تنتج مثل هذه

الأمـخـاخ ذات التنظيم المعـقـد الصـعب! لكن ومـثلمـا كـان الإغـريق يسـفكون الدم الإغريقى أنهارا.. وهكذا يفعل اليوم الأوروبيون بالدم الأوروبى - فإن الرجال ذوى الثقافة العـالية هم الضـحـايا اليوم وبنسبـة عالية، هم الذين كـانوا يسـتطيعـون ضـمـان ازدهار وافـر المزايا والسـمات. وذلك لأنهم، هم أيضـاً، الذين نجـدهـم أثناء المعارك فى الصـفـوف الأولى بصـفتهم قادة، وبالتالى هـم الذين يتـعرضـون للخطر أكثـر من غيـرهـم طالما أن طموحـهم هـو الأسمي... فـفـى زمن يشـهد عـلى انقراض مـهمات أعلى وأسـمى من «وطن، شـرف» ، يبدو أن هـذه النزعةالوطنية البدائية علي الطريقـة الرومـانيـة، إمّا أن تكون عـقـيـدة فـاسـدة وإمّا أنـهـا عـلامـة من عـلامـات التخلف والانحطاط.

- ٩١ -

حـــرب

يمكن أن نقـول بحق الحـرب: إنّها تخـبـل المنتـصـر وتجـعل المـهـزوم شـريراً، ولصـالحـها يمكن أن نقـول: إنها ومن خـلال النتيـجـتين السـابقتين تـولّد البربرية وتقـرّب من الطبـيعـة. إنّهـا نعاس أو فـصـل أمطار الحـضـارة يخرج الإنسـان منها أقوى إن خيراً وإن شـراً.

- ٩٢ -

أخطر الأذهان الثورية

من بين الأذهان الحـالة بقلب المجتـمع نميـز الذين يريدون الحـصـول على شـئ لهم بالـذات، والذين يريدون هـذا الـشـئ لأطفـالهم وأحـفـادهم: هـؤلاء هـم الأخطر لأنهم يؤمنون بالتـرفع ويعـونه. أما الآخرون فـيمكـن أن نعطيهم عظمـاً يتـسلـون بعـضـه: الطبـقـة المسـيطرة غنيـة فى ذلك ومـاهـرة. إن الخـطر يبـدأ عـندمـا تكون الأهداف غير شـخـصـيـة. والثوريون الذين تحركهم أهداف غير شـخـصـيـة يعتبرون

أن جميع المدافعين عن النظام الاجتماعى القائم مستفيدون بشكل شخصي، وبالتالى يشعرون بالتفوق عليهم.

- ٩٣ -

فخور بأجداده

من الممكن أن يُفخَرَ بسلالة من الأجداد، سلالة غير منقطعة وحتى الأب. لكن ليست بالسلالة ذاتها ولذاتها، لأن لكلٍّ واحد سلالته. الانحدار من أجداد جيدين هو الذى يُوجِدُ أصالةَ نبل الولادة، وانعدام حلقة واحدة من هذه السلسلة - أن يكون هناك جدٌّ سيئ مثلاً - يكفى لإلغاء نبل الولادة هذا. فإلى من يفخر بنبله ينبغى أن نتوجه بالسؤال التالي: هل بين أجدادك جدٌّ واحد عنيف، جشع، فاجر، شرير، فظ؟ فإن استطاع أن يجيب: كلا، وهو مقتنع بذلك فى داخله وفى وعيه فمن اللازم أن نسعى وراء صداقته.

- ٩٤ -

قيـــاس

إنّ صلابة الفكر والبحث، أى الفكر الحر الذى صار سمة من سمات الطبع، تضمن سلوكاً متزناً، تُضعِفُ النزوات، وتشدّ إليها قدراً كبيراً من الطاقة المتوفرة لصالح الطموحات الثقافية، وتظهر الفائدة القليلة أو خطر، ولا فائدة جميع التغيرات الفجائية.

- ٩٥ -

انبعاث الروح

عموما، عندما يمرض شعب سياسياً، فإنّه يستأنف الحياة بشكل فطرى ويعثر على روحه التى أضاعها بالتدريج فى البحث والتمسك بالقوة. والحضارة تدين بأسمى قيمها إلى فترات الضعف السياسي

- ٩٦ -

الأفكار الجديدة في البيت العتيق

انقــلاب الأفكار لايليه مـباشـرة انقـلاب المؤسـسـات، فـالأفكار الجـديدة تسكن ولوقـت طويـل بـيت الأفكار السـابقـة المقـوّض، لابل تُعنى بـه إذ ليس لها مكان تنام فيه.

- ٩٧ -

أعداء الحقيقة

الاعتقادات الراسخة هى أعداء الحقيقة وهى أكثر خطراً من الأكاذيب.

- ٩٨ -

الشىء الوحيد الضرورى

هناك شيء واحد ضـرورى للامـتـلاك: إمّا ذهـن خـفـيف بالطـبـيعـة وإمّا ذهن يلطفه الفن والمعرفة

- ٩٩ -

لاتذهبوا في العمق كثيراً

الذين يفهمون أعماق قضية ما قلّما يظلّون أوفياء لها أبداً. ذلك لأنهم أخرجوا هذه الأعماق إلى الضوء: وهنا كثير من القبح اللابدّ من رؤيته.

- ١٠٠ -

وهم المثاليين

جميع المثاليين يتصـورون أن القضايا التى يخدمونها هى أساسـاً أفضل من

جميع قضايا العالم الأخرى ويرفضون الاقتناع بأنّ قضيتهم تحتاج، كي تخف قليلاً، إلى الزبل النتن الضرورى لجميع المشاريع الإنسانية الأخري.

ـ ١٠١ ـ

نبيل من دون إرادته

يسلك الإنسان سلوكاً نبيلاً من دون إرادته عندما يعتاد على ألا يطلب شيئاً من الآخرين، على أن يعطيهم باستمرار.

ـ ١٠٢ ـ

شرط البطولة

عندما يريد فلان أن يكون بطلاً، ينبغى أولاً على الثعبان أن يصير تنيناً، وإلاّ سوف تفتقرون إلى العدو المراد.

ـ ١٠٣ ـ

وسط الطبيعة

إذا كنّا نحب أن نكون وسط الطبيعة تماماً، وسط عريها، فذلك لأنه ليس للطبيعة رأى فينا.

ـ ١٠٤ ـ

بالتجربة

عبثية شيء ما ليست سبباً ضد وجوده، لكنها بالأحرى شرط هذا الوجود.

ـ ١٠٥ ـ

حقيقـــة

لا أحد يموت اليوم من الحقائق المميتة: إذ يوجد كثير من الأدوية الناجحة.

ـ ١٠٦ ـ

رؤية أساسية

ليس هناك انسجام موجود مسبقاً بين تقدّم الحقيقة ورفاهية الإنسانية.

ـ ١٠٧ ـ

نسيان الخبرات

من يفكر كثيراً، وبشكل موضوعي، ينسى خبرات حياته بسهولة لكن ينسى الأفكار التى اكتسبها من هذه التجارب بسهولة أقل.

ـ ١٠٨ ـ

فضيلة الخصوم الحمقى

يحدث ألا نظلّ أوفياء لقضية ما إلاّ لأن خصومها يصرون على البقاء حمقي.

ـ ١٠٩ ـ

مهمات ثقيلة جداً

من يتصدى علناً لمهمات كبيرة، ثم يجد فيما بعد أنه ضعيف جداً أمامها ولم يعتد أيضاً على امتلاك قوة خيانتها علنا، يصبح بالضرورة مدعياً.

ـ ١١٠ ـ

تجسد الروح

عندمـا نفـكـر كـثيراً وبـذكـاء، لايتـغـيـر الوجـه فـقـط، بل إن الجـسـد بكامله يلبس الذكاء.

ـ ١١١ ـ

حب وحقد

الحب والحقد ليسا أعمـيين، لكـن تعميهمـا النّار التى يحـملانها مـعهـما فى كلّ مكان.

ـ ١١٢ ـ

اعتراف

ننسى خطيئتنا حالما نعترف بها لإنسان، لكن هذا الإنسان لاينساها عادة.

ـ ١١٣ ـ

فكرة اليوم الأولى

أفضل وسـيلة لبدء كلّ نهار هي: أن نتسـاءل لحظة الاسـتيقـاظ إذا كنا قادرين، فى ذلك اليوم، على أن نسـعد شخصاً مـا على الأقل. إذا استطاعت هذه الفكرة أن تجد حظها من الوجـود وتحلّ محلّ العادة الدينية، أى مـحلّ الصلاة، فإن أشباهنا سيجدون فضيلة فى هذا التغير.

ـ ١١٤ ـ

عمر الحقيقة

يحب الشباب الشيء المشوّق، الممتع، الغريب، ولا يهمّ إن كان صحيحاً أو مزيفاً. الأذهان الأكثر نضجاً تحب من الحقيقة جوانبها المشوّقة، الغريبة. وأخيراً، العقول الناضحة تماماً تحب الحقيقة حتى عندما تكتسي مظهراً بسيطاً جداً وعارياً يوحي بالنسبة إلى العامة بالضجر، لأنهم لاحظوا بأن الحقيقة لاتقول أبداً ماليديها، ولا تكشف عما لديها من لطافة الروح إلاّ في جوٍّ من البساطة.

ـ ١١٥ ـ

امتلاك رؤية فلسفية

نحاول عادة أن يكون لنا طرق رؤية ذي طبيعة واحدة، موقف نفسي واحد من جميع حالات وحوادث الحياة، وهذا بالتحديد مانسميه امتلاك رؤية فلسفية. من الأفيد ولإغناء المعرفة الا نجِّد أنفسنا بهذا الشكل، أي ألاّ نعيش ضمن هذه الرؤية فقط، بل يجب أن نصغي جيداً إلي الصوت الرزين، صوت حالات الحياة المتنوعة، لأن هذه الحالات تحمل في داخلها طرق رؤيتها الخاصة. أنئذٍ تشارك وبفضل المعرفة في حياة وطبيعة الكثير من الكائنات... تشارك فيها منذ اللحظة التي لانتعامل فيها مع أنفسنا كأفراد واحديين، ثابتين، لانتغير.

ـ ١١٦ ـ

بين أصدقاء

قصيدة الختام

ـ ١ ـ

جميل أن نسكت معاً

والأجمل أن نضحك معاً

تحت خيمة سماء حريرية،

الظهر ملتصق بطحالب الزّان

ضحكٌ بين أصدقاء، قهقهات ودية

أسنان بيضاء تتكشف.

هل أصبتُ، سوف نسكت

هل أَثمتُ ـ، إذن فلنضحك

ولنأثمْ أكثر فأكثر

نأثمُ أكثر، نسخر أكثر

وفي النهاية تنتظرنا حفرة.

هذا ياأصدقائي! هل نستحقه فعلاَ؟

ليكن! وإلي اللقاء!

ـ ٢ ـ

لا أعذار! لاعفو!

أنتم السعداء، أحرار القلب

هل لكمِ أن تفتحوا القلوب، الآذان والمرقد

لهذا الكتاب اللاباعث له

تأكدوا ياأصدقاء أن هذياني

لايستدعي اللعنات!

أنا ـ ما أجد، ما أبحث عنه

أي كتاب سيتحدث عنه؟

كرِّموا نسل المجانين فيّ

هذا كتاب مجنون، تعلموا منه كيف يرتد العقل... إلى الصواب

هذا يا أصدقائي! هل تستحقونه؟

ليكن! وإلى اللقاء.

ـ ١ ـ

سعادة المؤرخ

«عندما نصغي إلى الميتافيزيقيين الأذكياء المولعين بالغيب، نشعر، نحن الآخرين، بأننا فقراء الروح، لكن نشعر ايضاً بأن مملكة التغير السماوية هي ملكنا بربيعها وخريفها، بشتائها وصيفها، وبأن الغيب لهم بضبابه وظلاله اللامتناهية، الجامدة والرمادية» ـ هكذا كان يتحدث رجل إلى نفسه وهو يقوم بنزهته رفقة الشمس الصباحية، رجل لايتوقف روحه ولا قلبه عن التحول في معاشرة التاريخ، رجل سعيد لأنه، وبعكس الميتافيزيقيين، يحتضن في داخله ليس «نفساً واحدة لاتموت» لكن كثيراً من الأنفس القابلة للموت.

ـ ٢ ـ

شجاعة أن تكون مضجرا

من لايملك شجاعة أن يجعل من عمله ومن ذاته تحديداً شيئاً مضجرا فليس لديه ذهن من الدرجة الأولي، سواء على صعيد الفن أو على صعيد العلم. ـ الساخر الذى قد يكون مفكراً، وبشكل استثنائي، ربما يستطيع أن يضيف العبارة التالية بعد أن يلقى نظرة على العالم والتاريخ: «الله لم يمتلك هذه الشجاعة، لقد أراد، وفعل ذلك، أن تكون جميع الأشياء ممتعة جداً».

ـ ٣ ـ

المزعوم «الواقع الواقعى»

عندما يصف الشاعر أنواعاً متعددة من المهن، مثل مهنة قائد الجيش، مهنة حائك الحرير، مهنة البحّار، يتظاهر بمعرفة هذه الأشياء معرفة عميقة وبأنه عالم

حقيقي بها. ثم إذا انتقل إلى شرح الأفعال والمصائر الإنسانية، فإنه يتصرف كما لو أنّ لوحة العالم كلّها قد نسجب ونشرت بحضوره. بهذا المعنى هو خدّاع. خدّاع يخدع جمعاً من الجهلة، وفي هذا بالتحديد يكمن سبب نجاحه: فالنّاس يمدحونه لمعرفته الأصيلة العميقة ويحملونه على الاعتقاد بأنه يعرف حقيقة الأشياء كالخبير الذى أنشأها، لابل كعنكبوت جميع العوالم. على هذا المنوال ينتهي الخدّاع إلى الإخلاص، إلى الايمان بصدقه الخاص. يحدّثه ذوو الحساسية عن أنه يمتلك الحقيقة والصدق الساميين، وذلك لأنهم يعتبون من الواقع وبالتالي يستقلبون حلم الشاعر بصفته استجماماً، ليلة ناجعة للراس والقلب. مايظهره لأعينهم هذا الحلم يبدو لهم من أثمن الأشياء، إذ يشعرون بفائدته ونفعه: اعتقد النّاسُ دوماً أن المظاهر الأثمن هي الأصح، هي الأكثر واقعية. الشعراء الذين يعون قوتهم، يحاولون عمداً تحقير ما اصطلح على تسميته واقعاً، يحاولون إعطاء هذا الواقع هيئة اللامؤكد، هيئة الغريب، المزيف، هيئة الخطيئة، الألم والوهم، يستغلون جميع الشكوك في نهايات وحدود المعرفة، وجميع مبالغات النزعة الارتيابية من أجل أن يبسطوا فوق الأشياء الحجب المتموجة، حجب اللايقين، طالما أن أقوالهم ـ وبعد هذه التغطية التي نراها في رقيهم، سحرهم البسيكولوجي دون أن نفكر بذلك كثيراً ـ هي طريق «الحق الحقيقي»، طريق «الواقع الواقعي».

ـ ٤ ـ

قوة بلا انتصارات

المعرفة الأقوى (معرفة عبودية الإرادة الإنسانية) هي الأفقر في تحقيق النجاحات: لأن لها وباستمرار خصماً أكثر قوة، اي الغرور الإنساني.

- ٥ -

مع الغيرة ودون طبلة

تأخذ الغيرة العادية بالقوقأة حالما تضع الدجاجة، التى هى موضوع الغيرة، بيضة: هكذا تشعر بالتعزية فتهدأ. لكن هناك غيرة أعمق: تصمت هذه الأخيرة فى حالة مماثلة صمت الموتى وتصير، إذ ترغب أن يغلق كلّ فمٍ حائلاً، أكثر تفجيراً من أى شئ آخر. الغيرة الصامتة تكبر فى الصمت.

- ٦ -

العقاب والثواب

لاأحد يتهم دون أن يغذى فى داخله خلفية فكرية العقاب والثأر - حتى وإن كان يتهم قدره أو نفسه. كلُّ شكوى اتهام، كلّ رضى مديح: فى هذا أوفى ذاك، تلقى المسئولية على شخص آخر باستمرار.

- ٧ -

الجور مرتين

أحيانا نجعل الحقيقة تتقدم عبر جور مضاعف، وذلك عندما نشاهد ونكتشف جانبى شئ ما جانباً بعد الآخر، لانستطيع أن ندركه مجموعاً، لكن نراه بحيث نتجاهل أو ننكر كلّ مرة الجانب الآخر، معتقدين أن مانراه هو الحقيقة كلّها.

- ٨ -

فلسفة البلوغ

إذا أراد أحد أن يكون هاماً، فعليه أن يحترم ظلّه.

ـ ١٠ ـ

بماذا نري المثالى

كلُّ إنسان قادر يتيه فى قدرته التى تحرمه النظر إلى الخارج بحرية. ولو لم تكن لديه حصته من اللاكمال لما استطاع، بسبب فضيلته، ان يبلغ أية حرية أخلاقية وثقافية. عيوبنا هى العيون التى نرى بها المثالي.

ـ ١١ ـ

انطباعات عفوية

بحضور ورعين وكفار

ينبغى أن يكون الرجل الورع محلّ احترامنا: لكن ايضاً الرجل الزنديق المخلص جداً والمقتنع جداً بزندقته. فعندما نكون مع أناس من هذا النوع الأخير وكأننا بحضور جبل عالٍ يحتضن أغزر المنابع وأقوى الأنهار، فإننا سنكون مع الورعين كمن يكون تحت أشجار مليئة بالأنساغ تقدّم ظلالها بهدوء.

ـ ١٢ ـ

الشاعر المستشرف طريق المستقبل

بقدر مايبقى لدى رجال اليوم قوة شعرية زائدة لاترهق نفسها فى صياغة أشكال الحياة، بقدر ماينبغى تكريسها، بلا أى تسريب، من أجل هدف واحد، وليس من أجل رسم صور الحاضر ولا فى سبيل إحياء وشعرنةالماضي، بل من أجل استشراف طريق المستقبل: ـ شريطة الا يعنى ذلك أن مهمة الشاعر هى ـ وعلى غرار طوباوى الاقتصاد السياسى ـ أن يجسّد فى صوره ظروف حياة أفضل بالنسبة إلى الأمة والمجتمع وان يجسّد وسائل تحقيق ذلك. إن الشاعر مثل

فنانيّ العصـور القديمة الذين لم يكفّوا عن إعادة إنتاج صور الآلهة، سيعيد خلق جمال الصورة الإنسانية بشكل غير متناهٍ مترصداً تلك الحالات التى تحافظ على إمكانية وجود النفس الكبيرة والجميلة ـ بلا تصنع أو زوغان أو انكسار ـ فى وسط عالمنا وواقعنا الحديث وحيث تستطيع اليوم أيضا، الاندماج فى حالات متناسقة، متوازنة تقدر خلالها على الظهور للأعين، تقدر على الاستمرار وعلى ممارسة فضيلتها ـ المثال، وبالتالى على خلق المستقبل إذ تثير الرغبة بلا توقف. قد تمتاز أعمال هؤلاء الشعراء بالظهور مصونةً بلهيب الانفعالات والشهوات: إثم عضال، إيماءة تحطم القيثارة البشرية، ضحكات ساخرة، صرير أسنان، كلُّ المأساوي، كلُّ الكوميدى بالمعنى القديم والمألوف. سنشعر فى هذه الأعمال وبالقرب من هذا الفن الجديد، بقدامةٍ وعرة، بإذلال فظ لصورةالإنسان. قوة، طيبة، وداعة، نقاء، مقياس بكر عفوي، فى الأشخاص وفى أفعالهم. تربة موحدة تُطمئن القدم وتسعدها. سماء مضيئة تنعكس فوق الوجوه والمناظر. المعرفة والفن مصاغان فى وحدة جديدة. العقل بلا غطرسة ولا غيرة يسكن مع أخته، النفس، مستخرجاً من التعارض اللطف وْالجدية وليس نفاذ الصبر والانشقاق، ـ كلّ ذلك سيكون الجوّ المحيط والعام، مثل جوهر الذهب الذى سيكون معيار الفروقات الدقيقة للمثل التى تجسّد الصورة الحقيقية، صورة العظمة الإنسانية المتنامية باستمرار ـ طرق كثيرة تقود من غوته إلى هذا الشعر، شعر المستقبل. لكن يلزم روّاد حقيقيون وتلزم قوة أكبر مما لدى شعراء اليوم...

ـ ١٣ ـ

ماهية الانحراف الذي يقود إلي الجميل

إذا تطابق الجميل مع المستحب (وهذا ماكانت تغنيه ربات الفن قديماً) فإن النّافع هو الانحراف الضرورى الذى يقود إلى الجميل. بمقدوره أن يدحض اللّوم

القصير النظر، لوم رجال اللحظة الحاضرة الذين يرفضون الانتظار ويعتقدون بلوغ كلّ شيء جيد بلا انحراف أو دوران.

- ١٤ -

ارضاء النخبة

عندما نرضى بفننا «نخبة عصرنا»، فذلك علامةعلى أننا لن نرضى نخبة العصر المقبل: ومع هذا يصح القول «عشنا على مرّ العصور» - فرضى النخبة يضمن المجد.

- ١٥ -

اللغة والمشاعر

ان يكون اللسان غير معطى لنا كى نوصل المشاعر، فهذا مانراه لدى بسطاء النّاس الذين يخجلون من البحث عن كلمات لانفعالاتهم العميقة: لايعبرون عنها إلاّ من خلال الأفعال، وحتى هنا يخجلون كثيراً إذا بدا أن الآخرين عرفوا الأسباب. بين الشعراء الذين رفضت العناية الإلهية منحهم هذه الحشمة عموماً، نجد أن الأكثر نبلاً هم الذين يستخدمون لغة المشاعر والعواطف استخداماً مقتضباً جداً ويخونون فيها كثيراً من الضرورات: بينما نجد أن الشعراء العاطفيين ليست لديهم أية حشمة فى الحياةالعملية.

- ١٦ -

إلي شعراء المدن الكبرى

لدى رؤية حدائق شعر اليوم، نكتشف أن مواخير المدن الكبرى قريبة منها

جداً: حتى فى عطر ورودها يمتزج شيء مايفوق القذارة والغثيان. أسألكم بكثير من الألم: أيُّها الشعراء، هل تحتاجون أن تلتمسوا للعرّافة الخبث والدنس كلّ مرة تعمّدون فيها بعض الانطباعات البريئة؟ أمن الواجب أن تضعوا فوق إلهتكم النبيلة قبعة سافرة، قناعاً شيطانياً؟ لكن من أين تأتى هذه الحاجة، هذه الضرورة؟ من كونكم تسكنون قريباً جداً من المواخير.

ـ ١٧ ـ

ضد ناقدي الإيجاز

مايقال بشكل موجز يمكن أن يكون ثمرة وحصاد كثير من الأفكار التى خضعت لتأمل طويل: لكن القارىء المبتديء فوق تربة مماثلة والذى لم يتأمل فيها جيداً، يجد فى كلّ تعبير موجز شيئاً من الجنينية وكأنه يريد لوم الكاتب الذى تجرأ أن يقدّم له مع الوجبة هذا النوع من الغذاء الأخضر الخارج لتوّه من الأرض.

ـ ١٨ ـ

الشاعر والواقع

ربة فن الشاعر الذى لم يُغرم بالواقع لن تكون إطلاقاً الواقع ولن تعطيه إلاّ أطفالاً بعيون غائرة وعظام هشة.

ـ ١٩ ـ

الوسائل والغاية

الغاية لاتبرر الوسائل فى الفن: لكن الوسائل النبيلة يمكن أن تجعل الغاية نبيلة.

ـ ٢٠ ـ

أردأ القراء

أردأ القراء هم الذين يتصرفون على طريقة الجنود النهّابين: يأخذون هذا أو ذاك، أى مايمكن أن يحتاجوا إليه، يوسخون الباقي، ثم يرغون ويزبدون ضد الكلّ.

ـ ٢١ ـ

الاسم علي صفحة العنوان

أن يكون اسم المؤلف على كتابه، فذلك أصبح من العادات أو صار واجباً تقريباً، وهذا سبب رئيسى لقلة تأثير الكتب. لأنهاإن كانت جيدة، فهى تساوى أكثر من الأشخاص بصفتها الجوهر والخلاصة، لكن إذا أراد الكاتب أن يُعْرَفَ مع العنوان، فإن القاريء سيخفف الخلاصة ويجعلها محلولاً باهتاً بإضافة العنصر الشخصي، لابل الحميمي، وبالتالى لايبلغ الكتاب هدفه. إنّه طموح العقل الا يكون الظهور بشكل فردى.

ـ ٢٢ ـ

قليل وبلا حب

كلُّ كتاب جيد مكتوب لقاريء محدد ولمن يشبهونه، ولهذا بالتحديد يرفضه القراء الآخرون، ترفضه الغالبية: هذه علة أن شهرته ترتكز على قاعدة ضيقة ولا تنبنى إلاّ ببطيء. الكتاب العادى والرديء مشهور، معروف لأنه يريد وبالتحديد الإعجاب، ويعجب فى الواقع كثيراً من النّاس.

- ٢٣ -

الشباب والنقد

نقدُ كتاب ما يعنى بالنسبة إلى الشباب ألا يفتحوا أبوابهم أمام فكرة إنتاجية واحدة وأن يحموا أنفسهم منها بالأيادى والأقدام كما لو أنها شيطان رجيم. إن المراهق يعيش حالة دفاع شرعى ضد كلّ جديد لايستطيع أن يعشقه وبالتالى يرتكب غالب الأحيان وكلّ مرة جريمة زائدة.

- ٢٤ -

كلُ بداية خطر

للشاعر أن يختار: إمّا أن يثير المشاعر درجة فدرجة ويقودها فى النهاية إلى كثافة حادة جداً، وإمّا أن يهاجم فجأة ويشدّ حبل الناقوس بكل قوة منذ البداية. لكلّ واحد من هذين الإجرائين خطره: فى الحالةالأولى قد يتخلى عنه السامع ضجراً، وفى الحالة الثانية خوفاً.

- ٢٥ -

لصالح النقاد

الحشرات تلدغ، ليس عن أذية، لكن لأنها هى الأخرى تريد أن تعيش أيضاً. كذلك النقاد، يريدون دمنا لا الامنا.

- ٢٦ -

ثلاثة مفكرين يعادلون عنكبوتاً

فى كلّ مذهب فلسفى يتتابع ثلاثة مفكرين على الشكل التالي: الأوّل يعزز المجاجة، والثانى يسحب منها الخيوط وينسج نجمة اصطناعية، الثالث يكمن فى هذه النجمة للضحايا التى ستأتى وتهاجم - ويحاول العيش من الفلسفة.

ـ ٢٧ ـ

إنسانية صديق ومعلم

«أنت، اذهب من جهة الشرق، أما أنا فسوف آخذ طريق الغروب» الشعور بهذا الشكل هو علامة نبيلة من الإنسانية فى العلاقات القوية. انعدام هذا الشعور بسبب تحوّل كلّ صداقة، كلّ علاقة بين المعلم والتلميذ إلى نوع من الرياء.

ـ ٢٨ ـ

لمحتقري «الإنسانية القطيعية»

من ينظر إلى النّاس كقطيع ثم يهرب منهم حالما يستطيع، فإنهم سيدركونه بالتأكيد ويضربونه بقرونهم.

ـ ٢٩ ـ

الصداقة الجيدة

تولد الصداقةالجيدة عندما نحترم الآخر كثيراً، ولنقل أكثر من ذواتنا، وعندما نحبه أيضاً، لكن ليس بقدر مانحب انفسنا، وأخيراً عندما نعرف، كى نجعل التبادل أكثر سهولة، أن نضفى عليها سمة وزغباً من الحميمية، على أن نتجنب، وبحكمة، الحميمية الواقعية الحقة، والخلط بين الأنت والأنا.

ـ ٣٠ ـ

الأصدقاء الأشباح

عندما نتحول كثيراً ونتغير بقوة، فإن أصدقاءنا الذين لم يتغيروا يصيرون أشباح ماضينا الخاص: تصلنا أصواتهم بنبرةمبهمة تجمّدنا كما لو كنّا نسمع أنفسنا، لكن أكثر شباباً وقساوةوحموضة.

- ٣١ -

اصطناع الحذر

ما إن نرى أنه يجب على فلان أن يتصنع الحذر فى علاقاته ومحادثاته معنا حتى يتكون لدينا الدليل القاطع بانه لايحبنا أو لم يعد يحبنا.

- ٣٢ -

عندما يساوي سلاح سلاحين

إنّها معركة غير متعادلة عندما يدافع فلان عن قضيته برأسه وقلبه، والآخر برأسه فقط. ضد الأول، تقف الشمس والرياح، وهكذا ينزعج سلاحاه الواحدُ تلو الآخر: يخسر الجائزة - فى نظر الحقيقة. بالمقابل، فإن نصر الثانى بسلاحه الوحيد قلما يكون نصراً وفق قلوب المتفرجين الآخرين الذين ينظرون إليه بشكل غير جيد.

- ٣٣ -

عندما يكون الخطر أكبر

قلما نتعب أو تنزعج قدمنا مادمنا نتقدم فى الحياة بمشقة وإرهاق، لكن يبدأ التعب عندما نبدأ بالارتياح واختيار الطرق السهلة.

- ٣٤ -

الطفل الخالد

يُعتقد أن الأسطورة واللعب ينتميان إلى عالم الطفولة، ما أقصى نظرنا! كما لو أننا نود العيش بلا حكايات ولا ألعاب أيا كان عمرنا! ليست الأفكار والمشاعر

التى لدينا عن الأسطورة واللعب واحدة، وهذا يرجع أنهما نفس الشيء: ـ لأن الطفل يشعر أن فى اللعب مهمته وأن فى الحكاية حقيقته. هذا ماينبغى أن يجنبنا، ولقصر الحياة، التفريق المتكلف بين الأعمار ـ كما لو كان كلّ عمر يحمل شيئاً جديداً ـ ولا بدّ من شاعر كى يمثّل إنسانَ المائتى عام، أى الإنسان الذى يعيش بلا أساطير ولا ألعاب.

ـ ٣٥ ـ

ارتفاع وانخفاض فى الجنسية

يحدث أن تقود عاصفة الرغبات الرجل إلى ارتفاع تصمت فيه جميع الرغبات ويأخذ بالحب الفعلي: يلتذ بحياة أفضل من خلال وجوده أكثر من التذاذه بها من خلال إرادته. بالمقابل، غالبا ماتهبط امرأة طيبة القلب حتى إلى الرغبة، وذلك بسبب حب حقيقي: هكذا تنحطّ فى نظرها الخاص. هذا جزء من الأشياء الأكثر إثارة التى يمكن أن يقدمها تصورنا عن الزواج السعيد.

ـ ٣٦ ـ

كلُّ فلسفة هي فلسفة عمر في الحياة

العمر الذى وَجَدَ أثناءه فيلسوف مامذهبه يتكشف فى هذا الأخير. ولا يمكن للفيلسوف إخفاء ذلك أو منعه مهما علا شعوره فوق الزمن والساعة. هكذا تبقى فلسفة شوبنهاور انعكاس مرحلة الشباب الحادة السوداوية، ـ إنها ليست فكراً من أجل أناس من عمر معين. كذلك فلسفة أفلاطون تستدعى الثلاثينات من العمر حيث يتقاطع تياران: ساخن وبارد، يتقاطعان بهدير عجيب، الأمر الذى يولّد عجاجاً، سحاباتٍ ضخمة، كما يولّد انعكاساً فاتناً لقوس قزح، ولا سيما إذا سمحت الظروف وأشعة الشمس.

ـ ٣٧ ـ

المرأة تحقق، الرجل وعد

فى المرأة، تكشف الطبيعة عما استطاعت أن تنجزه لحد الآن فى عملها على الصورة البشرية، وفى الرجل تكشف عن الصعوبات التى اجتازتها من أجل ذلك، لكن تكشف فيه أيضاً عما تعزم على فعله فيما يخص الكائن البشري... المرأة المتحققة تجسد فى كلّ عصر بطالة المبدع كلّ سبعة أيام من الحضارة، واستراحة الفنان من عمله.

ـ ٢٨ ـ

ألا نتجنب مشاعرنا

النصيحة النسوية القائلة: لاتخف من مشاعرك، لم تعد تعنى إلاّ أن تأكل ماتريد. ومن الممكن أن يكون هذا قاعدة جيدة تناسب جميع الأيام ولا سيما بالنسبة إلى الطبائع المعتدلة. لكن سينبغى على طبائع أخرى أن تعيش وفق مبدأ آخر: «عليك أن تأكل ليس بالفم فقط، بل وبالرأس أيضاً، وذلك كى لايقودك نهم الفم إلى الخراب».

ـ ٣٩ ـ

نفوس من معدن واحد

تعتقد النساء والفنانون عندما لايعارضهم أحد، أن ذلك بسبب استمالة معارضتهم. الاستحسان لأسباب عشرة والاستهجان ضمناً لأسباب عشرة أخري، يبدو لهن ـ لهم هذا بصفته عجزاً عن الاتفاق لأن نفوسهم من معدن واحد.

ـ ٤٠ ـ

القرف من الحقيقة

النساء مخلوق تشبه الحقيقة وكلُّ مايتعلق بالرجل مثل الحب، الطفل المجتمع، معنى الحياة يسبب لهن قرفاً ويبحثن عن الثأر ممن يفتح لهن عيونهن.

ـ ٤١ ـ

مصدر الحب الكبير

من أين تأتى رجلا ما العواطف المفاجئة، العمقية، الحميمة تجاه امرأة معينة؟ الجنس هو آخر الأسباب، لكن عندما يجد الرجل الأشياء التالية فى كائن واحد: الضعف، الحاجة إلى المساعدة والصلف فى آن واحد، ينتابه شيء ما كما لو أن روحه ستفيض: إنّه، وفى الوقت نفسه، منفعل ومهان. وعلى هذا المستوى يتفجر منبع الحبّ الكبير.

ـ ٤٢ ـ

عجائز متباهون

العمق ينتمى إلى الشباب والوضوح إلى الشيخوخة. وعندما يحدث أن يتكلم العجائز ويكتبوا على طريقة الأذهان العميقة، فذلك بدافع التباهي، إذ يعتقدون أنهم يضفون على الجمال رائحة الفتوة، خلقة فى طريق التكوّن، حدساً ورجاءً.

ـ ٤٣ ـ

محق بالنسبة إلي الجنسين

وافق امرأة على أنّها محقة، فلن تستطيع إلاّ أن تضع قدمها وبانتصار على عنق المهزوم ـ يلزمها أن تتلذذ بنصرها حتى النهاية. فى حين أن الرجل عندما

يعارض رجلاً أخراً يخجل من كونه محقاً. الرجل معتاد على النصر بينما المرأة تعرف ذلك استثناءً.

ـ ٤٤ ـ

من حين إلي آخر

يجلس أمام باب المدينة ويقول لشخص عابر: هو ذا باب المدينة. يجيب الآخر: ذلك هو حقا، لكن لاينبعى أن نكون محقين دوماً إذا أردنا أن يرضى الآخرون منا. أجاب: أوه... ما أريده ليس الشكر، لكن ومن حين إلى أخر جميل جداً ليس فقط أن يكون الإنسان محقا، بل أن يكون محقاً بشكل لايدحض.

ـ ٤٥ ـ

لحظة وجوب التوقف

عندما تبدأ الجماهير بالغضب والهيجان ويسودُ العقلُ، يفضل أن نستظلّ سقيفة لنراقب الزمن، إذا لم نكن متأكدين من صحتنا النفسية.

ـ ٤٦ ـ

الاعتناء بالماضى

طالما أن النّاس لايحترمون إلاّ المؤسّس على القدامة، أى ماتكوّن بشكل بطيء، فعلى من يريد أن يعيش بعد موته أن يهتم ليس بالمستقبل والخلود فقط، بل بالماضى أكثر: ولهذا السبب يُفسّر الطغاة من جميع الأنواع (فنانين وسياسيين طغاة) التاريخ تفسيراً تعسفياً بحيث يبدو انه كان تحضيراً قاد بالتدريج إلى شخصيتهم.

ـ ٤٧ ـ

كتاب الحزب

إن دقةَ الطبل التى يلتذ بسماعها جَمْعٌ غفير من كتّاب الحزب الشباب تدوى فى أذن غير الحزبى دويَّ السلاسل وتثير الرأفة بالأحرى لا الإعجاب.

ـ ٤٨ ـ

حيث توجد حاجة إلى حمار

سوف لن نقود الجماهير إلى الصراخ والتمجيد مالم ندخل المدينة على ظهر حمار.

ـ ٤٩ ـ

عادات الحزب

يحاول كلُّ حزب أن ينفى أية أهمية أو دلالة لما كبر ونما خارج جهازه. وإذا عجز عن ذلك، هاجمه بنوع من الشراسة تجعله أسمى وأعظم.

ـ ٥٠ ـ

الامتلاك يمتلك

الامتلاك لايجعل الإنسان أكثر حرية واستقلالاً إلاّ بنسبة معينة. درجة أكبر، يصير الامتلاك سيداً والمالك عبداً عليه أن يكدّس للأول وقته وتفكيره ويشعر بأنه مجبر على بعض الممارسات، يجبر على التسمر فى مكان، على الالتزام بدولة ـ ما. وربما يكون هذا نقيض حاجته الداخلية والأساسية.

- ٥١ -

آراء

النّاس، بغالبيتهم، ليسوا شيئاً ولا احترام لهم إلى أن يرتدوا قناعات عامة وآراء شائعة حسب فلسفة الخياطين: الثوب يصنع الراهب، لكن يجب القول عن أناس الاستثناء: اللابس هو الذى يصنع اللباس. وهنا تكف الآراء عن أن تكون عامة وشائعة: تصير شيئاً آخر غير الأقنعة، تصير زينة ولباس تنكر.

- ٥٢ -

قدرة التألم بشكل علنى

ومن حين إلى آخر يجب إعلان الألم، يجب التنهد بصوت مسموع، يجب إظهار القلق بشكل محسوس. لأنه إذا أعطينا الآخرين فكرة أننا هادئون وسعداء الطوية رغم الألم والحرمان، فكأننا نجعل منهم حسّاداً وشريرين! - والحالة هذه، ينبغى الاحتراس من الأ نجعل أشباهنا أكثر سوءاً ورداءة. أضف إلى أنهم يُشركوننا فى خدمة هذه الحالة بقسوة ألمنا المعلن هو امتيازنا الخاص مهما كان.

- ٥٣ -

حرارة المرتفعات

الحرارة فى الأعالى والمرتفعات تكون أشد مما نعتقد أنها كذلك فى الوادي، لاسيما فى الشتاء: المفكر وحده يعرف كلّ مايعنيه هذا الكلام.

- ٥٤ -

راي نهائي حول الآراء

إمّا أن نخفى آراءنا وإمّا أن نختفى وراءها. ومن يتصرف بشكل آخر لايعرف قطار العالم، أو أنه ينتمى إلى منظومة التهور المقدس.

- ٥٥ -

إلي مَنْ يَمدح باستمرار

طالما لا نكفُّ عن مدحك، فاعتقد جيداً انك لست فوق طريقك بعد، بل فوق طريق رجل آخر.

- ٥٦ -

أشياء جميلة جداً وإنسانية

«الطبيعة جميلة جداً لأجلك انت أيها الفقير الذى سيموت» - هذا الشعور ليس نادراً. لكن يبدو لى أحياناً ومن خلال رؤية باطنية لكلّ ماهو إنساني، رؤيته بتمامه، بقوته، بدقته، بتعقيده... يبدو لى ضرورياً أن أقول بتواضع: «الإنسان جميل جداً أيضاً بالنسبة إلى الإنسان الذى يتأمله!» - وليس الإنسان الأخلاقى فقط، بل جميع الآخرين أيضاً.

- ٥٧ -

مثالي وكذاب

يجب ألا نقع فريسة طغيان واضطهاد أية قوة مهما كانت جميلة. - ولتكن قوة أن نعلى الأشياء إلى المثالى - وإلاّ فإن الحقيقة ستفارقنا فى يوم ما صارخة هذه الكلمات المؤذية:

«ما أكذبك، كذاب أشرّ، ماذا أفعل بك؟»

ـ ٥٨ ـ

مفهوم بشكل مغلوط

عندما نُفْهَمُ كلياً بشكل مغلوط، فمن المستحيل أن نستبعد سوء فهم التفاصيل. هذا ماينبغى معرفته جيداً كيلا نبذر طاقة زائدة فى الدفاع عن الذات.

ـ ٥٩ ـ

شارب الماء

إذن، تابع أنت شرب النبيذ الذى أبهجك طوال حياتك، ـ مايهمك إذا كنتُ أنا شارب الماء بالقوة؟ أليس النبيذ والماء عنصرين مسالمين يتعايشان أخوياً دون عتاب؟

ـ ٦٠ ـ

أخبار بلد آكلي لحوم البشر

المتوحد يلتهم نفسه فى العزلة، ومع الحشود تلتهمه أعداد لامتناهية. إذن، اخترْ:

ـ ٦١ ـ

الصحن المنتصر

التماسكُ جيداً على ظهر الحصان يأسر شجاعة الخصم وقلب المتفرج. فما الفائدة من أن تهاجم؟ خذ صحن من انتصر.

- ٦٢ -

بلا عبث أبداً

فى جبال الحقيقة لاتتسلقُ عبثاً إطلاقاً: إما أن تصل إلى الأعالى منذ اليوم الأوّل وإمّا تكون قد درّبتَ قواك على الصعود أكثر غداً.

- ٦٣ -

أمام النوافذ الرمادية

هل ماترونه من العالم عبر هذه النافذة جميل لحد أنكم لاتريدون أن تنظروا عبر نافذة أخرى - لحد أنكم تحاولون منع الآخرين أيضاً؟

- ٦٤ -

علامة تغيرات كبيرة

عندما نحلم بأشخاص منسيين منذ وقت طويل أو بأموات، فذلك يعنى أننا كابدنا تغيرات كثيرة داخلياً وأن التربة التى نعيش فوقها قد قُلِبتْ تماماً. هكذا ينهض الأموات ويصير ماضينا البعيد حاضراً جديداً.

- ٦٥ -

سبب المزاج السىء

من يفضل الجميل على النافع فى الحياة، ينتهى مثل الطفل الذى يفضل الحلوى على الخبز إلى إفساد معدته ورؤية العالم بكثير من التبرّم والمزاج.

ـ ٦٦ ـ

خطر الإعجاب

قــد يكــون الاعجاب بخاصـية ما أو بفن ما من القوة بحيث يحرمنا امـتلاكها أو امتلاكه.

ـ ٦٧ ـ

التسول قريب

يحـدث أيضـاً للذهن الأكـثـر غنى أن يضـيع مـفـتـاح الغـرفـة حـيث تنام كنوزه المكدّسة وبالتالى يصير كأفقر الفقراء مجبراً على التسوّل كى يعيش.

ـ ٦٨ ـ

محاكاة

بالمحاكاة يكتسب الرديء حظوة، لكن الجيد يخسر ـ ولا سيما فى الفن.

ـ ٦٩ ـ

لايغفر له

لقد منحـتهُ فرصة أن يبدى رفعةً فى الطبع، ولم يسـتفد من هذه الفـرصة: لن يغفر لك ذلك أبداً.

ـ ٧٠ ـ

اطروحة مضادة

أعـتق شـيء قيل حـول الإنسـان يوجد فى الأطروحـة المشـهورة: «الأنا بغـيضـة ممقـوتة دوماً». وأهـم شيء طفـولى فى هذه الأطروحة الأكـثر شـهرة أيضـاً: «حب

قريبك كما تحب نفسك» ـ فى الأولى توقفت معـ ة "ناس، فى الثانية لم تبدأ بعد.

ـ ٧١ ـ

خطيئة أذن

«نبقى جزءاً من الدهماء طالما نستمر فى نسب أخطائنا إلى الآخرين. ونكون على طريق الحكمة عندما لانجعل أحداً مسئولاً عنها إلاّ نحن. الحكيم من لايجد خطأ لا لنفسه ولا لغيره». من يقول ذلك؟ ابيكتيت Epictete منذ ألف وتسعمائة سنة ـ . سمعناه لكن نسينا. كلا لم نسمع ولم ننس: هناك أشياء لاتُنسي. لكن لم تكن لدينا الأذن اللازمة، أذن ابيكتيت. هكذا، إذن قالها هو لنفسة وشوشة؟ تماما: الحكمة هى أن يوشوش المتوحد نفسه فى الساحة العامة.

ـ ٧٢ ـ

عصافير منشدة

من عادة تلامذة الرجل العظيم أن يتعاموا تماماً كى يجيدوا الغناء به وبمدحه.

ـ ٧٣ ـ

ليس في المستوى

لايعجبنا الجيد عندما لانكون فى مستواه.

ـ ٧٤ ـ

مبدعون ومستهلكون

كلُّ مستهلك يعتقد أن الثمر كان هم الشجرة الوحيد، لكنه لم يفكر بالبزرة ـ هنا يكمن الفرق بين جميع المبدعين وجميع المستهلكين.

المسافر وظله

الظل: منذ زمن طويل لم أسمعك تتكلم. ولذا أودُّ إعطاءك فرصة الكلام.

المسافر: نتكلم... أين؟ ومَنْ؟ يبدو أنني أُسمع نفسي فيما أتكلم، لكن بصوت منخفض لحد أنه ليس لي.

الظل: (بعد لحظات) ألستَ سعيداً إذ لديك الآن فرصة للكلام؟

المسافر: بالله، بكلّ الأشياء التى لا أومن بها، تكلّمْ ياظلي، أسمعك ولا أستطيع التصديق.

الظل: لنقبل ذلك. لاتفكرْ به، فبعد ساعة ينتهى كلُّ شيء.

المسافر: هذا ماكنت أقوله لنفسى يوم رأيت فى غابة بالقرب من بيزPISE جملين ثم خمسة.

الظل: من الجيد أن نبدو، انت وأنا، متسامحين إن حدث لعقلنا وهجرنا: بهذا الشكل لن نغضب الواحدُ من الآخر عندما نتحادث ونتمازح ولن نسرع إلى الضغط على أصابع الآخر إذا أحدث كلامه نبرة لانفهمها. وعندما نجهل الإجابة بدقة، يكفى أن نقول شيئاً ما: هذا هو الشرط العادل الذى أضعه للحوار مع شخص ما. ولتطلْ المحادثة قليلاً، والأكثر حكمةمن يبدو خلالها على شكل مجنون مرّة وعلى شكل أبله ثلاث مرّات.

المسافر: تواضعك ليس مطرياً بالنسبة إلى مَنْ تعترف له.

الظل: إذن، هل ينبغى أن أكون ملاطفاً مطرياً؟

المسافر: كنت أعتقد أن ظلّ الإنسان هو زهوه. لكن هذا الأخير لايسأل: «إذن، هل ينبغى أن أكون ملاطفاً مطرياً؟»

الظل: الزهو الإنساني، وعلى حدّ معرفتي، لايستعلم ولا يستخبر، كما أشرت إلى ذلك مرتين. إذا استطاع: فإنه يتكلم باستمرار.

المسافر: الآن فقط، أدرك كم أنا لطيف معك ياظلي العزيز: ليس عندي أية كلمة تعبر عن سعادة أن أسمعك بدل أن أراك. يجب أن نعرف أنني أحب الظلّ كما أُحب الضوء. لكي يكون هناك جمالُ وجهٍ، دقةُ حديث، طيبة قلب، صلابة طبع، فالظل ضروري كالضوء. فهما ليسا خصمين: يتماسكان بالأيادي بكثير من الحب، وعندما يختفي الضوء يتلاشى الظل من ورائه.

الظل: واكره حتى ماتكره، أي الليل. أحب النّاس لأنهم تلامذة الضوء. أعشق البريق الذي يلمع في عيونهم عندما يعرفون ويكتشفون، لايتعبون من المعرفة والاكتشاف. ذلك الظل الذي ترسمه جميع الأشياء عندما يسقط فوقها شعاع شمس المعرفة. ذلك الظل هو أنا أيضاً.

المسافر: أعتقد أنني أفهمك، مع أنك ألقيت ظلالاً على ماتقول. لكن معك الحق: الأصدقاء ومن حين إلى آخر يتبادلون بذكاء كلاماً غامضاً ينبغي أن يكون أحجية في قسمه الأكبر. ونحن صديقان حميمان. هكذا إذن، تكفي التمهيدات والتقديمات! هناك مئات من الأسئلة تضغط وتثقل عليَّ، ولعلّ الوقت قصير كي تستطيع الإجابة عنها. لنرى ما سنبوح به معاً، بسرعة وبمزاج هادىء.

الظل: غير أن الظلال أكثر خجلاً من النّاس. سوف لن تبوح لأحد بما يدور بيننا.

المسافر: حديثنا هذا؟ فلتحمني السماء من الحوارات والأحاديث المرويةعلى طول هذه الصفحات! لو أن افلاطون سرّب أحاديثه بشكل أقل! لكان قراؤه قد التذوا بأفلاطون أكثر. إن المحادثة التي نستمتع بها حقيقةً هي لوحة محشوة بالمنظورات المزيفة بعد أن تصير مكتوبة مقروءة: كلُّ شيء فيها طويل جداً أو قصير جداً ـ لكن ربما تسمح لي بالقول، حول أي شيء سنتفق؟

الظل: يناسبني هذا تماماً، لأن جميع النّاس سيجدون فيه أفكارك أنت: أمّا الظل فلن يفكر به أحد.

المسافر: يمكن أن تكون مخطئاً ياصديقي! لأنهم، ولحد الآن، رأوا الظل فى أفكارى كما رأوني.

الظل: الظل أكثر من الضوء؟ هل هذا ممكن؟

المسافر: كن جدياً، يابهلولى الجميل! فسؤالى الأوّل يحتاج إلى كثير من الجدية.

- ٦٧ -

معيار قيمة الحقيقة

لن يكون عناء التسلق معياراً لتحديد ارتفاع الجبال. لكن هذا الشيء يختلف فى مجال العلوم! - يقول لنا من يعتبرون أنفسهم علماء - إن الجهد الذى نضعه من أجل الحقيقة يحدد بدقة قيمة الحقيقة! هذه الأخلاقية البلهاء هى نتاج فكرة أن «الحقائق» ليست شيئاً آخر إلاّ أجهزة وآلات رياضية ربّما نكون قد عملنا عليها بشجاعة لحد التعب، - أخلاق من أجل صناديد الذهن.

- ٧٧ -

في الليّل

ما إن يهبط الليل حتى يتغير إحساسنا بالأشياء التى حولنا. هاهى الرياح تدور فى أزقة مهرّبة وعرة لكأنها تبحث عن شيء ما، غاضبة لأنها لم تجده حتى الآن. هاهو ضوء الصباح ببريقه المضطرب، بحمرته، بنظراته المتعبة، يقاوم العتمة رغماً عنه، إنه العبد المتلهف، عبد الإنسان الساهر. هاهو تنفس النائم، إيقاعه المرعب الذى يرافقه إيقاع ونغم هموم لاتكف عن التوالد - مانسمعه، لكن

عندما يرتفع صدر النائم نشعر بالقلب المنقبض، وعندما يضعف نَفَسُهُ وينطفيء تقريباً فى صمت يشبه صمت الموتى نقول لأنفسنا: «ارتاحى قليلاً أيتها الروح المسكينة المعذبة!» ـ نرجو الراحة الأبدية لجميع الكائنات الحية طالما أنّها تعيش فى ظل إرهاق مماثل، الليل يوحى بالموت. ـ إذا كان على الناس أن يُحرموا من الشمس وأن يقاوموا الليل بالزيت وضوء القمر فأية فلسفة ستحتويهم! نستطيع في الواقع أن نلاحظ كيف أن طبيعة الإنسان الثقافية والفيزيولوجية تكدّرها هذه الظلمة والحرمان من الشمس الذى تستتر به الحياة.

ـ ٧٨ ـ

أين ولد مذهب القدرية

الضرورة تسيطر على فلان تحت غطاء نزواته، وآخر يخضع لها في تعوّده على الطاعة، أما الثالث فهى وعيه المنطقي، وتأخذ بالنسبة إلى الرابع شكل النزوةالعابرة، شكل ميله الحاد إلى جميع الاستثناءات. والحالة هذه، كلٌ واحد من هؤلاء الأربعة يبحث عن حرية إرادته عندما يكون مقيداً جداً: والأمر أشبه بدودة القز التى تبحث عن حريتها فى عملية نسج شرنقتها. من أين يأتى هذا؟ ظاهرياً من أن كلّ واحد يعتقد بأنه يزداد حرية كلّما اشتد شعوره بالحياة، يعنى تارة فى الانفعال، تارة فى الواجب، تارة فى المعرفة، تارة فى الاندفاع الكيفي. يعتقد الفرد وبشكل الى أن مايجعله قوياً يشعر بامتلاء الحياة هو بالضرورة عنصر حريته الأساسي: يزاوج بين التبعية واللاإحساس بين الاستقلال والإحساس بالحياة مزاوجة ضرورية. ـ الخبرةالتى عاشها الإنسان فى المجال السياسى تنَقّل بشكل خاطيء إلى مجال مجرّد جداً، اى إلى المجال الميتافيزيقي: هنا، الإنسان القوى هو الإنسان الحرّ... مشاعر الفرح والحزن النوبة، قوة الأمل، جسارة الرغبات، قوة الحقد، جميع هذه الأشياء هى حكر على المسيطرين

والمستقلين، فى حين أن الإنسان الخاضع، العبد، يعيش حياة متهورة وبلا إحساس ـ مذهب القدرية هو ابتداع الطبقات المسيطرة.

ـ ٧٩ ـ

القول مرتين

من الأفضل أن نعبّر عن شيء مرتين وحالاً، أن نجهزه بقدم يمنى وقدم يسرى. تستطيع الحقيقة، على الأرجح، أن تقف على قدم واحدة، لكن بقدمين ستمشى وتشق طريقها.

ـ ٨٠ ـ

أصل الحقوق

جميع الحقوق تعود أساساً إلى تقليد، والتقليد إلى اتفاق قديم، ثم اكتفينا بنتائج الاتفاق المبرم وتكاسلنا فى تجديده شكلياً. هكذا تابعنا الحياة كما لو أنه مجدد باستمرار. وما إن أخذ النسيان ينشر ضبابه على هذا الاتفاق بالتدريج حتى صرنا نعتقد بامتلاك قانون مقدّس ثابت على كلّ جيل أن يعتمده فى البناء. ومن حينها صار التقليد ضغطاً، أى منذ أن توقف عن احتواء الميزات التى من اجلها أُبرم الاتفاق أساسا. ـ وفى هذا وجد الضعفاء على مرّ العصور حصنهم ينزعون إلى إدامة العقد الصالح لمرة واحدة، إلى إدامة العفو الذى مُنحوا.

ـ ٨١ ـ

القاضي والظروف المخففة

قال جندى عجوز بعد أن سمع حكايةفاوست بتفاصيلها: «يجب أن نكون مستقيمين حتى مع الشيطان وأن ندفع له ديونه»، «مكان فاوست هو الجحيم!» ـ «أيّتها النّاس ما أفظعكم!»؟؟ صرخت زوجته، «كيف يمكن ذلك، لم يفعل شيئا

هيا! غير أن محبرته انتهى حبرها! والكتابة بالدم هى خطيئة بالتأكيد، لكن رجلاً جميلاً بهذا الشكل لايمكن ولسبب بسيط أن يحرق؟»

ـ ٨٢ ـ

معرفة أن تكون صغيرا

ينبغى أن تكون قريباً من الأزهار، من الأعشاب، من الفراشات كطفل لايستطيع أن يعلو أكثر منها، عن الآخرين، الكبار، تجاوزناها جميعا. علينا، وبالعكس، أن ننزل كى نبلغها. أعتقد أن الأعشاب تكرهنا عندما نعبر لها عن حبنا. ـ من يريد أن يشارك فى كلّ ماهو جيد عليه أن يعرف أيضاً كيف يكون صغيراً فى بعض الساعات.

ـ ٨٣ ـ

الانتصار علي النزوات

الإنسان الذى ينتصر على نزواته يمتلك أخصب أنواع الأراضى، إنه كالمستوطن الذى تحوّل سيداً للغابات والمستنقعات. عندها يكون غَرْسٌ بذرة أفضل أعمال الذهن فى تربة النزوات المهزومة، المهمة العاجلة، المباشرة اللابدّ من القيام بها. الانتصار بحد ذاته ليس إلاّ وسيلة، وليس غاية. وإذا لم ينظر إليه هكذا، فإن كثيراً من الأعشاب الطفيلية والنباتات الشيطانية ستنبت فوق هذه الأرض الدسمة الجدباء كما سوف تلوّثها أنواع الجنون بشكل مرعب.

ـ ٨٤ ـ

خطر اللغة على حرية الذهن

كلُّ كلمةرأى مسبق.

- ٨٥ -

ممثلون جدد

الموت هو الأكثر ابتذالاً بين الناس، وتأتى الولادة فى الدرجة الثانية. لأن جميع الذين لايولدون يموتون، ثم يأتى الزواج ثالثاً. هذه المآسى - الملاهى الصغيرة التى تُمارسُ بكثرة يُقدّمها ويعيد تقديمها مرات ومرات لاتحصى ممثلون جدد. ولذلك لاتكف عن أن يكون لها متفرجون منتبهون جداً، فى حين كان من الممكن أن نعتقد أن جميع هؤلاء المتفرجين على المسرح الأرضى قد علقوا أنفسهم بالأشجار تقززاً ومنذ زمن طويل. عظيمة هى أهمية الممثلين، تافهة هى المسرحية.

- ٨٦ -

القدرية التركية

عيب القدرية التركية الكبير هو أنها تعارض بين الإنسان والقدر وتنظر إليهما كشيئين منفصلين: تقول إن الإنسان يستطيع أن يقاوم القدر، أن يغير اتجاهه، لكن القدر هو الذى ينتصر فى النهاية ودوماً. ولذا من الحكمة أن نستسلم له، أن نعيش وفقاً لمشيئته. والحقيقة أن كلّ إنسان جزء من القدر. وعندما يظن أنه يقاومه بالطريقة المذكورة ففى هذا تحديد يتحقق القدر أيضاً. المقاومة وهم، كذلك كلُّ خضوع للقدر وهم. إن القدر يحتوى هذه الأوهام جميعا. - والخوف الذى يجتاح الجميع من مذهب اللا اختيار - الحر هو خوفهم من القدرية: يؤمنون أن الإنسان سينتظر المستقبل مستسلماً عاجزاً مكتوف اليدين، لأنه لن يستطيع أن يغير فيه شيئا، أو قد يترك العنان لميوله النزوية المتقلبة لأنّها نفسها لن تستطيع أن تلغى ماقد كتب. جنون الإنسان هو الآخر جزء من القدر مثل أفعاله الواعية: والخوف من القدر هو قدر أيضا. أنت نفسك أيها المسكين القلق، المخيّر المحتومُ

الذى لايزال فوق الآلهة، أنت نفسك سبب ماحدث وما سيحدث. أنت البركان واللعنات، أنت الحديد الذى يكبّل أقوى الأقوياء. فيك يتحدد المصير البشرى سلفاً: لافائدة أن تخاف من نفسك أيها الإنسان.

ـ ٨٧ ـ

مايلزم أولاً

الإنسان الذى لايريد أن يكون سيّد نزقه، سيّد هيجانه الضاغن، سيّد نزواته، ويحاول أن يكون سيّداً فى أى مكان آخر، هو أغبى من الفلاح الذى ينصب خيمته قرب سيل قوى دون أن يحمى نفسه.

ـ ٨٨ ـ

عادة الأضداد

تجد المراقبة السوقية، غير الدقيقة، فى كلّ مكان من الطبيعة أضداداً (مثلاً: «حار وبارد»)، فى حين أن الأضداد غير موجودة، وإنما توجد اختلافات فى الدرجة. إن هذه العادة السيئة دفعتنا إلى فهم وتحليل الطبيعة الداخلية والعالم الأخلاقى والروحى وفقاً لمثل هذه الأضداد. ولا يمكن أن نعرف بالتحديد مقدار الميول التى أصابت الحساسية الإنسانية: ميل إلى الألم، إلى العجرفة، إلى القساوة وألبرودة الجافة. وذلك لأننا كنا نرى أضداداً عوض التحولات.

ـ ٨٩ ـ

أسلوب الفطنة

ا ـ لكن لو عرفت النّاس جميعاً هذا، لكان خطراً قوياً على الغالبية. وأنت نفسك تقول: هذه الآراء الخطيرة هى للأذهان الموجودة فى خطر، ومع ذلك لاتتوانى عن إيصالها إلى العامة؟

ب ـ أكتب بحيث لايرغب بقراءتى لا الدهماء ولا العامة ولا الأحزاب، وبالتالى فإن هذه الآراء لن تشيع إطلاقاً.

ا ـ إذاً، كيف تكتب؟

ب ـ ليس بشكل مفيد، وليس بشكل يثير اللذة لدى الذين ذكرتُهم.

ـ ٩٠ ـ

تصنّع في الوداع

من يريد الانفصال عن حزب أو عن ديانة يعتقد ان عليه أن يدحضهما. وهنا بالتحديد يمكن التفكير الصلف. فالشيء الوحيد الضرورى هو أن يرى بوضوح أية روابط كانت تشده حتى وقتها إلى هذا الحزب أو إلى تلك الديانة وتوقفت الآن عن فعل ذلك، أية مآرب كانت تدفعه إلى ذلك الاتجاه وأية مآرب تدفعه الآن فى اتجاه آخر. ليس من أجل أسباب معرفية محضة انتسبنا إلى هذا الحزب أو انتمينا إلى تلك الديانة: ينبغى أيضا ألا نتصنع الانفصال عنهما.

ـ ٩١ ـ

السجناء

فى أحد الصباحات دخل السجناء إلى الساحة حيث كان يجب أن يعملوا. ولم يكن الحارس هناك. بعضهم باشر العمل حالاً لأنه اعتاد على ذلك وتطبع، والبعض الآخر كان عاطلاً يرمى من حوله بنظرات التحدى. تقدّم أحدهم وقال بصوت عالٍ: «اعملوا مادمتم تريدون ذلك أو لاتعملوا شيئاً، فالأمر واحد. إن مؤامرتكم اكتشفت، فالسجان راقبكم مؤخراً وسوف يُخضعكم فى الأيام القادمة لحكم مرعب. تعرفونه جيداً، إنه قاسى القلب وحقود. اسمعوا الآن: حتى هذا الوقت تجاهلتمونى. أنا لست ما أبدو، بل أكثر بكثير: إننى ابن السجان ورصيدى عنده بلا حدود. أستطيع إنقاذكم، أريد إنقاذكم. لكن احفظوا مايلى جيداً: فقط

أولئك الذين يؤمنون أننى ابن السجان، أما الآخرون فليقطفوا ثمار عدم اعتقادهم بذلك». وبعد صمت طويل قال سجين عتيق: «لابأس، لكن ما الذى يفيدك إن صدقناك أو لم نصدقك؟ إن كنت الابن فعلاً وما تقوله تستطيعه فتشفع لنا عند أبيك، ذلك سيكون رحمة ولطفاً منك. أما قصة الاعتقاد أو اللاعتقاد هذه، فدعها جانباً» ـ تدخل سجين اكثر شباباً: «لا أصدقه أنا أيضا: وضع فى رأسه مجموعة أفكار وهذا كلُّ شيء. أراهن أننا بعد أسبوع سنتواجد هنا كما نحن اليوم، والسّجان لايعرف شيئاً عن هذا» ـ «حتى ولو كان يوف شيئا، فلم يعد يعرفه»، قال سبين آخر وهو يهبط فى اتجاه الساحة، «لقد مات السجان فجأة لتوّه». ها، ها! صرخ عدد من بينهم بفوضى، أيها السيد الابن، أيها السيّد الابن، والإرث؟ هل نحن سجناؤك، ربّما؟ ـ «قلت لكم، استأنف بوداعة ذاك الذى كان يُدعى هكذا، سأنقذ من يؤمن بى حقاً كما آمن أن أبى حيّ» ـ لم يضحك السجناء ، بل رفعوا أكتافهم وتركوه هناك.

ـ ٩٢ ـ

اعتبار المظهر

يكشف مظهر الجُمَل إذا كان الكاتب متعباً أم لا. مأخوذة بشكل منفرد يمكن لعبارة ما أن تكون جيدة، قوية. لأنه ربّما تكون قد انوجدت وحدها سابقاً عندما انهمرت على الكاتب أوّل اشراقات الفكر. هكذا هو الأمر عند غوته الذى كان يملى غالباً فى لحظات التعب.

ـ ٩٣ ـ

شيء ما، يشبه الخبز

الخبز يحيد ويطمس طعم الأغذية الأخرى. لذلك يدخل فى جميع الوجبات البطيئة إلى حد ما. ولا بدّ من وجود شيء يشبه الخبز فى جميع الأعمال الفنية

وذلك من أجل أن تمارس تأثيرات متنوعة إذا تتابعت مباشرة ومن دون استراحة أو توقف من حين لآخر فإنّها سوف تثير الضجر والنفور، تماماً كوجبة فنية طويلة غير ممكنة.

- ٩٤ -

أفكار الشعراء

جميع الأفكار الحقيقية عند الشعراء الحقيقيين تمشى محجّبة كالمصريات: وحدها عين الفكر العميقة، تحت الحجاب، تستطيع أن تخترق وتدرك بحرية. - ليس لأفكار الشعراء القيمة التى نعطي: ذلك أننا نضيف إليها ثمن الحجاب وثمن فضوليتنا الخاصة.

- ٩٥ -

أعياد نادرة

اقتضابٌ خاطفٌ، هدوء ونضوج، - أينما وجدت هذه الصفات ولدى أي مؤلف، توقفْ، أقمْ عيداً طويلاً وسط الصحراء. فحبور مماثل لن يقع لك ولفترة طويلة.

- ٩٦ -

أسلوب مكتوب وأسلوب متكلّم

يتطلب فنّ الكتابة، قبل أى شيء، إجراءات تبديلية بالنسبة إلى أنواع التعبير التى يستخدمها الفاعل المتكلم وحده: إشارات، نبرات، رنات خاصة، نظرات. إن الأسلوب المكتوب مختلف عن الأسلوب المتكلّم وأكثر صعوبة منه: فهو من خلال وسائط أقل يريد أن يكون مفهوماً كهذا الأخير. كان ديموستين يلقى خطاباته بشكل يختلف عن قراءتنا لها: كان يشتغل عليها قبل أن يعطيها للقراءة. خطابات شيشرون كان عليها أن تكون مثل أسلوب ديموستين وللغاية ذاتها، إذ

يوجد فيها، وكما هي، كثير من المنبر الروماني الذي لايستطيع القارىء أن يتحمله.

ـ ٩٧ ـ

التعقل في الاستشهاد

يجهل الكتّاب الشباب أن التعبير الجيد والفكرة الجيدة لايعطيان نتيجة جيدة إلاّ داخل إطار مايشبههما. يجهلون أيضاً أن استشهاداً ممتازاً يمكن أن يلغى صفحات بكاملها، لا بل قد يلغى الكتاب بكامله، منبهاً القراء كأنما يتوجه إليه صارخاً: «انتبه، إنني حجر الأساس وكل مايحيط بى خروق باهتة وخسيسة». كلُّ كلمة، كلُّ فكرة لايمكن أن تعيش إلاّ في مجتمعها: هذه أخلاقية الأسلوب المهذّب.

ـ ٩٨ ـ

كيف تقال الأخطاء

يمكن أن نتناقش حول الأشياء الضارة، أن نقول الأخطاء بشكل ردىء أو بأفضل مانقول الحقائق. في الحالة الأولى تؤذى الروحَ بشكل مضاعف ويصعب التخلص منها. ومع ذلك، والحق يقال، ليس لها مفعول أكيد في الحالة الثانية: فهى أقل سرياناً وانتقالاً.

ـ ٩٩ ـ

قراءة بصوت مرتفع

معرفة القراءة بصوت مرتفع تفترض معرفة فن القول: يتعلق الأمرباستخدام نبرات شاحبة في كلّ مكان. لكن يتعلق الأمر أيضاً بتحديد كثافة هذاالشحوب بالمقارنة الدقيقة مع الرسم الغامق ذى الألوان المليئة والمتصلة، الرسم الذى لاتغيب فكرته الرئيسيةعن الذهن. يعنى أن تحترم باستمرار إلقاء المقطع نفسه. ولذا ينبغى جيداً أن نتقن هذا الإلقاء.

\- ١٠٠ -

الحس المأساوي

من لايملك الحواس الأربعة الرفيعة فى تذوق الفن، يحاول أن يفهم كلّ شيء بالحس الأكثر فظاظة وبدائية، بالحس الخامس: إنه الحس المأساوى.

\- ١٠١ -

رائحة الكلمات

لكل كلمة رائحتها. هناك انسجام وتنافر بين الروائح: إذن وبين الكلمات أيضاً.

\- ١٠٢ -

قَسَمْ

لن أقرأ أى كاتب يبدو انه أراد تأليف كتاب. لكن سأقرأ فقط أولئك الذين تجلت أفكارهم فجأة على شكل كتاب.

\- ١٠٣ -

ممتع لكنه غير جميل

هذا المنظر يخفى معناه، لكن له معنى آخر أودُّ اكتشافه: كيفما انظر، أقرأ كلمات وإيماءات كلمات، لكن أجهل أين تبدأ الجملة التى تحلُّ أحجية جميع هذه الإيحاءات. يلتوى عنقى لكثرةماحاولت معرفة إن كان ينبغى أن أبدأ القراءة من هنا أو من هناك.

ـ ١٠٤ ـ

كاتب حزين وكاتب رصين

حزين ذلك الكاتب الذى يضع فوق الورقة مايعانية. لكنْ رصين ذلك الكاتب إذا قال لنا ماعاناه ولماذا هو الآن يستريح فى السعادة.

ـ ١٠٥ ـ

صحة الذوق

كيف يحدث أن الصحة لاتكون قابلة للسريان مثل الأمراض بشكل عام وأكثر فى مجال الذوق؟ أو ألا يوجد أوبئة صحيحة؟

ـ ١٠٦ ـ

تصحيح الفكرة

ان تُصحح الأسلوب، يعنى أن تصحح الفكرة ولا شيء آخر! مَنْ يدرون ذلك حالاً، فلن يُقنِعَ به أحداً.

ـ ١٠٧ ـ

كتب كلاسيكية

اضعف جانب فى اى كتاب كلاسيكى هو أن يكون مكتوباً جداً بلغة مؤلفه الأم.

ـ ١٠٨ ـ

كتب رديئة

الكتاب هوالذى يطالب بالريشة، بالحبر وبالطاولة، لكن غالب الأحيان تطالب الريشة والحبر والطاولة بالكتاب: ولذلك لا أهمية لكتب اليوم.

- ١٠٩ -

أفكار مصطفاه

الأسلوب المصطفى لعصر كبير لايصطفى كلماته وحسب، بل أفكاره أيضاً ويفهمها وفق السائد الشائع. وليست الأفكار الجريئة والطرية بالنسبة إلى الذوق الناضج أقل غباءً من الصور والتعابير الجديدة المغامرة. سوف تنكشف، وفيما بعد، الفكرة المنتقاة والكلمة المنتقاة أيضاً عن سطحية مرعبة: لأن رائحة اللذيذ تتلاشى بسرعة دون أن تترك خلفها للتذوق أى شيء باستثناء الابتذال المستهلك.

- ١١٠ -

كي تكون أعذاراً للأقلام الثقيلة

ما يقال بسطحية قلّما يُدرك بالوزن الذى له الشيء المقال واقعا - وذلك بسبب الآذان غير المثقفة المجبرة على الانتقال من التكوّن عبر ماكان يسمى حتى الآن بالموسيقى - إلى مدرسة الفن العليا، فن الأصوات، يعنى الانتقال من الخطاب.

- ١١١ -

تشبيهات مغامرة

عندما لاتكون التشبيهات المغامرة أدلة على صلف الكاتب فإنّها تخون تعب خياله. لكنها فى جميع الأحوال شاهد على ذوقه الردىء.

- ١١٢ -

أبطال لاهثون

الشعراء والفنانون الذين يعانون من ربو فى الإحساس يوقفون أبطالهم باستمرار: لايعرفون فن التنفس بسهولة.

ـ ١١٣ ـ

نصف الأعمي

الإنسـان نصف الأعمى عدوّ لدود لجميع الكتّاب التلقائيين، وعلى هؤلاء أن يدركوا الغيظ الذى يدفعه إلى إغلاق كتاب أحسّ من خلاله أن المؤلف يحتاج إلى خمسين صفحة كى يعطى خمس أفكار الغيظ من أنه أهدر ماتبقى له من نظر ودون مقابل. كان نصف أعمى يقول: جميع المؤلفين تلقائيون ـ «والروح القدس أيضـاً؟». نعم، والروح القدس أيضاً. لكن كان عندها الحق، لأنّها كانت تكتب للنّاس العميان تماماً.

ـ ١١٤ ـ

ضد الصور والتشبيهات

بالصور والتشبيهات نُقْنِعُ لكن لاندلل، ولهذا نخاف منها فى مجال العلوم حيث لايُراد مايوصل إلى قناعة وإلى تصديق، بل يُراد إثارة أشد أنواع الحذر وإنه من خلال الأسلوب والجدران العارية فقط. فالحذر هو معيارذهب اليقين.

ـ ١١٥ ـ

مدح الموهبة

وبينما كنتُ ماراً بقرية «س»، بدأ شاب يفرقع سوطه بكل قواه. لقد ذهب بعيداً فى هذا الفن وكان يعرف ذلك. ألقيت عليه نظرة مليئة بالإطراء، لكن كنت متألماً فى العمق وبشكل مرعب. ـ نقوم بما يمليه علينا الاعتراف بالمواهب المتعددة. نحسن إليها عندما تسئ إلينا.

ـ ١١٦ ـ

الضحك والابتسامة

بمقدار مايصبح الذهن سعيداً ومتاكداً، بمقدارمايفقد الإنسان عادة الضحك الرنان. لكن بالمقابل تولد عنده بلا توقف ابتسامة روحية، علامة اندهاش يجده فى الجمالات اللاتحصى، جمالات هذا الوجود الطويل المخفية.

ـ ١١٧ ـ

قناع الرداءة

الرداءة هى أمثل قناع يمكن أن يضعه الذكى جداً، لأنها لاتدفع بالجماهير، أى بناس البين ـ بين إلى التفكير أن ذلك قناع. علماً أنه يضعه بسببهم، ليس من أجل إثارتهم لكن رأفةً بهم.

ـ ١١٨ ـ

الصابرون

يبدو أن الصنوبرة تسمع وشجرة التنّوب تنتظر، كلتاهما بلا تلهف:ـ لاتفكران بالإنسان الصغير تحتهما، الإنسان الذى يلتهمه تلهفه وفضوليته.

ـ ١١٩ ـ

ملحق الاحترام

أينما يُحْتَرمُ الماضى فعلينا ألاّ نترك الباب مفتوحاً لإناس نظيفين ويريدون التنظيف. فالورع لامعنى له إن لم يرافقه قليل من الغبار والقذارة.

- ١٢٠ -

قام الغضب والعقاب بما عليهما

الغضب والعقاب حاضر ورثناه عن الحيوانية. ولن يبلغ الإنسان سن الرشد إلاّ بعد أن يعيد هذه الهدية الميلادية إلى الحيوانات. - وهنا تكمن فكرة من أهم الأفكار التى يمكن للإنسان امتلاكها، فكرة تقدّم التقدمات - لنتقدم معاً يا أصدقائى عدة آلاف من السنين! فهنا يوجد كثير، كثير من السعادة المحفوظة لأجل الإنسان، سعادة لم يصل عطرها بعد إلى أنوف أحياء اليوم! ومعنا الحق، كلّ الحق، أن نَعِدَ نفوسنا بهذه السعادة، أن نعلن عنها مسبقاً، وأن نذكرها كحدثٍ لابدٌ منه، شريطةالا يتوقف تطور العقل البشرى! ذات يوم، لن يتحمل القلب بَعْدُ مسئولية الخطيئة المنطقية التى تختبيء فى الغضب والعقاب اللذين يمُارسان فرديا أو فى المجتمع: ذات يوم سيتصالح القلب والرأس ويتعلمان العيش الواحد إلى جانب الآخر كما يعيشان الآن بعيدين. أن يكونا غير بعيدين عن بعضهما كما كانا فى الأصل، فهذا مايكشفه إلقاء نظرة سريعة على مسيرة الإنسانية العامة. والفرد الذى بمقدوره أن ينظر إلى حياة بكاملها، حياة من العمل الداخلى، سوف يعى بسرور بالغ المسافة التى قطعها، والاقتراب الذى حققه بحيث يجرؤ على تغذية آمال كبيرة لاتزال قائمة.

- ١٢١ -

عن الموت المعقول

ماهو الأكثر معقولية: أن نوقف الآلة بعد أن ننجز العمل الذى طلب منها، أم أن نتركها تمشى إلى أن تتوقف وحدها، يعنى إلى أن تتلف؟ أليس الحلّ الأخير تبذيراً لمصاريف الصيانة واستخداماً سيئاً لقوة المستخدمين ولانتباههم؟ ألا نهدر عبثاً، هنا، ماقد نحتاج إليه جداً فى مكان آخر؟ أليس تعميماً لنوع من

الازدراء، ازدراء الآلات بشكل عام، أن نصون عدداً كبيراً منها بلا فائدة؟ - اتكلم على الموت غير الإرادى (الطبيعى) وعلى الموت الإرادى (المعقول). الموت الطبيعى هو الموت الذى لاعلاقة للعقل به، الموت العبثى المحض الذى يُحدَّدُ من خلاله جوهر القشرة الهش الوقت الذى يجب أن تعيشه اللوزة أم لا، الموت الذى يكون خلاله السجان المُهْلِكُ، والمريض الخامل غالباً، السيّد الذى يُسجّل انتصاراً عندما يجب على سجينه النبيل أن يموت. الموت الطبيعى هوانتحار الطبيعة، يعنى إفناء الكائن العاقل من قبل الكائن غير العاقل المقيد به. تبدو الأشياء معكوسة فى ضوء الرؤية الدينية، لأن العقل الأسمى (لإلهٍ ما) يعطى الأمر الذى يجب أن يخضع له العقل الأدنى. وخارج إطار الفكر الدينى لايستحق الموت الطبيعى أى تمجيد أو تعظيم. - التنظيم الحكيم، والتدبير الحرّ للموت يدخلان فى أخلاق مستقبل - غير معقول اليوم وذو مظهر لا أخلاقى - ينبغى لرؤية فجره وهويطلع أن تكون غبطة لاتوصف.

- ١٢٢ -

الحرب كدواء

يمكن أن ننصح بالحرب كدواء لشعوب تخور قواها بشكل محزن، لشعوب نفترض أنّها تريد، فعلاً، متابعة الحياة. لأن العلاج بالصدمة ناجع بالنسبة إلى هذه الشعوب. غير أن إرادةالحياةالدائمة هذه، هى أيضاً علامة شيخوخة العواطف والمشاعر. بمقدارمانعيش بامتلاء حقيقى بمقدار مانحن مستعدون للتضحية بحياتنا من أجل إحساس واحد ذى نوعية. إن شعباً يعيش ويشعر هكذا لايحتاج إلى حروب.

- ١٢٣ -

الازدراع الفيزيقي والأخلاقي كدواء

الحضارات المختلفة هى مناخات مختلفة من التفكير، كلٌ مناخ منها مضرّ أو نافع لهذا الجسم أو لذاك. والتاريخ فى مجموعه، وبصفته معرفةً من مختلف الحضارات، هو علم الصيدلة وليس العلم الطبي نفسه. مانفتقر إليه لحد الآن هو الطبيب الذي يستخدم هذه الصيدلية لإرسال كلّ واحد إلى المناخ الذي يناسبه تماماً بشكل مؤقت أو دائماً. العيش فى الحاضر، فى حدود حضارة واحدة غير كاف كدواء شمولى، وبسبب ذلك قد يموت كثير من أجناس الناس المفيدين جداً والذين لايستطيعون التنفس فى جو هذه الحضارة بشكل صحي. ينبغي مدّهم، وعبر التاريخ، بالهواء والحفاظ عليهم. فناس الحضارات المتخلفة لهم أثمانهم أيضاً ـ ولا يباح علاج الأذهان هذا، على الإنسانية أن تحاول ومن الجانب الفيزيقى اكتشاف أمراض كلّ منطقة من مناطق الأرض وعوامل الشفاء أيضاً، وقتها ينبغى الازدراع التدريجى للشعوب، للعائلات والأفراد مادام ذلك ضرورياً من أجل السيطرة على العيوب الفيزيقية الوارثية وفى النهاية ستكون الأرض بكاملها مجموعة من الأبنية الصحية.

- ١٢٤ -

عصور الحياة

عصور الحياة الحقيقية هي تلك اللحظات القصيرة، لحظات التوقف بين صعود وهبوط فكرٍ ما أو شعور ما قويين جداً. وهناك يوجد شبع مرة أخرى: ماتبقى هو جوع وعطش ـ أو قرف.

- ١٢٥ -

الحــــلم

أحلامنا - عندما يحدث لها وبشكل استثنائى أن تنجح وتكون تامة (الحلم عادةً عمل موصد) - هى ترابطات رمزية من المشاهد والصور المعادلة للغة الشعر السردية. إنّها تدّون تجارب، آمال، أحوال حياتنا بجراة، بدقة شعرية بحيث أننا نستيقظ صباحاً مندهشين من أنفسنا عندما نتذكر أحلامنا. فى الأحلام، نستهلك كثيراً من المادة الفنية. ولهذا نحن فقراء جداً - على هذا الصعيد - فى النهار.

- ١٢٦ -

نظيفة على الأرجح

من يلبس خرقة نظيفة جداً، سيكون مرتدياً بشكل نظيف: لكن خرقة.

- ١٢٧ -

المتوحد يتكلم

نجني من وراء اللحظات التى نتقرب فيها من ذاتنا ومن طبيعتنا كثيراً من القرف والكآبة والضجر (وجميع الأشياء التى تأتينا ضرورة من الوحدة، بلا أصدقاء، بلا واجبات، بلا انفعالات). ومن يتحصن ضد الضجر تماماً ينبتر عن ذاته أيضا «: لن يتاح له أن يشرب أقوى الجرعات، وأكثرها تنشيطاً، من نبعه الداخلي الخاص.

- ١٢٨ -

النهاية والغاية

ليست كلُّ نهاية غاية. فنهاية اللحن ليست غايته. لكن إذا لم يصل اللحن إلى نهايته فلن يكون قد بلغ غايته. هذا محتمل.

- ١٢٩ -

سباق الفكرة الشمسي

عندما ترتفع فكرة وتنهض فى الأفق، فإنَّ حرارة النفس تكون باردة جداً فى العادة. إنَّ الفكرة تطوّر حرارتها شيئاً فشيئاً، وتكون هذه الحرارة أشد ماتكون (مولّدة أعظم التأثيرات) عندما يميل الإيمان بالفكرة إلى الزوال.

- ١٣٠ -

كيف نجعل الجميع ضدنا

لو تجرأ أحدٌ في أيامنا على القول: «مَنْ ليس معي فهو ضدي»، فإن جميع العالم سيكون ضده. - هذا الشعور هوعلاقة عصرنا البارزة.

- ١٣١ -

المهووس بالحذر وعربونه

العجوز: هل تريد أن تضطلع بمهمة تلقين العظمة للإنسانية؟ أين عربونك؟

بيرون: إنه التالي، أحذّر النّاس مني، أعزف علناً بجميع عيوب طبيعتي، أكشف لجميع العيون أحكامي المتسرعة، تناقضاتي وجنوني. سأقول لهم: لاتسمعوا إليَّ مالم أكن كالوضيع بينكم، لا بل أكثر وضاعة منه، ثوروا ضد الحقيقة بقدر ماتستطيعون، قرفاً ممن يبشر بها. سأكون مضلّلاً لكم وخدّاعاً

مادمتم تجدون لي أدنى بريق من الشرف والعزة.

العجوز: إنك تعد كثيراً ولن تقدر على هذا الحمل.

بيرون: وإذن، سأقول لهم: إنني ضعيف جداً ولا أستطيع الوفاء بما أعد. وبقدر ماتزداد إهانتى وعجزي بقدر ما يحترسون من الحقيقة إذا خرجت من فمي.

العجوز: إذن، تريد أن تكون معلّم الاحتراس من الحقيقة؟

بيرون: ذلك الاحتراس اللامثيل له، الاحتراس من كلّ شيء ومن الجميع. إنّها الطريق الوحيدة التي تقود إلى الحقيقة. لاينبغي للعين اليمنى أن تثق بالعين اليسرى، وللضوء أن يُسمّى، أحياناً، ظلاماً. هذه هى الطريق التى يجب أن تأخذوا. لاتظنوا أنها ستقودكم إلى الأشجار المثمرة وإلى الأحراش الجملية. ستجدون فوقها كثيراً منَ الحبيبات الصغيرة القاسية. تلكم هى الحقائق. سيتوجب عليكم ـ وخلال عشرات السنين ـ أن تبلعوا الأكاذيب بالحفنات كى لاتموتوا جوعاً وأنتم تعرفون أنهّا أكاذيب. لكن هذه الحُبيبات سوف تُغْرس وتُطْمَرُ. وربما، ربما يجيىء، لا أعلم متى، يوم الحصاد. لا أحد يستطيع أن يعد بذلك إلاّ إذا كان مهووساً متزمتاً.

العجوز: ياصديقي، ياصديق! كلامك هذا كلام مهووس متزمت!

بيرون: معك حق! سأحترس من جميع الكلام.

العجوز: وقتها، يجب أن تصمت.

بيرون: سأقول لهم، عليّ أن أصمت وعليهم أن يجابهوا صمتي.

العجوز: إذن. تنسحب. تتخلى عن مهمتك؟

بيرون: كلا، كلا... لكنك أريتني للتوّ الباب الذي يجب أن أعبر منه.

العجوز: لا أعلم... هل يفهم واحدنا الآخر تماماً؟

بيرون: ربّما كلا!

العجوز: إلاّ إذا كنت تفهم نفسك على الأقل!

يلتفت بيرون ويضحك.

العجوز: آه ياصديقي! الضحك والصمت... أهنا كلُّ فلسفتك؟

بيرون: لن تكون أسوأ فلسفة...

ـ ١٣٢ ـ

حكمة الإغريق

ومثلما أن رغبة الانتصار والسيطرة هى سمة الطبيعة اللاتقاوم والأقدم بكثير من احترام المساواة، فإن الدولة الإغريقية منعت المنازلة الجسدية والشعرية بين المتساويين بالقوة. يعني حددت المجال الذي كانت من خلاله هذه الفطرة تستطيع إرضاء ذاتها دون أن تهدد النظام السياسي. ومع أفول المنازلة الجسدية والشعرية غرقت الدولة الإغريقية فى الاضطرابات والتفكك الداخلي.

ـ ١٣٣ ـ

«أبيقور الأبدي»

عاش أبيقور جميع العصور، ولا يزال، مجهولاً من قبل الذين يقولون عن أنفسهم، ولا يزالون، أبيقوريين، كما عاش بلا حظوة عند الفلاسفة. حتى هو نفسه نسي اسمه: ذلك هو الحمل الثقيل الذي استطاع أن يرميه.

ـ ١٣٤ ـ

المدفونون

نأوي إلى الخلوة، ليس بسبب بعض الأحزان الشخصية، كعدم رضانا عن ظروف الحاضر السياسية والاجتماعية، بل لأننا نريد من وراء خلوتنا أن نوفّر

طاقاتٍ سوف تحتاج إليها الحضارة ذات يوم لامحالة، فالحاضر هو ماهو ويؤدي رسالته الخاصة. نحن أنفسنا رأس مال نحاول الحفاظ عليه، لكن باخفائه كما كان يحدث في العصور الخطيرة.

ـ ١٣٥ ـ

ضد الذين يهملون عيونهم

ألا نكتشف كلّ عشر سنوات قصراً في النظر لدى الطبقات الانكليزية المثقفة التي تقرأ جريدة التايمز؟

ـ ١٣٦ ـ

الأعمال الفنية والإيمان

كان لهذا الرجل أعمال فنية عظيمة، وكان صاحبه يؤمن بها إيماناً عظيماً. كانا لايفترقان: لكنّ الأوّلَ كان تابعاً بوضوح للثاني.

ـ ١٣٧

الاجتماعي

«لا أهضم نفسي جيداً»، كان يقول أحدهم ذلك لكي يُفسّر اجتماعيته «فمعدة المجتمع أصلب من معدتي، إنّها قادرة على تحملي».

ـ ١٣٨ ـ

الثأر الأقوى

إذا أردنا الثأر من خصم لامحالة، فعلينا أن ننتظر امتلاك حفنة من الحقائق وملامح صحيحة نستطيع استغلالها ضده بعيداً عن الانفعالات بحيث يتقاطع أخذ الثأر مع ممارسة العدالة. هذا هو الثأر الأقوى والأخطر، إذ لايوجد فوقه

سلطة يمكن اللجوء إليها هكذا ثار فولتير من PIRON عبر أسطر خمسة حكمت على حياته ومؤلفاته ومقاصده: كثير من الكلمات، كثير من الحقائق، وهكذا ثار أيضاً من فريدريك الكبير (برسالة وجهها إليه من فرساى).

ـ ١٣٩ ـ

كيف يستفيد المفكر من محادثة ما

دون أن نكون مستمعين، يمكن أن نسمع كثيراً: إذا عرفنا أن نرى جيداً وأن نتلاشى عن النظر أحياناً. ومع ذلك لايعرف النّاس الاستفادة من محادثة ما. فهم يركزون الانتباه على مايريدون قوله أو الإجابة عليه، فى حين أن المستمع الجيد يكتفي غالباً بإجابة مؤقتة، بأن يطرح إجمالاً شيئاً ما لصالح اللباقة، واضعاً فى ذاكرته ـ ومثل كمين ـ ماعرضه الآخر والطريقة التى عرضه بها نبرةً وإشارةً. كلٌّ واحد يعتقد فى المحادثة العادية أنه هو الذى يقود مجرى الحديث، تماماً كقاربين يبحران معاً ثم يبتعدان عن بعضهما شيئاً فشيئاً: يعتقد كلٌّ منهما أن الآخر يتبعه أو ينقاد له.

ـ ١٤٠ ـ

ثعلب أكثر من الثعلب

الثعلب الحقيقى لايقول فقط عن العنب الذي لايستطيع بلوغه إنّه حصرم، بل أيضاً عن العنب الذي بلغه والعنب الذي لامسه بأنفه.

ـ ١٤١ ـ

صمت القرف

ها هو فلان ــ إنسان ومفكر ــ يجتاز مرحلة تحول عميق وأليم ثم يقدم عن ذلك شهادة علينة :ومع ذلك ، لايلحظ مستمعوه شيئاً !

يعتقدون أنه لايزال كما كان ! ــ إن هذه التجربة أصبحت مألوفة بحيث سببت القرف لكثير من الكتّاب : لقد قدر هؤلاء ذكاء الناس تقديراً عالياً ثم أقسموا بعد الاعتراف بخطيئتهم هذه أن يلجأوا إلى الصمت.

ـ ١٤٢ ـ

إيجابي وسلبي

لايحتاج هذا المفكر إلى أى شخص آخر ينفيه: فهو يكفى نفسه للقيام بذلك.

ـ ١٤٣ ـ

ثأر الشبكة الفارغة

لنحذر من الذين يشبه شعورهم بالمرارة شعور صياد يعود مساءً الى بيته بشباك فارغة بعد نهار مضنٍ.

ـ١٤٤ـ

في اتجاه الضوء

يسرع النّاس فى اتجاه الضوء، ليس من أجل أن يروا بشكل أفضل، بل كى يلمعوا أكثر. ـ فمَنْ نلمع أمامه نعتبره ضوءاً بشكل طوعى.

ـ ١٤٥ ـ

تحامل

قال أحدهم: منذ طفولتي وأنا متحامل على نفسي، ولهذا أجد فى كلّ لومٍ أو عتابٍ شيئاً من الحقيقة، وفى كلّ مدحٍ شيئاً من الحمق. لأنني عادةً أعتبر الإطراء منحطا واللّوم عالياً.

- ١٤٦ -

طريق العدالة

عدة ساعات من صعود الجبال تساوي النذل بالقديس. لأن التعب أقصر طريق إلى العدالة والأخوة - وأخيراً نصل إلى الحرية عبر النوم.

- ١٤٧ -

النصير الأخطر

النصير الأخطر هو الذي يدمّر انسحابه (ارتداده) الحزب بكامله: إذن هو الأفضل.

- ١٤٨ -

غاية ووسيلة الديمقراطية

تتغيا الديمقراطية الحصول على الاستقلال وضمانه لأكبر عدد ممكن، استقلال الآراء وطريقة الحياة وكسب العيش. لذلك لابدّ من أن ترفض على الفقراء والأغنياء حق الانتخاب السياسي. فهما طبقتان غير شرعيتين عليها أن تُحجّمهما لأنهما تضعان باستمرار مهمة الديمقراطية موضع تساؤل. على الديمقراطية الوقوف في وجه كلّ مايبدو أنّه بصدد تنظيم الأحزاب. لأن أعداء الاستقلال هم الفقراء والأغنياء والأحزاب. - أتكلم على الديمقراطية بصفتها شيئاً لم يأت بعد. أما مايحمل اليوم هذا الاسم فلا يتميز عن أشكال الحكم القديمة إلاّ بوجود أحصنة جديدة تمّ كدنها: الطرقات بقيت كما كانت قديماً، والعجلات هي الأخرى قديمة - فهل قلّ الخطرُ على رفاهية الشعوب مع العربات الحالية؟

ـ ١٤٩ ـ

مستخلَصٌ من ممارسة الحكيم

كي تصبح حكيماً، لابدّ أن تقبل بالمرور عبر بعض التجارب، وإذن أن تسرع فى الارتماء بين أشداقها بلا تروٍ. من المؤكد أن ذلك فى غاية الخطر وهناك احترق أكثر من «حكيم».

ـ ١٥٠ ـ

«شيء واحد ضروري»

إذا كنت ذكياً، فالشيء الوحيد الذي ينبغي الاهتمام به هو أن تمتلك سعادة القلب. ـ لكن يضيف آخر: للأسف، إذا كنت ذكياً فأفضل ماتفعله هو أن تكون حكيماً.

ـ ١٥١ ـ

زمن الغياب

عليك أن تغيب ولو لفترة عما تريد قياسه ومعرفته. لأنك بعد أن تترك المدينة تستطيع رؤية مدى ارتفاع أبراجها فوق البيوت.

ـ ١٥٢ ـ

[ظهرا]

أ... استيقظ فى أحد صباحات الحياة نشيطاً، عاصفاً. غير أن حاجةً إلى الهدوء امتلكت عليه الروح ظهرَ الحياة: إنّها حاجة قد تمتد شهوراً وسنيناً. هاهو الصمت يخيم حوله، الأصوات تبتعد شيئاً فشيئاً فيما تقسط الشمس فوقه بشكل عمودي. وعبر فرجة ضوءٍ وسط الغابة يشاهد «بان» الكبير [إله الغابات

والمراعى] مستسلماً للنوم ومعه غفت جميع كائنات الطبيعة وفوق وجهه تعبير الخلود. ـ هكذا بدا له على الأقل. لايريد شيئاً، لايهتم بشيء، توقف قلبه ولا شيء يحيا عنده إلا النظر: إنه ميت والعينان مستيقظتان. وقتها، شاهد أشياء لم يرها إطلاقا وكلّما نظر بعيداً يراها متكوّرة كأنها ملفوفة بشبكة من النور. وبهذا الشكل أحسّ أنه سعيد، لكنّ هذه السعادة ثقيلة، ثقيلة. ـ أخيراً تنهض الرياح بين الأشجار، تمضى الظهيرة، تشدّه الحياة إليها، الحياة العمياء، ويندفع خلفها بموكبه: رغبات، أوهام، نسيان، لذة، فناء، زوال. هكذا، هبط المساء أكثر نشاطاً وعصفاً مما كانه الصباح ـ أ... رجل نشيط، ولحظات المعرفة الطويلة قليلاً تبدو مثيرة للقلق، لكنها غير مزعجة إطلاقاً.

ـ ١٥٣ ـ

مبدأ الحياة الجديدة

المبدأ الأول: ينبغى تنظيم الحياة بمنظار ماهو أكثر تأكيداً وما يمكن التدليل عليه أكثر وليس بمنظار ماهو أكثر بعداً وإبهاماً، وأكثر سديمية فى الأفق كما هو شائع حتى الآن.

المبدأ الثانى: يجب إيقاف تراتبية الأشياء المتقاربة والأكيدة قبل تنظيم الحياة الشخصية وإعطائها توجهاً نهائياً.

ـ ١٥٤ ـ

نزقٌ خطير

سيبدو الموهوبون، لكن الكسالى، نزقين بعض الشىء عندما يُخرج أحد أصدقائهم كتاباً متيناً، تستيقظ الغيرة فيهم ويخجلون من كسلهم ـ أو بالأحرى يخافون والآخر نشيط، ألا يحتقرهم الآن أكثر من قبل. وفى مثل هذه المواقف

ينتقدون العمل الفنى الجديد - ويتحول نقدهم إلى ثأر يثير دهشة المؤلف الكبرى.

- ١٥٥ -

تقويض الأوهام

من المؤكد أن للأوهام لذات مكلفة، غير أن تقويض الأوهام أكثر كلفة: إنه لذة أخرى، لا بل أكثر من لذة.

- ١٥٦ -

معرفة أن تفاجيء الذات

من يريد رؤية نفسه كما هو، عليه أن يعرف كيف يفاجيء نفسه واللهب فى يده. فالأمر ينسحب على الأخلاق كما ينسحب على الفيزيقي: من تعوّد النظر إلى نفسه فى المرآة ينسى قبحه دوماً ولا يلحظ هذا القبح إلاّ عبر رسّام. لكنه سيألف الرسم أيضاً وينسى قبحه مرة ثانية على التوالي. - فالإنسان وفقاً للقانون العام لايتحمل القبح الدائم إلاّ للحظات. وفي جميع الأحوال ينساه أو ينكره. على الأخلاقيين أن يعتمدوا على تلك اللحظات كي يستطيعوا تقديم حقائقهم.

- ١٥٧ -

علامات الحرية والتبعية

أن يشبع الإنسان، وقدر الامكان، حاجاته الضرورية، حتى وبشكل غير تام، فذلك يصب فى اتجاه حرية الروح والشخص. أن يترك الإنسانُ الآخرين يشبعون كثيراً من حاجاته، حتى السطحية، وبقدر الامكان أيضاً، - فذلك يقود إلى التبعية. فالسفسطي هيباس الذى اكتسب بنفسه الداخل والخارج والذي عمل بنفسه كلّ مالديه يتجه فى اتجاه الحرية الأسمى، حرية الروح والشخص. مايهم، ليس أن

يكون كلُّ شيء مصوغاً بشكل تام وجيد: فالأنفة موجودة كي ترقع مواضع الألم.

- ١٥٨ -

الإيمان بالذات

يُحْتَرسُ ممن يؤمن بذاته فى هذا العصر: سابقاً، كان ذلك يكفي كي تجعل الآخرين يؤمنون بك. وصفة إيجاد الثقة والرضى هى اليوم: «لاتجامل نفسك ولا تحترس منها! إذا أردت لرأيك إضاءة جديدة بالإيمان، فابدأ باحترام النّار فى كوخك!».

- ١٥٩ -

أنبياء الوقت

كما تخدعنا الغيوم التى فوق رؤوسنا باتجاه الرياح، كذلك الأذهان الأكثر لطافة وحرية: تبشر من خلال وجهتها بحالة الجوّ القادمة فريح الوادي وآراء الساحة العامة لاتدلّل على شيء فيما يخص الآتي، بل تدلل على ماهو كائن فقط.

- ١٦٠ -

ثلاثة أشياء جيدة

الهدوء، العظمة، الشمس ـ تشمل هذه الأشياء الثلاثة كلَّ مايرغبه المفكر وما يطلبه من نفسه: آماله، واجباته، طموحاته فى المجال الثقافي والأخلاقي، بل أسلوب حياته اليومية وحتى مايخص منظر سكنه وشكل بيته. مع هذه الأشياء الثلاثة، تتقاطع أفكار تعلو أولاً، تهبط ثانياً، وتضىء ثالثاً. ـ لكن رابعاً ـ، أفكار لها بعض هذه السمات الثلاث، ومن خلالها يفتح الوجودُ الأرضيُّ المجال للتحوّل: هذه هى الامبراطورية الكبرى حيث يسود ثالوث الفرح.

ـ ١٦١ ـ

الموت من أجل «الحقيقة»

لن نحترق من أجل آرائنا، لأننا غير متأكدين منها. لكن ربمًا نحترق من أجل حق امتلاك وتعديل آرائنا.

ـ ١٦٢ ـ

البطولة

تقوم البطولة على فعل شيء عظيم (أو على ألاّ نفعل شيئاً لكن بعظمة أيضا) دون الإحساس بأننا في مباراة مع آخرين، أمام الآخرين. فالبطل أين ماذهب يحمل معه وباستمرار الصحراء والأفنية اللايمكن دخولها.

ـ ١٦٣

كيف ينبغى الانتصار

يجب ألاّ نرغب بالانتصار، إذا كان قصدنا أن نتجاوز الخصم بشعرة فقط. فعلى النصر الجيد أن يهيء المهزوم للفرح، وأن يتسم بالرفعة التى توفر عليه الخجل.

ـ ١٦٤ ـ

اقتضاء النظافة

إن تغيير الآراء لدى بعض الطبائع هو اقتضاءُ نظافة يشبه اقتضاء تغيير الملابس، وبالعكس، هو لدى طبائع أخرى اقتضاء تفرضه تفاهتهم فقط.

ـ ١٦٥ ـ

جدير ببطلٍ أيضاً

هاهو بطل لم يفعل شيئاً إلاّ أنه هزّ الشجرة حالما نضجت ثمارها. أيبدو لكم هذا قليلاً؟ إذن، انظروا إلى الشجرة التى هزّها.

ـ ١٦٦ ـ

بحروف من ذهب

فُرِض على الإنسان كثير من القيود لجعله يتخلى عن عادة السلوك سلوكَ الحيوان. والواقع أنه صار أكثر وداعة وذكاءً وسعادة ووعياً من جميع الحيوانات. لكن هاهو يتألم لأنه حمل هذه القيود زمناً طويلاً، لأنه افتقر طويلاً إلى الهواء النقى، إلى حرية الحركة. غير أن هذه القيود هى ـ سأكرر ذلك باستمرار ـ الاثام اللطيفة والخطيرة، آثام الأفكار الأخلاقية والدينية والميتافيزيقية. لن يتم بلوغ الهدف الأول إلاّ عندما يتمُّ تجاوز مرض القيود: انفصال الإنسان عن الحيوانات ـ ونحن الآن فى منتصف عملنا لرفع هذه القيود، ولا بدَّ من تعقّل شديد. فحرية الفكر لاينبغى أن تعطى إلاّ لمن صار نبيلاً. فهو وحده القادر على رؤية اقتراب تلطيف الحياة، بلسم جروحه. هو الأول القادر على القول إنه لايعيش إلاّ من أجل الفرح وليس من أجل غاية أخرى. وفى كلّ فم آخر غير فمه سيكون شعاره الخطير: سلام على ماحولي، وحبور لجميع الأشياء القريبة. يذكّره هذا الشعار لدى بعض المنعزلين بكلام عظيم ومؤثر قيل قديماً من أجل الجميع وظلّ فوق الإنسانية شعاراً ورمزاً يسبب الخسارة لكلّ من علّقه برايته وبشكل مبتسر ـ لم يحن الوقت بعد ليعرف النّاس مصير هؤلاء الرعاة الذين رأوا السّماء تضىء فوق رؤوسهم وسمعوا هذا الكلام: «السلام على الأرض وحبور لجميع النّاس» ـ إنّه زمن الأفراد المنعزلين المتوحدين.

الظل: من جميع ماقلتَ لم ينل إعجابى إلاّ بعض الوعود: ستصبحون جيران الأشياء الأقرب. ونحن الظلال الفقيرة نستفيد من هذا جيداً. لأنكم وحتى الآن - اعترفوا بذلك - لم تغتابونا إلاّ كثيراً.

المسافر: اغتبناكم؟ لكن لماذا لم تدافعوا عن أنفسكم؟ فآذاننا كانت قريبة جداً منكم!

الظل: كان يبدو أننا قريبون جداً كى نتحدث معكم عن أنفسنا!.

المسافر: أية لباقة! للأسف، أنتم الظلال «أناس أفضل منا». وهذا ما أراه واعتقده جيداً.

الظل: ومع ذلك قلتم لنا «غير مناسبين»، نحن الذين نرضى جيداً بشيء ما على الأقل، نخرس، وننتظر - ليس هناك انكليزى واحد يرضى بذلك. صحيح أننا غالباً - وغالباً جداً - نلاحق الإنسان، لكن لسنا تحت سيطرته ونيره أبداً. فعندما يهرب الإنسان من النور، نهرب نحن من الإنسان: حريتنا تصل إلى هذا الحد دوماً.

المسافر: للأسف. لايزال النور يهرب من الإنسان. وإذن، أنتم أيضاً تتخلون عن الإنسان.

الظل: غالباً ماتخليت عنك، لكن بألم، أنا الذى يتوق إلى المعرفة. ولا تزال لدى الإنسان أشياء كثيرة غامضة، لا افهما. إذ من غير الممكن أن أكون حوله باستمرار. ومع هذا، سأكون عبدك طواعية، لكن بسعر المعرفة التامة والكلية، معرفة الإنسانية.

المسافر: هل تعرف، هل أعرف، أنك قد تصير من عبد إلى سيِّد فجأة؟ أو قد تعيش، وأنت عبد، وبازدراء سيِّدك عيشة ذلّ وقرف؟ لنكتفِ، نحن الاثنين،

بالحرية التى تبقت لك... ولي معاً! لأنّ رؤية قَنٍ قد تسمم أعظم أفراحى. وما يناسبنى فى حالة الاشمئزاز هو أن يكون أحدهم مجبراً على اقتسام ذلك معى. ولهذا ايضاً لا أحب الكلب، هذا التنبل الطفيلى المتحرك الذيل الذى لم يصبح «كلباً» إلاّ بصفته عبداً للناس الذين يصلون فى مدحه إلى القول: وفىّ لسيّده ويتبعه مثل....

الظل: مثل ظله... هكذا يقولون. ربمّا اليوم ايضاً، تبعتك وقتاً طويلاً؟ إنّه اليوم الأطول. لكن ها نحن فى نهايته، فاصبر قليلاً. الأعشاب رطبة وأنا ارتعد من البرد.

المسافر: أوه... أحان وقت فراقنا حقاً؟ وكان علىّ أن اسىء إليك كي ننتهى. لقد اصبحتَ أكثر دكوناً كما أرى!

الظل: لقد خجلتُ باللون الذى استطيع. إنّها لفكرة مفاجئة حقاً أنني كنت غالب الوقت مرخياً على قدميك مثل كلب فيما أنت....

المسافر: ألا تستطيع فعل اى شيء وبسرعة، شيء يروق لك؟ أليس عندك رغبة؟

الظل: أبداً. ولا رغبة. ربما باستثناء رغبة «كلب» الفيلسوف أمام اسكندر الكبير: انسحبْ من شمسي فأنا أشعر بالبرد.

المسافر: ماذا يجب أن أفعل؟

الظل: قف تحت أشجار التنوب هذه وانظر إلى الجبال خلفك. ثم تهبط الشمس.

المسافر: أين انت؟ أين انت؟

ـ ١ ـ

دعـــوة

تجرأوا وذوقوا طعامي أيها الآكلون

غداً سيكون طعمه أفضل

بعد غدٍ سيبدو لكم لذيذاً!

أتريدون منه أكثر؟

وجباتي السبع العتيقة ستلهمني

كثيرا من الشجاعات الجديدة

ـ ٢ ـ

سعادتي

عندما تعبت من البحث

تعلمتُ أن أقوم بالاكتشافات

ومنذ أن خاصمتني رياح

أعليت شراعي لكلّ رياح

ـ ٣ ـ

بسالة

هناك حيث أنتَ أيُّها المجسُّ!

يوجد النبع فى القاع!

دع الصراصير تزعق:

«وفى القاع دوماً ـ يكمن الجحيم!»

ـ ٤ ـ

حكمة العالم

لاتبق فى الوطن المسطح

لاتفكر بالصعود كثيراً جداً

مرأى العالم من وسط الارتفاع

يقدّم أجمل المناظر.

ـ ٥ ـ

ملازمة

هل يُغريك أسلوبي ولغتي؟

ماذا... سوف تتبعني خطوةً فخطوة؟

كن وفياً لك وحدك، كن أنتَ

هكذا تكون قد تبعتني ـ وديعاً! وديعاً!

ـ ٦ ـ

التحول الثالث

يتقرّن الآن جلدي، يتفتت

وفى داخلي الآن يتطلع الثعبان

بشوق إلى تراب أكثر

من أجل تراب كثير هضمه

مندّساً بين الأعشاب والحجارة

متلهفاً فوق طريقي الوعرة

التراب، ذاك الغذاء الأبدي

أنت يامرعى الثعابين

ـ ٧ ـ

مثلٌ سائر

... فظ وحنون، ناعم وخشن

غريب ومألوف، قذر ونقي

صداقة الحكماء والمجانين:

أنا جميع هذا وأريد أن أكونه،

حماقة، ثعبان وخنزير

ـ ٨ ـ

صعود

«كيف أصل القمة بأسرع مايمكن؟»

اصعد دائماً ولا تفكر بها

ـ ٩ ـ

الغاوي رغماً عنه

أطلق كلمة فارغة، أطلقها بكسل:

إلى المغامرة ـ لكنها سببّت سقوط امرأة

ـ ١٠ ـ

ضد التعجرف

لاتنتفخ: خوف أن تنفجر

من أدنى إبرة

ـ ١١ ـ

رجل وامرأة

«اخطف المرأة التى يحترق قلبكَ من أجلها!»

هكذا يفكر الرجل. المرأة لاتختطف. إنَّها تُخفى.

ـ ١٢ ـ

تأويل

أشرح نفسى وأكذب عليها

أعجز عن تفسير نفسي

وحده الذي يتسلق طريقه المحصنة

ينير لي صورتي عن نفسي

ـ ١٣ ـ

صلاة

اعرف اعماق كثير من النّاس

ولا ادرك ـ أنا ـ من أنا!

فعيني قريبة جداً مني ـ

ما أراه ليس أنا

ولا الذى قد رأيته

كنت قد أستفيد أكثر من نفسي

لو أبتعد عنها بعض المسافة...

ـ ١٤ ـ

المسافر

«لاطريق فى جميع الجهات! هاويةٌ تحيط وصمتُ موتٍ!»

أردتَ ذلك! إرادتك حادَتْ عن كلّ طريق!

حان الوقت أيها المسافر

انظر ببرود. كن صاحياً

ستضيع إن اعتقدت بالخطر

ـ ١٥ ـ

عزاء للمبتدئين

انظروا بين الخنازير التي تنخر، شاهدوا

الطفلَ الضعيف وأصابع قدميه ملتويةً!

كلٌ مايستطيعه البكاء!

هل سيقف على قدميه فيتمشى؟

لاتخافوا، قريباً، سترون

الطفل يرقص؟ وحالما يقف على قدميه

سيقف على رأسه أيضاً!

ـ ١٦ ـ

الخاضع

أ ـ يتوقف، يسمع: ما الذى يقدر أن يغويه؟

ما الضجيج الذى تسمع أذناه؟

ماذا استطاع أن يقتل؟

ب ـ مثل أى إنسان قديماً حمل السلاسل:

يرى فى كلّ مكان ويسمع قرقعة القيود.

ـ ١٧ ـ

تعقل

لم تعد الأسفار آمنة فى هذه المنطقة:

فإذا كنتَ نبيهاً، ضاعف الحذر!

تُجذَبُ، تُهْمَلُ، ثم تُمَزّق:

ممجدّة هذه العقول: ينقصها الذكاء دوماً.

ـ ١٨ ـ

في الصيـف

هل ينبغي أن نأكل الخبز

بعرق الجبين؟

تقول تعليمات الأطباء الحكماء

من الأفضل ألا نأكل شيئاً فى العرق.

يومىء القيظ إلينا: ماذا ينقص؟

ماذا تعنى إماءته النارية؟

بعرق الجبين

ينبغي أن نشرب من كرومنا!

ـ ١٩ ـ

بلا رغبـــة

بلى. نظراته الآن بلا رغبات: ألهذا تكرمونه؟

لايبالى بتكريماتكم

ـ إنّ له عيون النسر من أجل كلّ ماهو بعيد

لم يعد يراكم ـ لم يعد يرى إلاّ النجوم، النجوم!

ـ ٢٠ ـ

نزعة هيراقليطية

من الصراع ياأصدقاء

يجيء كلُّ فرح فوق الأرض!

بلى. وكي نصير أصدقاء

لابدَّ من أبخرة الغبار!

ويتحد الأصدقاء بثلاثة أشياء:

إخوة في الضرورة

متساوون أمام العدو

أحرار ـ أمام الموت

ـ ٢١ ـ

بلوغ القاع

أنا، باحث؟ احترسوا من هذه الكلمة!

لستُ إلاّ ثقيلاً ـ كأوزان الميزان!

أهبط، أهبط بلا توقف،

كي أبلغ القاع في النهاية!

ـ ٢٢ ـ

بشكل نهائي ودوماً

«سوف آتي اليوم، لأن اليوم يناسبني» ـ

هكذا يفكر كلُّ من يأتي بشكل نهائي

ولا تهمه ثرثرة العالم:

«تأتي باكراً جداً! تأتي متأخراً جداً!»

ـ ٢٣ ـ

أحكام الكائنات المتعبة

الشمس! كلُّ المتعبين يلعنون الشمس:

والأشجار لاتساوى نفسها ـ إلاّ بالظلّ!

ـ ٢٤ ـ

انحطــاط

«ينخفض الآن يسقط» ـ لاتكفوا عن الاستغاثة

الحقيقة: يهبط إلى الأسفل فى اتجاهكم!

كانت سعادته المفرطة عالةً عليه

قوة ضوئه تبحث عن ظلامكم

ـ ٢٥ ـ

الحكيم يتكلم

غريب على الشعب. ومع ذلك يفيد الشعب.

أمشي طريقي. تارةً شمس. تارة غيم

ودوماً فوق هذا الشعب!

ـ ٢٦ ـ

الكتابة بالقدم

لا أكتب باليد فقط

قدمي هى الأخرى تريد أن تمارس الكتابة أيضاً

شديدة حرة ومقدامة. تبدأ الجري

تارة عبر الحقول. تارة فوق الورقة

ـ ٢٧ ـ

إلى قارىء

أضراس جيدة. معدة جيدة

هذا ما أتمناه لك!

إذا هضمت كتابي

فأكيد أنك سوف توافقني.

ـ ٢٨ ـ

الذوق الصعب الإرضاء

لو تُرِكَتْ لي حرية الاختيار

لاخترت طواعية مكاناً صغيراً

وسط الجنة:

وأفضل أيضاً ـ أمام بابها!

ـ ٢٩ ـ

أخلاق الكواكب

أيّها الكوكب المرصود لمدار الكواكب

ما الذي يعطيكه الظلام؟

سرْ عبر هذا الزمن هادئاً نقياً

وليبتعد عنكَ بؤسه

فبريقك ينتمي إلى أبعد العوالم

ولتكن الرأفة بالنسبة إليك خطيئة!

ليس لك إلاّ قانون واحد: كن نقياً!

الكتاب الأول

ـ ١ ـ

ملاحظات لأجل المجتهدين ـ مَنْ يريد، بدءاً، أن يجعل من القضايا الأخلاقية مادة دراسةٍ، فإنه يفتح لنفسه حقلاً متسعاً من العمل. فهناك أنواع كثيرة من الأهواء والنزعات التى تحتاج إلى التمعن بشكل منفرد، إلى التفحص عبر العصور بشكل منفرد أيضاً، لدى الشعوب ولدى الأفراد الكبار والصغار: ينبغي إيضاح طريقة تفكيرهم، طريقة تقديرهم للقيم وإضاءة الأشياء! حتى اليوم لاتاريخ لما يعطي الكون لوناً: إذن، أين تاريخ الحب، تاريخ الجشع، تاريخ الحسد، تاريخ الوعي، تاريخ الشفقة، تاريخ الوحشية؟ لابل ينعدم حتى تاريخ مقارن للحقوق أو للعقوبات. لم يُفكَّرْ بدراسة مختلف أقسام النهار، ودراسة نتائج تحديدٍ منظم للعمل، بدراسة الأعياد وأيام الراحة؟ هل نعرف التأثيرات الأخلاقية للأغذية؟ هل توجد فلسفة للتغذية؟ (وحده الهيجان الذى يتفجر باستمرار مع أوضد النزعة النباتية يثبت أن فلسفة مماثلة لاوجود لها!). هل حدث وجُنيت خبرات الحياة الجماعية، مثلاً، خبرات الحياة الجماعية، مثلاً، خبرات الحياة الرهبانية، أو هل قُدِّم جدل الحياة الزوجية أو جدل الصداقة؟ العادات المختلفة، عادات العلماء، عادات التجار، عادات الفنانين، عادات الحرفيين ـ هل وَجَدَتْ منظريها؟ هل التفكير بهذا صعب؟ جميع ما اعتبره النّاس حتى الآن «ضروراتهم الحيوية»، وجميع ماكانوا يقدمونه من تبريرات، ومن حب وعبادة من أجل اعتبارها كذلك ـ هل تم اكتشافه بعمق؟ وحدها ملاحظة مختلف أشكال النمو التى اتخذتها الدوافع البشرية والتى يمكن أن تتخذها مستقبلاً وفق مختلف الأجواء الأخلاقية.... نقول وحدها تلك الملاحظة تمثل سلفاً أكثر مما يلزم بكثير من العمل لأجل المجتهد المتحمس جداً: لا بد من أجيال كاملة من العلماء

المتعاونين بشكل منهجي لاستنفاذ آراء ومادة هذا الحقل. والأمر نفسه ينطبق على إيضاح الأسباب التي تحدد اختلاف الأجواء الأخلاقية. (لماذا تسطع في هذا الأفق شمس حكم أخلاقي، شمس معيار قيمي، وفي أفق آخر تستطع شمس أخرى؟). إن أي عمل جديد سيقوم على توضيح الخاصية المحاطة بهذه الأسباب وطبيعة الحكم الأخلاقي الذي ساد حتى الآن. لنفترض أن مجموع هذا العمل قد تمّ إنجازه، فإن السؤال الأكثر تعقيداً سيقفز إلى الواجهة أيضاً: هل سيكون بمقدور العلم أن يحدد أهداف العمل، بعد أن أظهر قدرته على الإطاحة بأهداف مماثلة؟ عندها قد يبدأ تجريب قادر على إشباع أي نوع من البطولة، تجريب عدة قرون، قادر على بزّ جميع الأعمال الكبيرة وجميع التضحيات المعروفة في التاريخ. حتى الآن، لم يشيّد العلم أبنيته الضخمة: هذا الزمن سوف يأتي أيضاً.

ـ ٢ ـ

هيجاناتنا ـ الكفاءات اللاتحصى والتي حازت عليها الإنسانية في مراحلها السابقة، وهي كفاءات لاتزال ضعيفة وجنينية بحيث لا أحد يتصوّر أنها مكتسبة، تخرج إلى النور فجأة وبعد اكتسابها بوقت طويل، ربّما بعد عدة قرون: أثناء ذلك، تكون قد تمتنت ونضجت. ويبدو أنه في بعض العصور ولدى بعض الرجال تنعدم هذه الموهبة أو تلك الفضيلة: لكن يتم انتظارهما حتى لدى الأحفاد وأولاد الأحفاد، هذا إن توفر وقت للانتظار ـ سيحملون سريرة أجدادهم في وضح النّهار، السريرة التي لم يكن للأجداد فيها أيّ شك. الابن هو الذي يخون سرّ أبيه غالب الأحيان: والأب يفهم نفسه بشكل أفضل عندما يجيء ابنه. نحمل جميعاً في داخلنا أشياء سرّية وخفية. ولكي نختار تشبيهاً آخراً نقول: جميعنا براكين نامية تنتظر ساعة انفجارها وهيجانها. ـ هل هذه الساعة قريبة أم بعيدة، هذا مالا يعرفه أحد حتى ولو كان إلهاً.

-٣-

الوعي - الوعي هو آخر تطور تعرفه الحياة العضوية، وبالتالي هو الأقل اكتمالاً والأكثر هشاشة فيها. وعن الحياة الواعية تصدر الخطوات المزيفة اللاتحصى، خطوات تجعل الحيوان والكائن البشري يتعرضان للفناء قبل أن يكون ذلك ضروريا - «رغم القدر» كما يقول هوميروس: ألم يكن القدر اللامتناهي القوة ذلك الرابط المحافظ على الغرائز، ألم تكن الفضيلة المنظّمة التي مورست بشكل عام على الجميع. ربّما وجب على الإنسانية أن تفنى بسبب افتقارها إلى أساس، بسبب سذاجتها، وبالتحديد بسبب حياتها الواعية: لعلّ الإنسانية كانت قد اختفت منذ وقت طويل من دون هذه الظواهر! فقبل أن تتطور خاصية ما وتنضج تشكّل خطراً على مجموع الأعضاء: ومع ذلك، حبذا لو تتعرض خلال هذا الوقت، وبشكل قاس، للاضطهاد والقمع! هكذا سيجد الوعي نفسه مقموعاً أيضاً - وربّما لاتكون كبرياؤه المحضة هنا أقلّ طغياناً! يُظنُّ أن جوهر الإنسان قائم فى هذا: في كلّ ماهو دائم، خالد، أخير، في كلّ ماهو أكثر أصالة! ويؤخذ الوعي على أنه كمية ثابتة محددة! يُنْكَرُ نموّه وتحولاته! يتَصَوّر على أنه «وحدة الأعضاء جميعاً»! - ينتج عن هذا التقدير العالي وعن هذا التجاهل المضحك للوعي منع نضوجه بشكل سريع. ولأن النّاس كانوا يعتقدون أنهم يمتلكون الوعي، لذلك لم يجهدوا أنفسهم كثيراً من أجل اكتسابه - ولا يزال اليوم الوضع كما كان عليه سابقاً! أن نتمثل المعرفة، أن نجعلها فطرية ، هذا مايشكّل مهمة جديدة تتوضح بالكاد، مهمة تكشف الرؤية الإنسانيةعن بريقها، - مهمة غير ممكنة إلاّ في نظر الذين أدركوا أن أخطاءنا وحدها هي التي، وحتى الآن، تمثّلتنا واندمجت بنا، وأن وعينا لامرجع له إلاّ إلى الأخطاء.

- ٤ -

من أجل مذهب الشعور بالقوة. - أن نحسن أو أن نسيء إلى الآخرين، فذلك يعني أننا نمارس عليهم قوتنا - ولا نرغب بشيء آخر! أن نسيء، فذلك مانمارسه

على مَنْ نريد أن نبتليهم أولاً، لأن الألم أنجع من اللذة في سبيل هذه الغاية ـ: الألم يتطلب أسباباً، أما اللذة فتميل إلى أن لاتعتبر غير نفسها دون النظر إلى غيرها. نمارس قوتنا في أن نحسن أو في أن نريد الإحسان إلى التابعين لنا بشكل من الأشكال (يعني الذين اعتادوا التفكير بنا كما يفكرون بأسبابهم)، نريد أن نزيد في قوتهم، لأننا بذلك نزيد في قوتنا، أو نريد أن نريهم فائدة التبعية إلينا، ـ هكذا سيكونون أكثر رضىً بظروفهم وأكثر عدوانية وقتالية لأعداء قوتنا الخاصة. أن نضحي من أجل الإحسان أو الإساءة، فذلك لايبدّل في شيء القيمة النهائية لأفعالنا، أن نعرّض حياتنا للخطر كالشهيد من أجل كنسيته، ـ فهذا قربان نقدمه من أجل عطشنا إلى القوة أو من أجل الحفاظ على الشعور بهذه القوة. ما أكثر الامتلاكات التي لايهجرها من يريد أن ينقذ شعوره بأنه «يمتلك الحقيقة»! ما أكثر الأشياء التي لايرميها كي يبقى «فوق» ـ يعني فوق الآخرين الذين يفتقرون إلى «الحقيقة»! من المؤكد أن الحالة التي نسيء فيها لاتقل روعة وصفاء من كلّ خليط عن الحالة التي نحسن فيها ـ هذا دليل على أننا لانزال نفتقر إلى القوة، أو دليل يُعرّي ماقاد إلى هذا الافتقار كما يُعرّي الضرورة التي تجبرنا على التصوف هكذا وبالتالي ننقاد إلى مخاطر جديدة وشكوكاً جديدة بالنسبة إلى القوة التي نمتلك كما يُظْلمُ أفقنا خوفاً من الثأر، من السخرية، من العقوبات، من الفشل. وحدهم النّاس الأكثر سخطاً والأكثر تعطشاً إلى الشعور بالقوة قادرون على الإحساس بلذة أن يطبعوا المعارض ـ المعاندَ بخاتم قوتهم: يعتبرون الخاضع لهم عبئاً ثقيلاً وضجراً حقيقيا (وذلك بصفته محلّ شفقتهم) كلُّ شيء تابع للطريقة التي نستخدمها في تطيب حياتنا: فالقضية قضية ذوق أن نفضّل تزايد قوة بشكل بطيء وليس بشكل مفاجيء، بشكل أكيد وليس بشكل مجازف مغامر، ـ ولا نختار هذه البهارات أو تلك إلاّ وفقاً للطبع والمزاج. فالطبائع الشامخة تزدري الفرائس السهلة ولا تشعر بالرفاه إلاّ عندما ترى أناساً لم يستطع شيء أن يكسّرهم ويمكنهم أن يكونوا خصوماً

لها، كما أنّ لاشيء يشدّها مثل رؤية الأملاك الصعبة البلوغ: غالباً ماتبدي قساوة بالنسبة إلى من يتألم، لأنه يبدو غير جدير بكبريائها وجهودها ـ لكنها بالمقابل تظهر كثيراً من التهذيب واللطف للمتساوين معها الذين ستكون معهم المعركة أكثر جدارة بالاحترام فيما لو سنحت الفرصة. الشعور بالراحة والرفاه، أي الشعور المرتبط بهذه الطريقة من الحياة، يسيطر على الفرسان الذين اعتادوا إظهار نبل فائق فى معاركهم ـ لايشعر بالشفقة إلاّ الذين تقل كبرياؤهم، الذين لايطمحون بفتوحات كبيرة: إن الفريسة السهلة، بالنسبة إلى هؤلاء وإلى كلّ كائن يعاني، هى شيء جذاب، شيء مغرٍ. نبجّل الشفقة بصفتها فضيلة نبات الهوى.

ـ ٥ ـ

منظور عن بعد. ـ هذا الجبل هو مبدع جاذبية المشهد الذي يطل عليه وهو الذي يعطيه هيبة: كي نتحقق من ذلك مئات المرات، لابدّ أن نكون أصحاب مزاج أخرق وفي الوقت نفسه نعترف بجميل الجبل الذي يمارس هذه الجاذبية. جبل نعتبره الأكثر جاذبية فى المشهد، ـ هكذا نتسلقه ونصاب بالخيبة. فجأة، يبدو الجبل بالذات وكلُّ المشهد الذى يحيط به شيئاً مُخيباً للأمل. لقد نسينا أن كثيراً من العظمة مثل كثير من الطيبة ينبغي أن ينظر إليها من على بعد ولا سيما من تحت لامن فوق ـ وهكذا فقط يمكنها أن تؤثر. لعلك تعرف من حولك أشخاصاً لايستطيعون أن يقدروا انفسهم إلاّ من على مسافة معينة وذلك بغية أن يشعروا بإمكانية تحملهم أو بأنهم جذابون أو قادرون على توزيع القوة: من المؤكد أنهم يحترسون من الاستبطان.

ـ ٦ ـ

اجتياز العبّارة. ـ فى العلاقة مع الأشخاص الذين يتسمون برزانة العواطف أو بحشمتها، تنبغى معرفة الكتمان والإخفاء: ذلك لأنهم حسّاسون جداً ويحقدون بسرعة على من يباغت عندهم شعوراً رهيفاً، حماسياً أو رقيقاً، كما لو أنه عرف

أســرارهـم. وإذا كنا نـحـرص على كـينونتـهم الجـمـيلـة فى مـثل هذه الحـالات فلنضـحكهم أو فلنفاجئهم ببعض النكات الباردة: ـ سوف يجمد انفعالهم وسـوف يتمـاسكون حالاً. لكـن هنا أُقدّم الأخـلاق قـبل الحكاية. ـ كنا قـريبين الواحـد من الآخر فى الحياة بحيث أن شيئاً لم يكن قادراً على إعاقة صداقتنا وأخوّتنا. وحدها مسـافة عبّارة كانت لاتزال تفـصل بيننا. وكنت أنت على أهبـة أن تجتازها عـندما طلبت إليك: «أتريـد اللحاق بي عبـر هـذه العـبّارة؟ ـ لكن كنت قـد تراجـعت وعلى رجائى المتكرر لم تجب بشىء. فـذاك، تموضـعت بيننا جبال وسـيـول مندفعة وكلّ مايفصل ويجعل الواحد غـريباً عن الآخر. ولمّا أردنا اللقاء لم يكن بعد ممكناً! لكن عندمـــا تـفـــكر الآن بهـذه العـبّارة الصـغـيـرة يخـونك الـكلام وتصـيـر اندهاشـاً ودموعاً فقط.

ـ ٧ ـ

الشر ـ افـحصـوا حـياة النّاس والشـعـوب الأفضل والأخـصـب، ولاحظوا إن كان للشـجرة التي عليـها أن ترتفع إلى الأعلى... إن كـان لها أن تسـتثنى من الـشـوادن والعـواصف: إن كان السـخط والعـوائق الخـارجية، إن كانت الأحقاد والغيرة، التمنع والحذر، القسـوة، الجشـع والعنف من جميع الأنواع لاتشكل بمـجموعـها الشـروط الأكـثر مناسـبـة التي من دونهـا يصعب تصـوّر نمو كـبيـر حـتـى فى حـالة العـفـة؟ فالسـم الذي تموت منه طبيـعة ضـعيفـة هـو منشـط بالنسـبة إلى القوى ـ لايـبالي بأن يدعى سـماً.

ـ ٨ ـ

ليس مرصـوداً للمعـرفة ـ هـناك نوع أحمق من الـذل، ولـيس نادراً جدا، يكفي أن نتأثر به قلـيلاً حتى نصـبح عاجزين عن أن نكون تلامـذة المعرفـة. والـواقع: عندما يرى إنسان من هـذا النوع شـيئاً غريباً مدهـشاً سرعان مايرتدُّ على أعـقابه قائلا: «خطأ! لكن أين كنتُ شارداً؟ إن ذلك لايمكن أن يكون الحقيقة!» ـ مذاك، وبدلاً من أن يمعن فيه النظـر مرة ثانية عن كثب وأن يعيـره اهـتماماً أشـد، يسـرع فى القـرار

والهرب مرعوباً أمام الموضوع الغريب، ويحاول قدر الإمكان أن يطرده من خاطره. لأن قانونه الداخلي يجعله يقول: «لاأريد رؤية شيء يناقض الرأي السائد! وهل أنا خُلقتُ لاكتشاف حقائق جديدة؟ هناك كثير من الحقائق القديمة».

-٩-

ماذا تعني الحياة؟ - الحياة - تعني أن ترمي بعيداً عنك وبلا توقف شيئاً ما ينزع إلى الموت، الحياة - تعني أن تكون فظاً وبلا رحمة على كلّ ماهوضعيف وعتيق فينا وليس فينا فقط. هل تعني الحياة - إذن: أن تكون قاسي القلب على المحتضرين، البؤساء والعجائز؟ أن تكون قاتلاً باستمرار؟ ومع ذلك يقول موسى العجوز: «لن تقتل بعد أبداً!».

- ١٠ -

الذي يرفض وينفي. - ماذا يفعل ذلك الذي يرفض، ينفي؟ يطمع بعالم أرفع، يريد أن يتابع طيرانه أكثر علواً وأكثر بعداً من أناس التأكيد والقبول - إنه يتخفف من أشياء كثيرة قد تعيق تحليقه وبينها ماهو صالح وغالٍ في نظره: يضحي بها من أجل طموحه إلى الأعالي. هذه الطريقة في التضحية، في طرح الأشياء ورميها، تشكّل المظهر الوحيد الواضح في شخصيته: يقال، وفق هذا المظهر، إنه يرفض وينفي. في مثل هذه الوضعية يقف أمامنا منقوضاً وبنفس تشبه نفس الناسك. إنّه على الأرجح راضٍ بمثل هذا التأثير علينا: يريد إخفاء رغبته، كبريائه، نيته في الطيران بعيداً وفوقنا جميعاً. - نعم، إنّه أكثر احتيالاً مما كنّا نعتقد وأكثر لطفاً معنا. - هذا الإنسان الإيجابي! لأنه هنا هو ماهو حقيقة، وذلك رغم رفضه ونفيه.

ـ ١١ ـ

كوميديا الناس المشهورين. ـ أولئك المشهورون بين النّاس والذين يحتاجون إلي المجد لايختارون حلفاءهم وأصدقاءهم دون مقاصد خفية: من فلان يريدون جزءاً من بريق ولمعان عفته، من الآخر يريدون الجانب المخيف لبعض الخصوصيات المقلقة التي يعترف له بها الكثيرون، فيما ينتحلون شخصية ثالث يُعتبر عاطلاً لاعمل له إلاّ الاسترخاء تحت الشمس. وذلك لأنه يناسبهم جداً أن يظهروا من وقت إلي آخر كسالى لامبالين: ـ الأمر الذي يتيح لهم إخفاء أنهم يترصدون. تارة يحتاجون إلى الشاذ قريبا منهم، تارةإلى العارف، تارة أخرى إلى الباحث القلق، وتارة إلى مدعٍ كما لو أنهم يحتاجون إلى حضور أناهم الخاصة، لكن يحدث أيضاً أن يستغنوا عنهم! وهكذا تنتهي حاشيتهم وتنتهي مظاهرهم الخارجية باستمرار، فى حين يبدو أن كلّ شيء يسرع صوب تلك الحاشية ويحاول معرفة «مزاجهم»: وفى هذا يشبهون العواصم الكبرى. شهرتهم فى تحوّل مستمر كمزاجهم تماماً، لأن وسائطهم المتغيرة تتطلب هذه التنويعات وتُظهرُ تلك الخاصية الواقعية أو تلك الخاصيةالخياليةبغية تقديمها إلى خشبة المسرح: يشارك فى هذه الخاصيات المسرحية أصدقاؤهم وحلفاؤهم. بالمقابل، ينبغي لما يريدونه أن يستمر قوياً قوة الفولاذ وأن يكون دائم اللمعان ـ وهذا يتطلب أحياناً نوعاً من الكوميديا والألعاب المشهدية.

ـ ١٢ ـ

تلاميذ غير مرغوبين. ـ ماذا أفعل مع هذين المراهقين! ـ صاح بتبَرمٍ ذلك الفيلسوف الذي كان «يفسد» الشباب كما أفسدهم سقراط قديماً ـ إنهما بالنسبة لي تلميذان غير مرغوبين. فهذا لايعرف أن يقول كلا، وذاك يقول بصدد اي كلام «علي نحو ما». لنفترض أنهما يفهمان فلسفتي، فإن الأوّل سيعاني من ذلك كثيراً جداً، لأن طريقتى فى التفكير تتطلب ذهناً شرساً وإرادة تؤلم، ولذةً فى قول كلا، جلْداً صلباً ـ قد يستسلم لجراحه الخارجية والداخلية. أمّا الثانى

فسوف يحاول أن يجعل من كلّ مسألة يدافع عنها مسألة عادية، إذ يلبسها لباس التسوية والتراخي - تلميذ مماثل، أتمناه لعدوّي.

- ١٣ -

بسبب ثلاث أخطاء. - تم تشميع تطور العلوم خلال القرون الأخيرة، لأنه مع العلوم وبها كنا نأمل فهم حكمة الله وطيبته - دافع أساسي بالنسبة إلى روح الانكليز (مثال: نيوتن)، ثم لأنّه كان يُعتَقَدُ بالضرورةالمطلقة للمعرفة، وبالتحديد بالعلاقة الحميميّة بين الأخلاق والعلم والسعادة - دافع أساسى عند كبار الفرنسين (مثال: فولتير)، ثمّ لأنه كنّا نزعم أننا نملك ونحب فى العالم شيئاً ما موضوعياً، غيرمؤذٍ، يكتفي بنفسه، بريئاً لاعلاقة لنزوات الإنسان السيئة به إطلاقاً - دافع أساسي بالنسبة إلى تفكير سبينوزا الذي كان، وبصفته عارفاً، يُحسّ بانّ فيه جزءاً إلهيا: - إذن، بسبب ثلاث أخطاء.

- ١٤ -

الطبائع الانفجارية. - إذا قوّمنا حاجة الانفجار الموجودة لدى الشباب فسوف لن ندهش من رؤيتهم يقفون إلى جانب هذه القضية أو تلك بقليل من النباهةوالفطنة فى اختياراتهم: مايثيرهم هو الغليان الذى يحرك قضية ما - أي رؤية الفتيل مشتعلاً - وليست القضية بذاتها. هكذا يتفق المضلّلون البارعون على وعدهم بالانفجار وبإهمال تبرير قضيتهم: لم يعد ممكناً أن تُرْبَحَ براميل البارود من خلال التبريرات الشرعية.

- ١٥ -

حول انعدام السلوك اللبق. - للجنود والقادة سلوك متبادل باستمرار، سلوك أكثر رفعةمن السلوك الموجود بين العامل ورب العمل. لاتزال الثقافة العسكريةالشرعية، وحتى الآن على الأقل، أرفع مما يُسمى الثقافة الصناعية: فهذه الأخيرة، بصيغتها الحالية، هى بشكل عام الصيغة الوجودية الأكثر سوقية

والتي لم يرُ مثيلها حتى الآن. هنا، وحده قانون البؤس الذي يشتغل ويحكم: نريد أن نعيش وينبغي أن نبيع أنفسنا، لكن نزدري مَنْ يستغل هذا البؤس ويشتري العامل. من الغريب أن الخضوع لأشخاص اقوياء يوحون بالخوف والرعب، أن الخضوع لطغاة ولقادةعسكريين لايكون محلَّ إحساس بالرعب كما هو الخضوع لأشخاص مجهولين وغير مهمين: جميع أقطاب الصناعة مثلاً. لايرى العامل عادة فى شخص رب العمل إلاّ كلباً محتالاً، عصّاراً، يعيش على بؤس الآخرين، ولا يهمه الاسم أو الأخلاق أو السمعة أو الشخصية. من المحتمل أن سمات وعادات عرق نبيل ورفيع، أى مايجعل الأشخاص يتمتعون بأهمية، كان يفتقر إليها الصناعيون وأرباب العمل الكبار: فلو كان لديهم امتياز النبل فى نظراتهم وحركاتهم منذ الولادة، لما انوجدت اشتراكيةالجماهير. فالجماهير مستعدة لأية عبودية إجمالاً، شرط الا يتوقف الفرد الأرفع منهم عن إبراز شرعيته وعن تبيان أنه خلق كي يأمر، كي يكون أفضل ـ وذلك من خلال لباقة أسلوبه ونبله! فالإنسان الشعبي يشعر بأن اللباقة لاترتجل، بأنها جليلة وقورة بصفتها نتاج قرون طويلة ـ فى حين أن غياب السلوكات الساميةوالبذاءة المنحطة لدى الصناعي ذي الأيدي الدسمة والحمراء.. كلُّ ذلك يدفع الإنسان الشعبي إلى التفكير بأن المصادفة والحظ هما اللذان جعلا الواحد فوق الآخر: يقول لنفسه، وليكن إذن. لنجرِّب نحن بدورنا المصادفةوالحظ! لِنَرْمِ النرد! ـ وتبدأ الاشتراكية!

ـ ١٦ ـ

ضد النوم. ـ يجد المفكر فى أفعاله الخاصة محاولات وتساؤلات غايتها التوصل إلى توضيحات متعلقة بشيء ما: النجاح والفشل هما بالنسبة إليه أجوبة. أما الغضب أو الندم بسبب الفشل ـ فهذا مايتركه للآخرين الذين لايعملون إلاّ لأنه يطلب إليهم ذلك، وعليهم انتظار الضرب إن لم يكن السيد الغفور راضياً عن النتيجة.

ـ ١٧ ـ

ماتكشف عنه القوانين. ـ من الغلط الكبير أن نقوم بدراسة القوانين الجزائية لشعب ما بصفتها التعبير البيّن عن سماته: فالقوانين لاتكشف عن طبيعة شعب ما، بل تكشف عما يبدو أنه غريب عليه، استثنائي، مرعب، خارجي بالنسبة إليه. تتعلق القوانين باستثناءات أخلاقية العادات: والعقوبات الأقسى تقع على ماهو ملائم لعادات شعب مجاور هكذا توجد عند الوهابيين حالتان فقط لحكم الإعدام: عبادة إله غير إله الوهابيين و ـ التدخين (ماهو معروف عندهم ومشار إليه «كطريقة مخجلة من الشراب») «وماذا عن قتل الزاني؟»، تساءل انكليزي اندهش لدى سماعه مثل هذه الأشياء. «حسن! الله مليئ بالرحمة والمغفرة!» أجاب زعيم القبيلة العجوز ـ وكذلك الأمر عند قدامى الرومان حيث كانت المرأة لاتعتبر مخطئة خطأً قاتلاً إلاّ بطريقتين: ارتكاب الزنى وشرب الخمر. كان العجوز كاتون Caton يزعم أن عادة التقبيل بين الأهل لم تكمن إلاّ من أجل مراقبة النساء. فالقبلة كانت تعني: هل تصدر عن المرأة رائحة الخمر؟ بالطبع، النساء اللواتي يؤخذن بذلك يحكم عليهن بالإعدام فوراً. من المؤكد أنه ليس من أجل هذا السبب وحده تفقد النساء، وبتأثير الخمر، قوة المقاومة. ففي العصر الذي كان فيه الخمر لايزال جديد الاستخدام بأوروبا، كانت نساء الجنوب الأوروبى تُحرَمُ من ظاهرة العربدة والشهوانية، تلك الظاهرة التى كان يخافها الرومان أكثر من كل شيء بصفتها فظاعةً غريبة تقوّض أساس الحساسية الرومانية: كانت بالنسبة إليهم خيانةلروما، اجتياحاً أجنبياً.

ـ ١٨ ـ

الكرم وقراباته. ـ هذه التجليات المتناقضة: البرودة الفجائية فى سلوك الإنسان العاطفي، دعابة السوداوي، ثم الأريحية التى تقود فجأة إلى التخلي عن الثأر وإلى إشباع الرغبة ـ... نقول: إن هذه التجليات تتواجد عند النّاس الذين

تشتغل في داخلهم قوةُ تبذيرٍ هائلة، وعند الّذين يشبعون بسرعةويقرفون بسرعة. شبعهم من السرعة والقوة بحيث أنه يتْبَعُ فوراً بالضجر والنفور، وبالهرب العنيف إلى الذوق المضاد: وفي هذا التضاد تُحلُّ أزمة الحساسيةعن طريق البرود المفاجيء عند فلان، وعن طريق الضحك عند آخر، وعند ثالث بالبكاء والتضحية بالذات. يبدو لي أنّ الكريم ـ على الأقل نوع الكرماء الذي يترك انطباعاً أكثر ـ رجل متعطش للثأر بشكل شديد، إنسان تتاح له إمكانية الأرواء. وانطلاقاً من تصوّره للثأر، يتمتع بهذا التصور ويشرب حتى الإرتواء وإلى آخر قطرة بحيث يلي هذا الجنون المباغت قرف رهيب ومفاجيء ـ هكذا يرتفع فوق «ذاته» كما يقال ثم يغفر لعدوّه لابل يباركه ويكرمه. من خلال العنف الذي يمارسه على نفسه ومن خلال طريقة السخرية من نزوته بالانتقام، نزوة كانت لتوّها قوية جداً.. نقول من خلال ذلك لايفعل شيئاً إلاّ الاستسلام لنزوة جديدة (العرف) تسيطر عليه هي الأخرى بدورها. يفعل ذلك بكثير من التلهف والرغبة لحد أنه يستبق نزوة الانتقام خيالياً ولدرجة الإنهاك. توجد في الكرم درجة الأنانية نفسها الموجودة في الثأر، لكنها نوعية أخرى من الأنانية.

ـ١٩ـ

معنى الحقيقة. ـ أصفق لكلّ نزعة شكوكية يتاح لي أن أجيبها: «لنجرّب!». لكن لايحدثني أحد إطلاقاً عن الأشياء ولا عن القضايا التي لاتقبل التجربة. هذا هو حدُّ «معناي للحقيقة»: وما عدا ذلك فستكون الجرأة قد أضاعت جميع حقوقها.

ـ ٢٠ ـ

معنى النبل السامي. ـ ما الذي يشكّل «نبل» كائن ما؟ بالتأكيد ليس أن نقوم بتضحية ما: حتي الفاجر يقوم بالتضحيات. بالتأكيد ليس بأن نستسلم لنزوة أو

لعاطفة ما، فهناك نزوات تستحق الازدراء. بالتأكيد ليس بأن نفعل شيئاً ما للآخرين ودون أنانية، فربما تكون الأنانية، تحديداً، الناتج الكبير لدى النبلاء. ـ إن مايصنع نبل كائن ما، هو كون العاطفة التي تثيره خاصيةً وتفرّداً دون أن يعرف ذلك بنفسه، هو استخدام مقياس نادر ومتفرد، مقياس فيه كثير من الجنون، هو الإحساس بالحرارة في الأشياء التي تظل باردة بنظر الآخرين، هو حدس القيم التي من أجلها لم نوجد ميزاناً بعد، هو القربان الذي يُقدّم على مذبح إله مجهول، هو البسالة دون طموح إلى التشريفات، هو التواضع الذي يفيض ثروات ويغني النّاس والأشياء. وبالتالي كانت الندرة واللاشعور بهذه الندرة، لحد الآن، هما اللذان يصنعان نبل الكائن. لكن لنسّجل فوراً أن معياراً مماثلاً يفترض حكماً جائراً على كلّ شيء مألوف، مباشر، ضروري، على كل ما كان يساهم في حفظ النوع ـ وبشكل مطلق على قانون الإنسانية الذي نرميه بهذا الشكل لصالح الاستثناءات. المحاماة عن القاعدة ـ ربما هذه هي الصيغة القصوى لتكشّف النبل ومعناه في هذا العالم.

الكتاب الثاني

- ٢١ -

إلى الواقعيين. - أنتم الآخرين، النّاس الكثيبين، الذين تشعرون بأنكم محميون من الانفعالات والهيجان وتجعلون من أنفسكم طواعيةً موضوع فخر وزينةً لفراغكم... تقولون: إنكم واقعيون وتزعمون أن العالم يبدو لكم كذلك، وكذلك هو فى الواقع: قد لاينكشف الواقع إلاّ لكم، وربّما تكونون جزءه الأفضل - آه ياصور سايس العزيزة! لكن السّتم، وفى حالتكم الأكثر وضوحاً، طبائع منفعلة، غامضة، مثل الأسماك، مثل فنان عاشق؟ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ماهو «الواقع» بالنسبة إلى فنان عاشق! لاتزالون تحملون فى دواخلكم طريقة تثمين الأشياء، وهي الطريقة التى تجد جذورها فى عواطف وانفعالات العصور القديمة! ولا تزال كآبتكم مشبعة بسُكر سرّي لايمكن إخماده! ليس حبكم «للواقع» إلاّ «حباً» عتيقاً، آه كم هو عتيق! فى كلّ إحساس، فى كلّ انطباع قوي يوجد جزء من هذا الحب العتيق: ومع ذلك، شيء من الاستشباح، شيء من الأحكام المسبقة، شيء من الجنون، شيء من الجهل، نوع من الخوف، ولا أعرف ماذا! كلّها نالت حصتها من الإنضاج فى ذلك الحب حيث اختلطت وامتزجت! انظروا إلى هذا الجبل! وهناك إلى تلك الغيمة! ماهو «الواقعي» فيهما؟ كفّوا النظر عن الاستيهام وعن كلّ المساهمة البشرية، أيُّها الكثيبون! آه لو تستطيعون ذلك! لو تستطيعون فقط نسيان أصلكم، نسيان ماضيكم، نسيان تكوّنكم السابق ومجموع بشريتكم وحيوانيتكم! لا وجود «للواقع» بالنسبة إلينا نحن الآخرين - ليس أكثر منكم أيّها النّاس الكثيبون - ونحن بعيدون عن أن نكون غرباء عن بعضنا البعض كما تزعمون. ولعل إرادتنا فى الخروج من السُكر تستحق انتباهاً يعادل قناعتكم بالعجز عن السُكر فقط.

ـ ٢٢ ـ

كمبدعين فقط! ـ يكلفني هذا، ولا يزال، جهوداً كبيرة: إدراك أن الأهم وبشكل لايوصف هو أن تعرف كيف تسمّي الأشياء أكثر من أن تعرف ماهي. الصيت، الاسم والمظهر، القيمة، الوزن والقياس لشيء ـ هذه الأشياء هي في الأصل نتاج الخطأ والاعتباط، وقد ارتداها الشيء كلباس غريب تماماً على طبيعته وعلى بشرته بالذات ـ إن الإيمان بهذا كلّه والذي انتقل من جيل إلى آخر جعل من هذه الأشياء جسداً للشيء يرتبط بشكل ما مع نموّه الداخلي: ظاهر البداية ينتهي دوماً إلى أن يصير جوهراً ويعمل بصفته جوهراً! اي جنون لن يدّعي أنه يكفي لفضح هذا الأصل، فرق الغطاء السديمي، غطاء الهذر، بغية تقويض العالم المعتبر جوهراً والمزعوم أنه «واقع!». لكن يجب ألا ننسى مايلي: يكفي أن نبدع أسماء جديدة، تقديرات واحتمالات جديدة كي نبدع ومع الزمن «أشياء» جديدة.

ـ ٢٣ ـ

على شرف الصداقة. ـ كان شعور الصداقة يعادل بالنسبة إلى العصور القديمة أسمى شعور، لابد أرفع من الكبرياء الممجدة، كبرياء الحكيم وجميع الذين يكتفون بأنفسهم، كان ـ وإن جاز القول ـ شعوراً فريداً، شعوراً مقدّساً يصاهر الكبرياء: وهذا ماتعبّر عنه حكاية ملك مقدونيا الذي قدّم إنساناً موهوباً إلى فيلسوف أثيني أعاده إليه حالاً لأنه كان يفخر باحتقاره للعالم. قال الملك، كيف؟ لم يعد عنده صديق. كان بذلك يريد القول: «احترم هذه الكبرياء، كبرياء حكيم ومستقل، لكن سأحترم أكثر إنسانيته لو كان الصديق فيه قد عرف كيف ينتصر على الكبرياء. زالت خظوة الفيلسوف عندي لأنه كان يجهل أحد هذين الشعورين الرهيفين ـ ولا سيما الأرفع!».

ـ ٢٤ ـ

المرأة فى الموسيقى. ـ كيف يحدث أن الرياح الساخنة والممطرة تجتلب النَّفَسَ الموسيقي والمزاج الإبداعي؟ أليست هي الرياح نفسها التي تملأ الكنائس والتي توحي للنساء بأفكار الحب؟

ـ ٢٥ ـ

مرتابون. ـ أخاف أن تكون النساء العجائز أكثر ارتياباً فى انطواء قلوبهن السرّي من جميع الرجال: يعتقدن بتسطح الوجود كما يعتقدن بجوهره الحقيقي وكلُّ فضيلة، كلُّ عمق ليس فى نظرهن إلاّ إخفاءً لهذه «الحقيقة». إخفاء يرغبه جداً الإنسان المحتشم ـ إذن، القضية قضية لباقة وتهذيب.

ـ ٢٦ ـ

إخلاص ـ هناك نساء نبيلات فقيرات الذهن لايعرفن التعبير عن إخلاصهن العميق إلاّ بتقديم شرفهن وحشمتهن: هذا أسمى مالديهن. وغالباً ما تُقْبلُ هذه الهدية دون أن يلتزم المعطى إليه بشكل جدي وعميق كما تفترض اللواتي يهبن ـ تاريخ سوداوى!

ـ ٢٧ ـ

تصنّع الطبيعة الذاتية. ـ بدءاً تحبه، ومذّاك تنظر أمامها بثقة حمقاء بثقة بقرة: للأسف! كانت قد فتنته بمظهر طبيعة متغيرة بالتأكيد ولا يمكن الإمساك بها، فيما كان هومشبعاً باعتدال مزاجه! أليس من الأفضل لها أن تبدي طبعها القديم؟ أن تزعم غياب الحب؟ أليس بهذا ينصحها ـ الحب؟ ولتعش الملهاة!

ـ ٢٨ ـ

إرادة وقبول. ـ جيىء بشاب إلى حكيم وقيل له: «هاهو شاب تفسده النساء!».

هزّ الحكيم رأسه وأخذ يضحك: «الرجال هم الذين يفسدون النساء. وكلُّ خطيئة ترتكبها النساء يجب أن يصلحها ويكفر عنها الرجال، - لأن الرجل يصنع لنفسه صورة عن المرأة والمرأة تصوغ نفسها وفق هذه الصورة.» - «إنك متسامح مع النساء كثيراً، قال أحد الحاضرين، يبدو انك لاتعرفهن أبداً». أجاب الحكيم: «طبيعة الرجل إرادة، طبيعة المرأة قبول - هذا هو قانون الأجناس في الحقيقة! قانون قاس بالنسبةإلى المرأة! جميع الكائنات البشرية بريئة بالوجود، لكن النساء في الدرجة الثانية على هذا الصعيد: إذن، من يستطيع أن يمتلك من التسامح والعذوبة مايكفيهن؟ - «عذوبة! تسامح! ماذا يعني كلُّ ذلك؟ صرخ أحدهم: من الأسلم أن نربي النساء! -» «من الأسلم أن نربي الرجال» قال الحكيم وأشار إلى الشاب أن يلحق به. - لكن الشاب لم يلحقه أبداً-

- ٢٩ -

الاستعداد للثأر. - كون فلان لايستطيع أن يدافع عن نفسه وبالتالي لايريد فعل ذلك... يبدو لنا أن هذا لن يكون محلّ خجل بالنسبة إليه: لكن لاتحترم من ليس لديه لاقوةولا إرادة الثأر - ولا أهمية للأمر إن تعلق برجل أو بامرأة. هل تستطيع امرأة أن تمنعنا (أو كما يقال «تقَيّدنا») على الأنتخيل انّها تعرف استخدام الخنجر (أي نوع من الخناجر) ضدنا؟ أو حتى ضدها: الأمر الذي يكون في بعض الحالات ثأراً أكثر من ملموس (الثأر الصيني).

- ٣٠ -

الأمهات. - تنظر الحيوانات إلى الإناث بشكل يختلف عن نظر النّاس. فالأنثى بالنسبة إلى الحيوانات طبيعة انتاجية. ليس لديها الحبّ الأبوي، بل لديها مايشبه حبنا لأطفال العشيقة والطريقة التي نعتاد من خلالها على هذا الحب. تجد الإناث في صغارها إشباع حاجة السيطرة، ملكية، شغلاً، شيئاً ما تعيه وتفهمه تماماً، ومعه نستطيع أن نثرثر: كلُّ هذا يشكّل الحب الأمومي - الشبيه بحب الفنان

لعمله. فالحمل يجعل النساء أكثر حناناً، أكثر صبراً، أكثر خوفاً، هياهن للخضوع بشكل أفضل. كذلك الحمل الروحي يطور طبع المتأملين القريب إلى الطبع الأمومي: ـ فالمتأملون أمهات ذكور ـ عند الحيوانات يؤخذ الذكر على أنه أجمل جنس.

ـ ٣١ ـ

فظاظة مقدسة. ـ رأى قدّيس رجلاً قادماً نحوه ومعه مولود جديد «ماذا أفعل بهذا الطفل، يسأل الرجل، إنه بائس غير مرغوب بمجيئه وليس عنده من الحياةكفاية كي يموت» ـ «اقتله» صاح القديس بصوت مرعب، «اقتله واتركه بين يديك ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ كي تتذكره جيداً ـ بهذا الشكل لن تلد طفلاً أبداً إن لم يكن وقت ولادة بالنسبة إليك!». ـ وعندما سمع الرجل هذه الكلمات ذهب خائباً ولام القديس كثيراً لنصيحته بعمل فظيع، النصيحة بقتل طفل. «لكن أليس أكثر فظاظة أن نتركه يعيش؟» أجاب القديس.

ـ ٣٢ ـ

الجنس الثالث. ـ «الرجل الصغير هو مفارقة بالتأكيد، لكنه رجل رغم ذلك. بالمقابل، ومقارنة بالنساء ذوات القامة العالية، تبدو النساء الصغيرات من جنس آخر» هكذا كان يقول استاذ رقص عجوز. امرأة صغيرة ليست جميلة إطلاقاً. ـ يقول العجوز أرسطو.

ـ ٣٣ ـ

دواعي الاعتراف بالجميل. ـ إن الفنانين بالدرجة الأولى، ولا سيما فنانو المسرح، هم الذين قدّموا للنّاس عيونا وآذاناً كي يروا ويسمعوا بلذةٍ ماهو كلّ واحد بنفسه، وماذا يعانى كلُّ واحد، ما يريده كلُّ واحد: هم الذين علّموا أن نحترم البطل المخفيّ فى كل واحد من هؤلاء الناس اليوميين، هم الذين لقّنوا فن

ان نعتبر أنفسنا أبطالاً ـ ومن بعيد إن جاز القول ـ جمّلوا فن «إخراج أنفسنا» أمام أعيننا بالذات. وهكذا فقط يُتاح لنا عن طريق وسائلنا الخاصة قدرة أن نتجاوز فينا بعض التفاصيل البخسة! ومن دون هذا الفن سنكون «مجّسماً ـ ضخماً» لاغير، سنعيش من خلال منظور يضخّم بشكل مرعب كلّ ماهو مباشر وشعبى ـ (سوقى) ويلّبِسهُ مظهر الواقع بالذات. إنّ ميزة مماثلة قد نجدها لدى تلك الديانة التى كانت تأمر بفحص دقيق لِزلَل كلّ إنسان وتعتبر أن المذنب مجرم كبير لايموت: فهى عندما وصفت المنظورات الخالدة من حوله إنما ارادت تعليم النّاس أن يعتبروا انفسهم شيئاً متطوراً وكلياً.

ـ ٣٤ ـ

جاذبية اللاكمال. ـ ارى شاعراً يمارس ككثير من النّاس جاذبية كبرى من خلال لاكماله ومن خلال مايتكرر وينضج على يديه. نعم، يكتسب ميزاته ومجده من عجزه الأخير اكثر مما يكتسبها من قوته الوفيرة. لايعبر أثره الفنى عما كان يريد التعبير عنه، عما كان يرغب برؤيته: يبدو أنّه تذوّق بداية رؤية، وليست الرؤية ذاتها: ـ لكنّ عطشاً هائلاً إلى تلك الرؤية بقي فى داخله ومنه يغترف بلاغته اللاتقل هولاً، بلاغته المولودة من الرغبةوالشراهة. به وعبره يسمو بمن يُصغي إليه إلى ماوراء أثره الفني وجميع «الآثار الفنية» مانحاً إياه اجنحة تطير به إلى ارتفاع لايبلغه المستمعون ابداً: هكذا وبعد أن يصيروا جميعاً شعراء وعرّافين يرصدون كثيراً من الحب والإعجاب لمن سبّب سعادتهم كما لو أنه قد قادهم إلى رؤية حقائقه الأخيرة، حقائقه المقدسة، وأنه قد رأى وأوصل رؤيته. يقوم مجده كاملاً على أنه لم يبلغ هدفه أبداً.

ـ ٣٥ ـ

الخير والجمال. ـ لايفعل الفنانون شيئا أخراً إلا التجميل.: ولا سيما تجميل جميع الحالات، جميع الأشياء التى يمكن أن تمنح الإنسان وسيلة الشعور بأنه

طيب أو كبير، سكران أو سعيد، قديس وحكيم. هذه الأشياء وهذه الحالات المصطفاة الأكيدة القيمة بالنسبة إلى السعادة الإنسانية والتي لايُعترض عليها تشكّل موضوع الفنانين: فهؤلاء يترقبون باستمرار فرصةً لاكتشافها ونقلها إلى المجال الفنى. أريد القول إنهم - ودون أن يكونوا المسعّرين الحقيقيين للسعادة وللإنسان السعيد - يقتربون دوماً من المسعّرين... يقتربون بفضولية كبرى، وبرغبة أكبر لاستغلال تسعيرات هؤلاء فوراً. بهذا الشكل ولأنّ عندهم، إضافة إلى تلهفهم، نَفَسُ المبشرين وسرعة الرسل... سيكونون أوّل من يمجد الخير الجديد ويظهرون على أنهم من أوائل الذين يسمونه ويسعّرونه جيداً. لكن ذلك لايعدو أن يكون خطيئة كما قلتُ: لن يكونوا إلاّ أكثر سرعة من المسعّرين وأعلى صوتاً منهم أيضا. - لكن من هم المسعرون؟ - إنهم الأغنياء والعاطلون.

- ٣٦ -

نثر وشعر. - لنعتبر أن أسياد النثر الكبار كانوا شعراء أيضاً، سواء بشكل علني أو في السرّ و«الطوية الخفية». والحقيقةهى أننا لانكتب النثر الجيد إلاّ مقارنة بالشعر! لأن النثر ليس أكثر من حرب مستمرة مع الشكل الشعرى: فمفاتنه تقوم على مراوغة الشعر باستمرار ومناقضته: كلُّ مفهوم مجرّد يريد أن يكون عفْرَتَةً ضد - شعرية منطوقة بلهجة ساخرة. كلُّ جفاف، كلُّ برودة تريد إغراق الإلهة المحبوبة فى يأس محبوب: غالباً ما تتولد مقاربات، مصالحات آنية متبوعة بالزوغان والسخريات المفاجئة. غالباً مايسحب الستار ويدخل ضوء فجٌّ فى اللحظة ذاتها حيث تتمتع الإلهة بظلالها وألوانها المخففة، غالباً مانجني لها الكلا من على الشفاه كي يُغنى بنبرة ترفع يديها الناعمتين إلى أذنيها الناعمتين وهكذا تشهد هذه الحرب آلاف التسليات التي لايعرف عنها شيئاً اللاشعريون، أى كتّاب النثر - فهؤلاء لايتكلمون ولا يكتبون إلاّ نثراً رديئاً. الحرب هى والدة جميع الأشياء الجيدة، العراك هو الآخر والد النثر الجيد.!....

ـ ٣٧ ـ

لكن لماذا تكتب؟ ـ

أ: لستُ من الذين يفكرون والقلم فى اليد، ولا من الذين يستسلمون لانفعالاتهم أمام المحبرة، جالسين يحدقون فى الورقة... أغتاظ من فعل الكتابة وأخجل منه: الكتابة بالنسبة إلي ضرورة ـ يقرفني أن أتكلم على ذلك حتى ولو بغموض. ـ

ب: إذن لم تكتب؟

أ: نعم ياعزيزي، كي أعترف لك: لحد الآن لم أجد وسيلة أخرى للتخلص من أفكاري ـ

ب: ولماذا تريد التخلص منها؟

ـ أ: لماذا أريده؟

هل يعني أنني أريده؟ يلزمني ـ

ب: يكفي!

ـ ٣٨ ـ

الموسيقى التي تشفع. ـ قال مبدع لتلميذه: «أتعطش إلى أستاذ فى فن الأصوات، أستاذ يعرف أن يتعلّم افكاري وأن يُعبّر عنها مستقبلاً بلغته الخاصة: هكذا أدخل آذان وقلوب النّاس جميعاً. فالأصوات تُدخلهم إلى الضلال كما تدخلهم إلى الحقيقة: ومن سيفكر بدحض صوت؟». قال التلميذ: «هكذا تريد أن تكون شيئاً لايُدحض؟». أجاب المبدع: «أرغب برؤية البذرة وقد أصبحت شجرة. ولكي يصبح أيُّ مذهب شجرة، عليه أن يكون نيئاً وأن يبدو غير قابل للدحض. العاصفة، الشك، الحشرة القذرة، الأذى... كلُّ هذا يبتلي الشجرة كي ينكشف

جنس وقوة بذرتها، ولينكسر إن لم يكن قوياً كفاية! لكن بالنسبة إلى البذرة، لا يمكن إلا أن تتلاشى - لا أن تُدحض!» - عندما انتهى المبدع من الكلام، صاح تلميذه باندفاع: «لكن أنا من يعتقد ويؤمن بقضيتك، يأخذ على أنها من القوة بحيث أجرؤ على قول كلّ مافي قلبي ضدها» - ضحك المبدع في سرّه مشيراً إلى التلميذ بالسبابة قائلا: «لايمكن أن يكون لدينا تلامذة أفضل، لكنهم الأكثر خطراً، وتوجد مذاهب لاتتحملهم.»

الكتاب الثالث

ـ ٣٩ ـ

تحذير. ـ لنحترس من التفكير أن العالم قد يكون كائناً حياً، وفي أي اتجاه عليه أن يمتد وينمو؟ من أي شيء عليه أن يقتات؟ كيف سيقدر على النمو والتكاثر؟ نعرف من ناحية أخرى ماهو الجهاز العضوي تقريباً: ماندركه ونراه منحرف جداً، متأخر، نادر، فجائي طارئ على القشرة الأرضية. وسوف نذهب في تأويله إلى حدّ اعتباره الأساسي، الشمولي، الخالد كما يفعل الذين يسمون الكلّ جسماً، جهازاً عضوياً؟ هذا مايقرفني. لنحترس أولاً من الاعتقاد ان الكلُّ قد يكون ميكانيكيا: من المؤكد انه ليس مبنياً لأجل غاية معينة وسوف نحترمه إذ نعطيه تسمية «ميكانيك». لنحترس من الافتراض الإطلاقي وفي كلّ مكان متخيل... افتراض وجود شيء ذي صيغة ناجزة كالحركات الدورانية للأفلاك المجاورة لنا. إن نظرةبسيطة في اتجاه المجرّة تجعلنا نشك بذلك، وتوحي بحركات اكثر فظاظة وتناقضاً، توحي بنجوم مسرعةٍ في سقوطها الأبدي المستقيم، كما توحي بأشياء أخرى مشابهة. والنظام الذي نعيش فيه ليس أكثر من استثناء: هذا النظام وهذا الزمن النسبي الذي يحدده جعَلَا استثناء الاستثناءات ممكناً ومن جديد: تكوّن الجهاز العضوي. بالمقابل، الفوضى هي طبيعة مجموع العالم منذ القدم، وذلك ليس بسبب غياب الضرورة، لكن بسبب غياب النظام، غياب التمفصل، غياب الشكل، غياب الجمال، غياب الحكمة وأياً كانت أصنافنا البشرية الجمالية. إن الضربات المشئومة بالنسبة إلى إدراكنا تشكّل ومن بعيد القاعدة. والاستثناءات لاتخضع لهدف سرّي كما أن كليّة الساعة تعيد بشكل أبدي موضتها التي لن تستحق اسم اللحن (الميلوديا) ـ وفي النهاية، حتى تعبير «الضربة المشؤومة» ليس سوى أنسنة تتضمن عتابا. والحالة هذه، كيف نجرؤ على معاتبة أو مدح الكلّ! لنحترس من لومه إذا افتقر إلى القلب أو الجنون أو

نقيضهما: فهو ليس كاملاً، ولا جميلاً، ولا نبيلاً ولا يريد أن يصير شيئاً من هذا القبيل ولا يطمح إلى تقليد الإنسان إطلاقاً! لم يصله إطلاقاً أي حكم من أحكامنا الجمالية أو الأخلاقية! ليس عنده غريزة البقاء وليس له نزوات أبداً: لايعرف أي قانون. لنحترس من إعلان وجود قوانين في الطبيعة. ليس هناك إلا الضرورات: حيث لا أحد يأمر، لا أحد يطيع، لا أحد ينتهك. وحالما تدركون أن لاوجود للهدف، تدركون أن لاوجود للمصادفة. إذ لامعنى لكلمة مصادفة إلاّ في عالم أهداف وغايات. لنحترس من القول: إن الموت نقيض الحياة. فالحي جنس لما هو ميت، وهو جنس نادر جداً. ـ لنحترس من التفكير أن العالم يبدع أشياء جديدة باستمرار. لاوجود لجوهر دائم أبداً: المادة خطيئة، وخطيئة مثل إله الإيليين. فمتى ننتهي إذن من حيطتنا وعنايتنا؟ متى تتوقف هذه الظلال، ظلال الآلهة، عن التعتيم علينا؟ متى نؤلّه الطبيعة وبشكل كلي؟ متى يتاح لنا أن نتأقلم، نحن الآخرين، مع الطبيعة النقية، المكتشفة بتجدد، المتحررة بتجدد؟

ـ ٤٠ ـ

الأخطاء الأربع. ـ الأخطاء هي التي ربّت الإنسان: أولاً لم يرَ نفسه إلاّ ناقصاً، ثانياً نسب إلى نفسه سمات خيالية، ثالثاً وفي ترتيب الكائنات أحسّ بأنه يشغل مرتبة مزيفة بين الحيوان والطبيعة، رابعاً، لم يكف عن إيجاد سلالم جديدة للقيم التي، ولزمن معيّنٍ كان يقبلها على أنّها خالدة، مطلقة بحيث أن هذه النزوة الإنسانية مثلاً وتلك الحالة الإنسانية تتواجدان بالتناوب في المرتبة الأولى متوجتين بهذا التقدير. وإذا تجردنا عن تأثير ومفعول هذه الأخطاء فلسوف نتجرد أيضاً عن مفاهيم الإنسانية، عن المشاعر الإنسانية وعن «الكرامة الإنسانية».

ـ ٤١ ـ

الصحة النفسية. ـ لكي تكون الصيغة الإيثارية المتعلقة بفن العلاج الأخلاقي

(والمنسوبة الى Aristion chios): «الفضيلة هى صحة النفس»، قابلة للممارسة ربما يجب تغييرها على هذا النحو: «فضيلتك هى صحة نفسك». لأنه لاوجود للصحة بذاتها، وجميع محاولاتتحديدها باءت بالفشل الذريع. مايهمُ هنا، هو غايتك، أفقك، قواك، نزواتك، أخطاؤك، وبالأخص استيهامات ومثالات نفسك. هذا هو الأهم فى تحديد مايشكّل صحتك النفسية والجسدية. هكذا توجد صحات جسدية لامتناهية. وبمقدار مايتاح للفرد المتميز اللايقارن أن يرفع راسه، بمقدار ما ننسى مذهب «مساواة النّاس» وبمقدار ماينبغي على أطبائنا تجاوز مفهوم الصحة الأخلاقية وفي الوقت نفسه مفهوم الحمية الطبيعية، مفهوم المسار الطبيعي للمرض. عندها، يأتي وقت التفكير بصحة وبمرض النفس، يأتي وقت المطابقة بين الفضيلة الخاصة بكل فرد وبين صحته النفسية. وفى النهاية، يبقى السؤال فيما إذا كنّا قادرين على التملص المطلق من المرض، وحتى لأجل تطوير فضيلتنا، وفيما إذا كان تعطشنا للمعرفة عموماً ولمعرفة أنفسنا خاصة لايحتاج الى نفسٍ مريضة أكثر من حاجته إلى نفس سليمة: باختصار، فيما إذا كانت الإرادة الفريدة، إرادة الصحة لاتعني حكماً مسبّقاً وجبناً وربّما بعضاً من بقايا البربرية ومن حالات النكوص العليا.

ـ ٤٢ ـ

ليست الحياة برهاناً. ـ بنينا لأنفسنا عالماً نستطيع العيش فيه وافترضنا أجساداً، خطوطياً، مساحات، عللاً ومعلولاتٍ، حركةً وسكوناً، شكلاً ومضموناً: إن أحداً لايستطيع الحياة من دون هذه المواد اليقينية! لكنها غير مبرهنة ولا مدلّل عليها. الحياة ليست برهاناً ودليلاً: ويمكن أن نضع الخطيئة بين شروط الحياة.

ـ ٤٣ ـ

الأحمق. ـ ألم تسمعوا بالرجل الأحمق الذى أشعل قنديلاً فى وضح النهار وراح يركض فى الساحة العامة صارخاً بلا توقف: «أبحث عن الله! أبحث عن

الله!». ومثلما كان كثير من الناس الذين لايؤمنون بالله قد تجمعوا هناك، فإنه أثار ضحكاً صاخباً . قال أحدهم: هل ضيّعناه؟ قال آخر: هل تاه؟ أو لعله يختبيء؟ هل يخافنا؟ هل ركب سفينة؟ هل هاجر؟ هكذا كانوا يصرخون ويضحكون جميعاً في وقت واحد. أسرع الأحمق إلى وسطهم وحملق فيهم صارخاً: «أين الله؟ سأقول لكم ! قتلناه ـ أنتم وأنا! قتلناه! لكن كيف فعلنا ذلك؟ كيف استطعنا أن نفرغ البحر؟ ومن أعطانا الأسفنجة كي نمحو الأفق بكامله؟ ماذا فعلنا، عندما افلتنا الأرض من شمسها؟ إلى أين تجري الآن؟ وإلى أين تحملنا حركتها؟ بعيداً عن جميع الشموس؟ ألم نسرع في سقوطنا الأبدى؟ إلى الوراء، إلى الأمام، وفي جميع الاتجاهات؟ ألا يزال هناك فوق وتحت؟ ألا نتيه كما لو أننا في عدم لامتناهٍ؟ ألا نشعر بتنهد الفراغ؟ أليس الجوُّ أكثر برودة؟ ألا يزداد الظلام وتشتد العتمة أكثر فأكثر؟ ألا نسمع شيئاً من صخب الحفارين الذين دفنوا الله؟ ألا نشتم بعض التعفن ـ التفسخ الإلهي؟ الآلهة يتعفنون أيضاً ويتفسخون! مات الله! وسيبقى الله ميتاً! ونحن الذين قتلناه! كيف يمكن أن نتأسى ، نحن قتلة القتلة؟ إنَّ ماقد امتلكه العالم، ولحد الآن، من أقدس وأقوى شيء أضاع دمه على شفرات سكاكيننا ـ من سوف يمسح هذا الدم من على أيدينا؟ أية مياه ستقدر على تطهيرنا؟ أى احتفال تفكيري ـ استغفاري وأية ألعاب مقدّسة يلزم أن نبدع؟ أليست عظمة هذا العمل كبيرة جداً بالنسبة إلينا؟ ألا ينبغى أن نصير آلهة بأنفسنا من أجل هذا العمل؟ ليس هناك عمل أكبر إطلاقاً ـ والذي يولد بعدنا سينتمي بموجب هذا العمل تحديداً إلى تاريخ يسمو فوق جميع ماكانه التاريخ حتى الآن». ـ إلى هنا وصمت الرجل الأحمق ناظراً من جديد إلى سامعيه الذين صمتوا هم أيضاً وحدقوا فيه دون أن يفهموا. وأخيراً رمى قنديله على الأرض لينكسر وينطفيء ثم قال متابعاً: «يبدو أنني أصل مبكراً جداً. لم يحن وقتي بعد. وهذا الحدث الرائع لايزال في الطريق ـ لم يصل بعد إلى آذان البشر. ولا بدَّ للعاصفة وللرعد من وقت، لابدَّ من وقت لضوء النجوم، ولا بدَّ من

وقت كي تُرى الأعمال وتُسْمَعَ بعد إنجازها. إن العمل المذكور أعلاه لايزال بعيداً عنهم بُعْدَ النجوم الأبعد. ـ ومع ذلك هم الذين أنجزوه!». يحكى أيضاً أنه فى هذا اليوم بالذات دخل الأحمق إلى كنائس متعددة حيث أنشد صلاة موته. وبعد أن قُذفَ به إلى الخارج ومنع من الكلام لم يتوقف عن الاستئناف: «ماهذه الكنائس إذن، إن لم تكن سراديب وقبور الله. ـ؟».

ـ ٤٤ ـ

شروط الله. ـ يقول لوثر: «لم يكن بإمكان الله نفسه أن يُوجدَ من دون النّاس الحكماء»: ولكنّ «الله لايستطيع أن يُوجدَ دون الحمقى أيضاً» هذا مالم يقله الشجاع لوثر.

ـ ٤٥ ـ

أصل الخطيئة. ـ الخطيئة كما تُفْهَمُ الآن وتُدْرَكُ فى كلّ مكان تسود فيه المسيحية أو سادت زمناً، «الخطيئة» هى شعور يهودي، اختراع يهودي، ومن هذه النّاحية ـ ناحية خلفية كلّ أخلاقية مسيحية ـ كانت المسيحية تريد تهويد العالم. امّا إلى أىّ درجة نجحت فى أوربا.. فهذا مانتحقق منه بشكل جلي: لقد نجحت فى ذلك إلى درجة الغرابة، غرابة احتفظت بها العصور الإغريقية القديمة ـ عالم مجرّد من الشعور بالخطيئة ـ من أجل حساسيتنا، وذلك رغم الإرادة الطيبة، إرادة التقريب والاستيعاب التى لم تتح لها الأجيال والشخصيات الممتازة فرصة الظهور والتعبير عن الذات. «يغفر الله لك إن تتوب» ـ هذا موضوع سخرية وفضيحة بالنسبة إلى إغريقي قديم ربما يجيب: «هكذا يتصور العبيد.». والحقيقة في أننا نفترض هنا كائناً قوياً، طاغي الحضور، حقوداً: قوي بحيث أن أي أذى لايستطيع النيل منه إن لم يكن فى الشرف والكرامة. كلُّ خطيئة هي إهانةللاحترام، جريمة بحق الجلالة الإلهية ـ ولا شىء أكثر! توبة، خزي، ذل، ـ هذا هو الشرط الأوّل والأخير لعفوه تعالى: إذن إصلاح وترميم شرخه الإلهى! أمّا

عمّا إذا كانت الخطيئة تسبب أضراراً أخرى، عما إذا كانت تؤصّل شرّاً عميقاً ومتنامياً يستطيع، كالمرض، أن يتفشى بين النّاس فيأسرهم ويقتلهم الواحد تلو الآخر ـ هذا مالا يبالي به هذا الرقي السماوي الذى يغار على شرفه: فالخطيئة جريمة ضده، لاضدّ الإنسانية! فمن يمنحه الغفران، يمنحه أيضاً لامبالاته المحضة بالنتائج الطبيعية للخطيئة الله والإنسانية هنا منفصلان، متناقضان بحيث أن الخطيئة لايمكن اعتبارها ضد النّاس، وأن اللّه لايخطىء بحقهم ـ العمل لاينبغي أن يُحاكم إلا من جهة نتائجه الفوق ـ طبيعية لا الطبيعية: هكذا يشاء الحسُّ اليهودي الذى يعتبر أن الشيء الطبيعي ساقط وعيب بذاته. بالمقابل، كان الإغريق يعتقدون أن الدنس يمكن أن يكون له وقاره وعزه ـ حتى السرقة، كما هى حالة بروميثوس، حتى ذبح الماشية كتعبير عن غيرة هذيانية، كما هى حالة آجاكس Ajax: ولأنهم احتاجوا، فى الواقع، إلى إضفاء الوقار والشرف على الدنس، واحتاجوا، أيضاً، إلى التقريب بينهما، أبدعوا التراجيديا، أي الفن الذي بقي غريباً على ذوق اليهودي وعلى أعماق طبيعته، رغم جميع عطاءاته الشعرية وميله إلى كل ماهو جميل ورهيف.

ـ ٤٦ ـ

الشعب المختار. ـ يشعر اليهود أنهم الشعب المختار من بين جميع الشعوب، وذلك لأنهم، تحديداً، يمثلون العبقرية الأخلاقية من بين الشعوب جميعاً (بفضل قدرتهم الهائلة على احتقار الإنسان أكثر مما فعله أي شعب آخر) وأثناء احتكاكهم بقديسهم وبمليكهم الرباني يشعرون بسعادة تشبه سعادة البرجوازية الفرنسية أثناء احتكاكها بلويس الرابع عشر. فهذه البرجوازية كانت قد أصبحت بلا أهمية فتركت نفسها تتعرى من قوتها وسيطرتها الذاتية، ولكي لاتشعر بذلك، ولكي تنساه، كان يلزمها بريق ما، سلطة ما لامعادل لها ولا أحد يصلها غير البرجوازية. وطبقاً لهذا الامتياز، كان الارتفاع إلى مستوى البلاط حيث يُزدَرى مَنْ هوأدنى يعني تجاوز الوعي الخاص. وبهذا الشكل كان يتم عن غير قصد

تنضيد برج القوة الملكية باتجاه الأعلى وحتى الغيوم، وتضاف إليه آخر الحجارة، حجارة القوة الذاتية.

ـ ٤٧ ـ

خطيئة المسيح. ـ كان مؤسس المسيحية يعتبر أن لاشيء يجعل النّاس يتألمون كأخطائهم: تلك كانت خطيئته، خطيئة من كان يشعر أنه بلا خطيئة، وخطيئة من كانت تنقصه التجربة! هكذا كانت روحه تتنفس هذه الرحمة الرائعة الخارقة من أجل الشدّة التى كان شعبه ـ مخترع الخطيئة ـ يعاني منها نادراً كشدة كبيرة! لكنّ المسيحيين استطاعوا فيما بعد أن ينصفوا معلمهم، وأن يكرّسوا خطيئته بصفتها «حقيقة».

ـ ٤٨ ـ

يهودي جداً. ـ لو أراد الله أن يصبح موضوع الحب، لوجب عليه أوّلاً أن يتنازل عن دور القاضي والعدالة: ـ ليس القاضي موضوعاً للحب حتى ولو كان رحيماً. لم يكن لدى مؤسس المسيحية إحساس رهيف ودقيق بما فيه الكفاية من أجل هذا، ـ وذلك بصفته يهودياً.

ـ ٤٩ ـ

شرقي جداً. ـ وماذا أيضا؟ إله لايحب النّاس إلاّ إذا آمنوا به، ويقذف بنظراته وتهديداته، اللاتطاق كلّ من لايؤمن بهذا الحب! ماذا؟ حب تعاقدي، حب مشروط. هكذا سيكون شعور إله جبّار! حب لم يستطع الانتصار على شعور الشرف ولا على روح الثأر النزقة؟ أية شرقية فى هذا كله! «هل يعنيك الأمر إذا أحببتك؟». هذا مايمكن أن يكون نقداً كافياً للمسيحية كلّها.

ـ ٥٠ ـ

الحروب الدينية. ـ شكّلت الحروب الدينية والحدّ الآن أكبر تقدم للجماهير: لأنّها أظهرت أن الجماهير قد بدأت تنظر إلى المفاهيم باحترام. لاتنشب الحروب الدينية إلاّ عندما يكون غرض الخصومات الخارقة بين المذاهب تنقية المعنى المشترك: حتى الرعاع يماحكون ويجادلون ويعلّقون أهمية على الدقائق كي يبقى ممكناً القول: «خلاص النفس الأبدي» تابع لأدنى الاختلافات فى المفاهيم.

ـ ٥١ ـ

خطر النباتيين. ـ يقود الاستهلاك المفرط للرز إلى استخدام الأفيون، كما أن الاستخدام المفرط للبطاطا يقود إلى الشنّيص (عرق سكر ثقيل)، لكن مفعوله الحارق فيما بعد هو الانقياد إلى طرق تفكير وإحساس لها فعل المنوّمات. والحالة هذه، يحدث أن مروجي هذه الطرق من التفكير والإحساس، كالأطباء الهندوسيين، مثلاً، يعظون بالحمية النباتية التى يريدون جعلها قانون الجماهير: هكذا يريدون إثارة وزيادة الحاجة التي يقدرون على إروائها بأنفسهم.

ـ ٥٢ ـ

سؤال وجواب. ـ ماذا استعارت القبائل المتوحشة أولا من أوروبا؟ الكحول

والدين، ثم مخدرات أوروبية. ـ ومن أي شيء تتعرض للهلاك بأسرع مايمكن؟ ـ من المخدرات الأوروبية.

ـ ٥٣ ـ

عن أصل الدين. ـ ليست الحاجة الميتافيزيقية، كما يريد شوبنهاور، هى أساس الديانات، لكنها فرع متأخر من هذه الأخيرة. ـ ففي ظل امبراطورية الأفكار الدينية تعودنا على تصوّر عالم آخر». (عالم متأخر، أدنى، أعلى) بحيث

أن اختفاء الهذيان الديني يجعل الفرد يعاني حرماناً وفراغاً مثيرين للقلق ـ وعندها يؤدي هذا الشعور بالقلق إلى ولادة «عالم آخر» ميتافيزيقي لاديني. والحالة هذه، ماكان يدفع في العصور الأولى إلى قبول واقع «عالم آخر» لم تكن نزوة ولا حاجة، لكن خطيئة في تفسير بعض الظواهر الطبيعية. إذن اضطراب في العقل.

ـ ٥٤ ـ

الأكثر تأثيرا. ـ أن يبدي إنسان ما مقاومة لكلّ عصره، أن يمسك بعصره ويوقفه على الباب يطالبه بسحابات، هذا ماينبغي أن يؤثر تأثيراً كبيراً! ولا يهم أن يريد ذلك أم لا، أن يكون قادراً عليه هذا هو الأهم والأكثر حسماً.

ـ ٥٥ ـ

بعد نصر كبير. ـ أفضل نتيجة للنصر الكبير هي أنه يحرر المنتصر من الخوف من الهزيمة. يقول لنفسه: «لماذا لا أخسر بالمناسبة؟ فأنا من الآن وصاعداً قادر على تحمل ذلك».

ـ ٥٦ ـ

الباحثون عن الراحة. ـ أعترف بالباحثين عن الراحة في الأشياء الكثيرة المبهمة التي تحيط بهم: من يريد النوم، يُعتم غرفته أو ينزلق داخل كهف. ـ تحذير إلى أولئك الذين يجهلون مايبحثون عنه أكثر من أي شيء ويحبون معرفة ذلك.

ـ ٥٧ ـ

دائماً بيننا. ـ كلُّ مايتعلق بي في الطبيعة كما في التاريخ، يكلمني، يمدحني، يدفعني إلى الأمام، يعزيني ـ: أما الباقي فلا أسمعه، أو أنساه حالاً. نبقى دائماً بيننا.

ـ ٥٨ ـ

مريض. ـ «إنه فى حالة خطيرة!ـ مم يعاني؟ ـ من رغبة أن يمُدح، وليس لديه مايشبعها. ـ شيء لايعُقل! العالم كلّه يحتفل به، يبجله، ولا يحمل فوق الأذرع فقط، بل إن اسمه على جميع الشفاه! ـ ربّما، لكن يبدو أن عنده أذناً رديئة جداً لسماع المدح. أصديق يمدحه، يبدو أن هذا هو الآخر يريد أن يمدح نفسه. أعدوّ يمدحه. يبدو أن هذا أيضاً لايستعد إلاّ لحصاد المدائح لنفسه. يبدو أن أحداً من الآخرين يمدحه أخيراً ـ ولم يبق منهم الكثير، إنه معروف جداً! وها هو مهُان وغاضب: لا أحد يرغب به صديقاً ولا عدواً، اعتاد أن يقول: كم يهمني ذلك الشخص الذى يزعم أنه عادل بصددي!

ـ ٥٩ ـ

ان تكون عميقاً وان تظهر عميقاً. ـ من يعرف أنه عميق يسعى إلى الوضوح: من يريد أن يظهر عميقاً فى نظر الجمهور يسعى إلى الغموض. لأن الجمهور يعتبر عميقاً كلَّ مالا يستطيع أن يرى قاع: الجمهور يخاف الغرق جداً.

ـ ٦٠ ـ

مع الجمهور . ـ تبع الجمهور، ولحد الآن، الشخص الذى دافع عنه ومدحه: لكنّ يوم الخصومة مع هذا الجمهور آت لامحالة! لأنه تبعه فى إيمانه بأنه قد يستفيد من كسله المحض: لم يدرك بعد أن الجمهور ليس كسولاً برضاه! انه يدفع إلى الأمام وبلا توقف! انه لايسمح لأحد بالتأخير! بينما يحبّ هو جداً أن يتأخر!.

ـ ٦١ ـ

فقير. ـ اليوم هو فقير: ليس لأنه أُخِذَ منه كل شيء، بل لأنه رمى كلّ شيء. مايهمه! لقد اعتاد أن يجد باستمرار. وحدهم الفقراء يسيئون فهم فقره الطوعي.

- ٦٢ -

خبث كانط. ـ أراد كانط أن يبرهن بطريقة واضحة للعيان، عيان «جميع الناس» أن «جميع الناس» على حق. كتب ضد العلماء لصالح الرأى الشعبي المسبق، لكن من أجل العلماء وليس من أجل الشعب.

- ٦٣ -

مايضحك .. انضروا! انظروا ! يهرب بعيداً عن الناس لكن هاهم يلا حقونه ، لأنه يركض أمامهم ، ـــ إنهم قطيع حقيقي

- ٦٤ -

الليبرالية. ـ ليست الليبرالية عند الأغنياء إلا نوعاً من الخجل.

- ٦٥ -

أثناء المطر. ـ تمطر وأفكر الآن بالفقراء المتراص بعضهم إلى جانب بعض ومعهم أكوام الهموم التى لم يعتادوا على إخفائها، إذن كلّ واحد منهم مستعد لإجهاد جاره بالحزن ولامتلاك إحساس محزن من الرفاهية فى وقت بائس. ـ هذا بالتحديد فقر الفقراء وليس شيئاً آخراً.

- ٦٦ -

الحسود. ـ هذا رجل حسود، إذن لاينبغي أن نتمنى له أطفالاً: لأنه قد يحسدهم على مالم يعد بمقدوره أن يكونه هو بنفسه: أي أن يكون طفلاً.

- ٦٧ -

طريق الهناء. ـ سأل حكيم مجنوناً: ماهى طريق الهناء. أجاب هذا الأخير بسرعةٍ، كمن سئل عن أقرب طريق إلى المدينة: «اعشق نفسك بنفسك وعش فى الشارع!». قال الحكيم: «توقف هنا! تطلب كثيراً جداً، يكفي أن يعشق الإنسان

نفســـه!». فـــرد المجنـون: «لكن كيـــف تعشق نفـسك بلا توقف، إن لم تزدريها بلا توقف؟».

ـ ٦٨ ـ

الشـاعر والـكذّاب. ـ يرى الشـاعـر فى الكذّاب أخـاه بالرضـاعة الـذي حرمـه من الحليب الكان مقدراً له: ولهذا بقى الثاني بائساً ولم يستطع بلوغ وعي جيد.

ـ ٦٩ ـ

ضـد الوسطاء. ـ من يريد الوقـوف بين مـفكرين عـازمين يُوصَفُ بالسـطحـية والعادية. إذ ليس لديه عين تميز مـالا يحدث إلاّ مرّة واحدة: رؤية التشـابهات فقط ومساواة كلّ شـيء، تلك هـى سـمات الرؤية الضـعيفة.

ـ ٧٠ ـ

بلا رغبـة. ـ إنّه بلا أدنى رغبة، لكن لاميـزة فى هـذا إطلاقاً: يريد افتـتاح بلد لم يملكه ولم يره أحد.

ـ ٧١ ـ

بلا سـعادة. ـ شـخـص واحد بلا سـعادة يكفى لتـسـمـيم منزل بكامله وتعتـيم الجـو: لابدَّ من مـعـجـزة على الأقل كي يـغيـب هـذا الشـخـص! ـ السـعـادة ليـست مـرضـاً معدٍ ماسبب ذلك؟

ـ ٧٢ ـ

فـوق البحـر. ـ لن ابنى منـزلاً بعـد (وإنه لمن سـعـادتي الا امـتلك منـزلاً نهائيـاً!) وإن كان لابدَّ، فلسـوف أبنـيه فى البحـر كالرومـان القدامى، ـ ومن الممكن أن يكون لي صلات سرّية مع هـذا الغـول الجـميل.

ـ ٧٣ ـ

كُتُبٌ. ـ ماذا يساوي كتاب ليس له فضيلة أن يحملنا إلى ماوراء جميع الكتب؟

- ٧٤ -

مقلّدون. - أ: «ماذا تعني؟ لاتريد مقلّداً؟»

ب: «لا اريد ان اكون مثالاً للتقليد. اريد لكلّ احد ان يقترح بنفسه شيئاً ما كمثال: كما أفعل أنا».

أ: «إذن -؟».

- ٧٥ -

مرة واحدة - شخص واحد هو دائماً على خطأ: لكن مع اثنين تبدأ الحقيقة. - شخص واحد لايستطيع أن يبرهن مايقول: لكن يكفي اثنان كي نعجز عن دحضهما.

- ٧٦ -

أصالة. - ماهي الأصالة؟ هي رؤية شيء ليس له اسم بعد، ولا تمكن تسميته بعد، مع أنه على مرأى الجميع. هكذا هم النّاس الذين لابدّ لهم من اسمٍ كي يروا الشيء. الأصيل هو مَنْ يعطي للأشياء أسماء.

- ٧٧ -

فضيلة الهدف الكبير. - يجعلنا الهدف الكبير أسمى من العدالة نفسها، وليس

- ٧٨ -

ما الذى يخلق البطولة. - السير فى الوقت نفسه أمام أقصى الألم وأقصى الأمل.

- ٧٩ -

بماذا تؤمن؟ - بهذا: يجب تحديد وزن جميع الأشياء بطريقة جديدة.

ـ ٨٠ ـ

ماذا يقول وعيك؟ ـ «يجب أن تصبح مَنْ أنتَ».

ـ ٨١ ـ

ماذا تحب عند الآخرين؟ ـ آمالي.

ـ ٨٢ ـ

ما علامة الحرية المكتسبة؟ ـ ألاّ تخجل من نفسك.

الكتاب الرابع

ـ ٨٣ ـ

من أجل السنة الجديدة. ـ لا أزال أعيش ولا أزال أفكر: يجب أن أعيش أكثر، لأنه يجب أن أفكر أكثر. اليوم، كلُّ واحد يريد التعبير عن رغبته، عن أعزّ أفكاره. ويعبّر.لا بأس. سأقول أنا أيضاً ما أريده من نفسي، ما أوّل فكرة عبرت قلبي هذه السنة، مانوع الفكرة التى ينبغي للعقل أن يقدّمها لي. ضمانُ وعذوبة حياة سابقة بكاملها! أريد أن أتعلم أكثر فأكثر اعتبار الضرورة فى الأشياء جمالا بذاته: هكذا أكون واحداً من الذين يزينون الأشياء. حبُّ القدر: وليكن هذا حبي من الآن وصاعداً! لن أتهم بعد. لن أتهم حتى الذين يتهمون. غضُّ الطرف: وليكن هذا إنكارى الوحيد. وإذا أخذنا بالاعتبار كلّ شيء: أريد وانطلاقاً من لحظة معينة ألا أكون شيئاً آخراً إلاّ انتماء مطلقاً.

ـ ٨٤ ـ

صداقات النجوم. ـ كنا صديقين ثم صرنا غريبين الواحد عن الآخر. وجميلٌ ماحدث ولا نحاول كتمانه أو إخفاءه كما لو أننا يجب أن نحمل من ذلك. كقاربين يتابع كلٌّ منهما طريقه وهدفه الخاص. هكذا، لعلّنا نتقاطع ونحتفل بأعياد كما كنّا نفعل سابقاً ـ حيث كانت القوارب تستريح إلى جانب بعضها فى الميناء ذاته، تستريح تحت الشمس بهدوء كما لو أنها قد بلغت أهدافها وكان الاتجاه نفسه. لكن نداءَ مهمتنا، ذاك النداء اللايُقاوم كان يدفعنا ومن جديد الواحد، بعيداً، عن الآخر. كلٌّ واحد فوق بحارٍ، فى اتجاه سدودٍ، وعلى مرأى شموس مختلفة ـ كان يدفعنا كى لانلتقي أبداً ، أو ربّما كي نلتقي مرة واحدة، لكن دون أن نعرف بعضنا لابدّ أن بحاراً وشموساً مختلفة قد غيّرتنا!. صرنا غريبين الواحد عن الآخر كما يريد القانون الفوقنا: من هنا لابدّ أن يحترم الواحد منا الآخر أكثر! من هنا لابدّ لخواطر صداقتنا القديمة أن تكون أكثر قداسة بالنسبة إلينا! لعلّ هناك

تقوّساً هائلاً غير مرئي، طريقاً كوكبية رُسِمَتْ فوقها دروبنا وأهدافنا المختلفةعلى شكل مدارات صغيرة جداً ـ لنبلغ هذه الخواطر والأفكار! لكن حياتنا قصيرة جداً، رؤيتنا ضعيفة جداً، لذا لانقدر أن نكون أكثر من أصدقاء بمعنى هذه الامكانية الرهيفة! ـ هكذا نريد الإيمان بصداقتنا، صداقة النجوم، أينبغي أن نكون أعداء فوق الأرض.

ـ ٨٥ ـ

ـ Excelsior ـ «لن تصليّ بعدُ أبداً، لن تعبد بعد أبداً، وأبداً لن تستكين باطمئنان بلا نهاية ـ ترفض الوقوف أمام طهارة أخيرة، طيبة أخيرة، قوة أخيرة، ترفض أن تخلع سرج أفكارك ـ لم يعد لديك صديق ولا حارس لأجل خلواتك المتعددة ـ تعيش ولا تلتذ بمنظر الجبال التى تحتضن التوهج فى قلبها والثلج على قمتها ـ بالنسبة إليك، لامنتقم هناك ولا محسّن يضع لمسات الإنجاز الأخيرة. لاسبب لما يحدث ولا حبّ لما سيحدث لك ـ لايوجد مكان استراحة مفتوح لقلبك الذى لن يفعل وقتها إلاّ أن يجد ويجد دون معاناة مشقة البحث. ترفض أى سلام نهائي. ترغب بالعود الأبدي للحرب وللسلام: ـ إنسان نفي وإنكار، تريد التخلي عن كلّ هذا؟ من سيعطيك القوة؟ لاأحد امتلك قوة مماثلة لحدّ الآن!» ـ هناك بحيرة حرمت نفسها من الجريان، أقامت سداً لمجراها السابق: ذاك لم يتوقف مستواها عن الارتفاع. لعلّ هذا النوع من النفي يمدنا بالقوة التى تسمح بتحمّل النفي ذاته. ولعلّ الانسان لن يتوقف عن الارتفاع عالياً عندما يكفُّ عن المرور في إله.

ـ ٨٦ ـ

فرح الضرارة. ـ يقول المسافر لظله: «أريد لأفكاري أن تدلّني أين أنا معها، لا أن تكشف لي أين أذهب. أحب جهل المستقبل ولا أريد الاستسلام للتلهف وللطعم المسبق فى الأشياء الموعودة».

ـ ٨٧ ـ

إلى دعاة الأخلاق. ـ لن أمارس الوعظ الأخلاقي بعد، لكن سأقدم للواعظين هذه النصيحة: إذا كنتم حريصين على أن تجعلوا أفضل الأشياء وأفضل الظروف تفقد كلَّ قيمة، كلَّ رفعة، تابعوا الدعوة إليها ولتكن على شفاهكم باستمرار! ولتكن في قمة أخلاقيتكم من الصباح حتى المساء. لاتتكلموا إلاَّ على سعادة الفضيلة، على اطمئنان الروح، على العدالة الواسعة وعلى الإنصاف: إذا بقيتم هكذا، فجميع هذه الأشياء الجيدة ستنتهي إلى أن يكون لها الشعبية والشهرة حتى في الشارع. لكن مذاك سيصبح كلُّ رائع فيها مستهلكاً تلفاً، لا بل أكثر: كلُّ ماتحتويه من ذَهَبٍ سيصير إلى رصاص. والحقيقة هي أنكم صرتم أساتذة الكيمياء ـ المضادة، أساتذة الحطِّ من قيمة أثمن الأشياء! استخدموا ولو مرّة واحدة دواء آخراً كي لاتحصلوا على نقيض ماتبحثون عنه: انكروا الأشياء الرائعة، احرموها من هتافات وتصفيق الرعاع والدهماء، أوقفوا رواجها السهل، اجعلوا منها، ومن جديد، الاحتشامات الخفية، احتشامات بعض الأرواح المتوحدة، قولوا: ولتكن الأخلاق شيئاً ممنوعاً! لعلكم هكذا تلحقون بهذا الصنف من الرجال ـ أقصد البطوليين ـ الذين يلزمون لقضيتكم. لكن وقتها يلزم أيضاً أن تحتوى على ماهو مرعب ورهيب، وليس كالسابق على مايثير القرف والاشمئزاز! الا يقُال بصدد الأخلاق اليوم ماكان يقوله إيكهارت: «أتوسل إلى اللّه أن يدفعني إلى ترك اللّه».

ـ ٨٨ ـ

عادات قصيرة. ـ أعشق العادات القصيرة وأعدُّها وسيلة بلا ثمن لمعرفة أشياء عديدة وحالات مختلفة معرفةً تصيب أعماق عذوبتها ومرارتها: وطبيعتي بكاملها من أجل عادات قصيرة، حتى بالنسبة إلى حاجات الصحة الجسدية وبشكل مطلق. ولذا أستطيع أن أرى من أسفل شيء إلى أعلى شيء. أعتقد أن في هذا مايكفيني دائماً. فالعادة القصيرة هي الأخرى تؤمن بالانفعال ـ العاطفة،

بالخلود، وأتصوّر أنني أُحْسَدُ إذ وجدتُها وعرفتها: ـ ومذاك يتسم هذا الاعتقاد بأنه يغذيني صباحاً ومساءً، ينشر حوله وفيّ بساطة هائلة فلا أستطيع الرغبة في شيء دون الحاجة إلى المقارنة، إلى الازدراء أو إلى الكره. سيأتي اليوم الذي يصبح فيه الشيء الجيد مستهلكاً: ينفصل عني، ليس لأنه صار محلّ قرف ـ لكن لأنه شبع مني وشبعت منه كما لو كان يجب أن يعترف الواحد منّا للآخر بالجميل. إذاً، كلانا جاهز للمصافحة وشدّ الأيدي لحظة الافتراق! وها هو الشيء الجديد ينتظرني على الباب، كذلك الاعتقاد ـ المجنون الرصين، الحكيم الرصين! ـ الاعتقاد بأن هذا الشيء الجديد هو الشيء الحق، وبشكل نهائي حق. وكذلك هو الأمر عندي فيما يتعلق بالواجبات، بالأفكار، بالناس، بالمدن، بالقصائد، بالموسيقى، بالمذاهب، بالبرامج اليومية، بطرق الحياة. ـ بالمقابل، أكره العادات الطويلة، وأشعر باقتراب طاغية، بتسمم محيطي عندما تأخذ الظروف منعطفاً ينبغي عليها من خلاله أن تولّد بالضرورة عادات طويلة: مثلاً بسبب وظيفة، بسبب حياةٍ صحبةَ الأشخاص أنفسهم، بسبب سكن ثابت، بسبب جنس واحد من الصحة. نعم ومن أعمق أعماقي أدين لرداءة صحتي بكثير من الأشياء، كما أدين بكثير من الأشياء لكلّ ماهو ناقص فيّ إذ يقدمان لي مئات المخارج الخفية التي تساعدني على الإفلات من العادات الطويلة. ـ لعل الشيء الذي لاأطيقه، لاأحتمله والذي يرعبني بالتأكيد هو حياة مسلوبة من جميع العادات، حياة تتطلب ارتجالاً مستمراً: هناك قد يكون منفاي السيبيري.

ـ ٨٩ ـ

القدرة على المناقضة. ـ مامن أحد إلاّ ويعرف اليوم أن القدرةعلى احتمال التناقض هي علامة بارزة للثقافة. لا بل يدرك البعض أن الإنسان المتفوق يرغب بالتناقض ويثيره كي يمتلك علامة خاصة بجوره المحض الذي كان يجهله حتى وقتها. لكن فيما يتعلق بالقدرة على المناقضة، على الاحتفاظ بالشعور المكتسب عبر عداوة كلّ مألوف، تقليدي، مقدس ـ في هذا يوجد ماهو أكثر من احتمال

التناقض وإثارته، مـاهـو كبيـر حقـاً، ماهـو جديـد، ومدهـش فى ثقافـتنا. وهـذه هـى الخطوة المتفوقة التى يخطوها كلٌ ذهن حرّ: من يعرف ذلك إذن؟

ـ ٩٠ ـ

أنين. ـ امـسكت خطفاً بهـذا المفـهوم. وبسـرعة أخـذت المفـردات الأولية الرديئة التى خطرت بغـية الإبقـاء عليـه وحـفظه. وهـا هـو يموت من جـفـاف هـذه الكلمـات ويظل مـعلقاً بهـا مـتأرجـحاً ـ وأكـاد لا أعـرف كيف اسـتطعت الاسـتفـادة من حظ مماثل فى القبض على هـذا العصـفور عندما أنظر إليه وأعتبره.

ـ ٩١ ـ

هـذيان المتـأملين. ـ يتـميـز النّاس المتفـوقـون عن السُفليين بطريقـتهم الرائعة اللاتوصـف فـي الرؤية وفى السـمـاع: لايرون ولا يسـمـعـون إلاّ بالتـأمل ـ وهـذا مايميز الإنسـان عن الحيوان، كمـا يميز الحيوانات المتـفوقة عن السـفليـة. فالعـالم يصبح غنياً أكـثر فأكثر بنظر من يتطور ويرتفع فى أعـالي الإنسـان. هـكذا تنقذف صوبه جـوانب المنفعـة والجـوانب المتكثـرة: تزداد إثاراته بلا توقف إلى الوقت الذي تزداد فيـه الأجناس المختلفة، أجناس لذته ونفـوره ـ الإنسـان المتـفوق يصـير أكـثر سـعادة وأكثر شـقاء فى آن واحد. ومع ذلك يرافقه باسـتمرار هـذيـان مـا: يعتقد أنه، كمـشاهـد ومـسـتمع، أمام العـرض السـيمفـونى الكبيـر، الحيـاة. يسمّي طبـيعـتـه تأملية دون الانتـباه إلى أنه هـو نفـسه شـاعـر الحياة ويتـابع إعدادهـا الشـعـرْي ـ إلاّ زنه ربّمـا يتمـيـزعن ممُثّل هـذه الدرامـا، الذى يـعـرف باسـم الإنسـان العـمـلي. لكنه يتـمـيـز أكـثر عـن المتـأمل البسـيط الذى يُدعى إلى العـيـد كي يجلس فى المشـهـد الأمامي. وبـصـفتـه شـاعـراً، الحيـاة التأمليـة له وخاصـة بـه قطعاً... خاصـة به وهـو يلقى نظرة استعاديةعلى أعماله. لكن ماهـو خاص به أكثر، وقبل أى شـيء، الحياة الأبداعيـةالتـى يفـتـقـر إليهـا الإنسـان الـعـملي رغم المظاهـر والراي السـائد. نحن الآخـرين المتأمـلين ـ الحسـاسين، نحن الذين وبلا توقف ننتج شيـئـاً مالـم يوجـد بعــد: كليـة العـالـم المتـزايدة أبداً، التـقـديرات، الألوان، الأوزان، الآفـاق، المراتب،

التـأكيـدات والنفي. إن هـذا الخلق الشـعري لاخـتراعنا يُدْرَسُ باسـتمـرار، يُعَادُ كي يقدّمه ممثلونا الخاصـون المعروفون باسم الناس العمليين: يجسـدونه، يخرجونه، يتـرجمـونه إلى المألوفـية اليـومية. كلُّ مـاله قيـمة فى العـالم الحـالي اكتسب هـذه القيمة، فهى ليـست له فى ذاته، ليست له من طبيعته ـ فالطبيعـة دوماً بلا قيمة ـ اكتسبها فى يوم ماكهبة وكنّا نحن الواهبين! وهنا يكمن المفهوم الذى نفتقر إليه. وإن حـدث وأدركناه وحـفظناه لحظة، فـإننا سـرعان مـا ننسـاه فى اللـحظة التـاليـة فـوراً: نتجـاهل أفـضل قوانا، ونقلـل من قيـمتـنا قليلا، نحن الآخـرين المتـأملين ـ لسنا فخورين ولسنا سعداء كما قد يبدو ذلك.

ـ ٩٢ ـ

السيطرة على الذات. ـ هؤلاء الأخـلاقيون الذين يدفعـون الإنسان أولاً وبشـكل رئيسـى إلى السيطرة علـى الذات يسـببون له مـرضـاً فـريداً: تأثريّة دائمـة بجمـيع الميـول، بجمـيع الحـركات الطبيـعية، يسـببون له إن جـاز القول: نوعـاً من الحكّة والرغبة الملحة. ومـهما كان الباعث الذى يمكن أن يدفعـه، أن يجبرّه، أن يجذبه، أن يحمله من الداخل كمـا من الخـارج ـ فـسـوف يبـدو لهـذا التـأثرى ـ المتهـيج أن سـيطرته على ذاته توشك أن تفـشل: عليـه ألاّ يسـتسلـم لأية غـريزة، لأى طيـران حرّ، لكن أن يبقى دوماً فى حالة دفاع ضد نفسه والعين حادة حذرة، حارس أبدى للقلعة التى صـارها طواعية. ومع ذلك ربّمـا يستطيع امتـلاك بعض العظمة! لكن هـاهو لايطاق من البـعض! هـا هـو صـعب على نفـسـه ! هـاهـو مـحروم من جـمـيع مغامرات النفس الجميلة! هـاهو مقطوع عن كلّ تعاليم جديدة! يجب فى الواقع أن نعـرف كيـف نتلاشى عن العـيـون زمناً، إذا أردنا أن نتـعلم شـيـئاً من حـقـائق أننا لسنا نحن أنفسنا.

ـ ٩٣ ـ

روائيون وأبيـقوريون. ـ الأبيـقورى يـختـار الحالةَ والأشـخاص وحـتى الحوادث التى تناسب تكوّنه الثـقافى، ولكونه قـابلاً للأثارة إلى أقصى درجـة يهـجـر الباقي،

يعني غالبية الأشياء تقريباً. وإلاّ فإن ذلك سيكون بالنسبة إليه غذاء قوياً وثقيلاً جداً. بالمقابل، يتدرب الرواقى على ابتلاع الحجارة والحشرات، وشظايا البلور والعقارب ويبقى بلا قرف أو تقزز. على معدته أن تكون لامبالية بما تصبه فيها مصادفات الوجود، ـ يذكّر الرواقى بطائفة العيسويين العربية الموجودة فى الجزائر: شبيهاً بهؤلاء الباردي الإحساس، يلذُّ له أن ندعو جمهوراً لمشاهدة انعدام إحساسه الذي يرفضه الأبيقوري طواعية: والحقيقة أن لهذا الأخير «حديقته». يمكن للرداقية أن تكون جديرة باحترام وتقدير النّاس الذين يعيشون على ارتجالات القدر ووسط عصور من العنف، والذين يعيشون تابعين لأناس فجائيين متغيرين. لكن من يستشعر إلى حد ما أن القدر سوف يتيح له غزل حبل طويل، فما عليه إلاّ أن يتمرس بالتدابير الأبيقورية: وهذا مافعله لحدّ الآن جميع رجالات العمل الروحى! ستكون بالنسبة إليهم خسارة الخسارات أن يفقدوا قابلية الإثارة وأن يحلّ محلها جلد قاس، جلد الرواقيين المحفوف بالإبر.

ـ ٩٤ ـ

لصالح النقد. ـ هناك شيء ما يبدو لك الآن حقيقة كنت تحبها بصفتها حقيقةأو مايشبه الحقيقة: ترميهابعيداً عنك وتظن انك حققت نصراً بهذا الشكل. لكن لعلّ هذه الخطيئة، قديماً ـ وعندما كنت لاتزال آخراً، وأنت دائماً آخر ـ كانت ضرورية لك كجميع حقائقك «الحالية»، كانت، إن جاز القول، جلداً يخفى كثيراً مما لم يكن من حقك أن تراه بعد. حياتك الجديدة هى التى قتلت لحسابك هذا الرأى القديم وليس عقلك. لم تعد بحاجة إلى هذا الرأى، وها هو يتقوّض ويتكوّم الخبل فى داخله، ويبدو كأنه حشرة مؤذية فى وضح النّهار. لايوجد فى ممارستنا للنقد لا اعتباطية ولا ذاتية ـ وغالباً مايكون ذلك دليلاً على أنّ قوى حيّة فينا تظل جاهزة لتفجير قشرة سميكة. ننفى، يجب أن ننفى طالما أن شيئاً ما فينا يريد الحياة، يريد أن يتأكد، شيئاً نجهله وربما لانراه! ـ أقول هذا لصالح النقد.

ـ ٩٥ ـ

من أعماق العزلة السابعة. ـ ذات يوم أغلق المسافر وبعنف باباً خلفه. توقف وبدأ البكاء. ثم قال: هذه النزوة، هذا الميل إلى الصميم، إلى الواقعي، إلى اللاظاهر، إلى الأكيد! كم أمقته! لِمَ يتعلق هذا المطارِدُ الداكن، المنفعل، لِمَ يتعلق بى أنا تحديداً؟ أريد الاستراحه، لكن لايسمح بذلك! وفى كلّ مكان لايوجد بالنسبة إلىّ إلاّ حدائق Armide: ولهذا هناك اقتلاعات جديدة ومرارات جديدة للقلب! يلزمنى أن أتقدّم، أن أرفع هذه القدم المرتخية، هذه القدم المجروحة! ولأنه يلزمنى أن أتقدم ليس لدىّ من أجل أجمل الأشياء التى لاتقدر أن تستوقفنى إلاّ نظرة مليئة بالغضب ـ لأنها تعجز عن أن تستوقفنى.

ـ ٩٦ ـ

التاريخ اليومي ــ ما الذي يصنع فى نظرك التاريخ اليومي ؟ انظر إلى العادات التى تصوغه : هل هى لحظات لا تحصي من الجبن والكسل الصغيرين أم هى نتاج شجاعتك وعقلك العبقري ؟ وأيا كان إلى ختلاف بين هذين الاحتمالين فمن الممكن أن يحيطك النّاس بالمرائح والفائدة والاحترام قد تكفى جميعاً من لايريد أن يكون لديه إلاّ ضميرا مستيقظاً ــ لكن لاتكفيك أنت يا سبار الكليتين ، يامن علم الشعور.

ـ ٩٧ ـ

أشعة منحرفة. ـ قلّما نبدي عن الشجاعة المطلوبة، وعندما يهاجم التعب يبدأ واحدنا بالتشكى: «يصعب ألا نسيء للناس ـ أوه. لماذا ضروري هذا الأمر! مافائدة أن نعيش فى الظلّ طالما لانريد كتمان مايسبب الفضيحة؟ أليس من الحكمة أن نعيش فى الضجيج وأن نصحّح فى شخصية كل فرد الأخطاء التى يجب أن تُرْتكبَ، الأخطاء التى يجب أن نرتكبها بحق الجميع؟ أحمق مع الحمقى، متباه مع المتباهين، متحمس مع المتحمسين؟ أليس من الإنصاف أن ننظر إلى

اختلافنا الكبير المندفع مقارناً بالمجموع؟ وعندما اسمع وشاية احد بي اليست المطالبة بالإصلاح هي حركتي الأولى؟ هذا هو الجيد! ـ يبدو أنني قد أقول لهم ذلك ـ ليس بيني وبينكم، أنتم الآخرين، أي شيء مشترك، وعندي كثير من الحق لصالحي: لكم خيار أن تتسلوا وتنشرح صدوركم على حسابي وبقدر ماتستطيعون! ذلك هو نقصي وعيبي، تلك هي خطواتي الباطلة، دموعي، زهوي، سرُّ خرابي وكآبتي، تناقضاتي! هذا مايُضْحِكُ! اضحكوا إذن، انشرحوا! فلن أثور ضد قانون وطبيعة الأشياء التي تريد للنقائض أن تسلّي وتُفْرح! ربّما وجدت في السابق عصور «أجمل» حيث كان يمكن أن نشعر مع كلّ فكرة جديدة إلى حدّ ما بضرورة النزول إلى الشارع كي نصرخ في وجه كلّ امرىء: «هاهي مملكة الله قريبة منك!» ـ أما أنا فقد لا أنتبه إلى غيابي، وفيما إذا كنت ضرورياً. لا أحد بيننا ضروري يا أصدقاء». لكن ليس هكذا نقود التفكير عندما نكون شجعاناً: لانحلم بذلك.

ـ ٩٨ ـ

كلبي. ـ أعطيت المي اسماً، دعوته «كلب» ـ إنه وفيٌّ وملحاح وسفيه ومسلٍ، إنه ذكي أيضاً مثل أي كلب آخر ـ استطيع أن أوبخه وأحمّله جميع كآباتي كما يفعل الآخرون مع كلابهم وخدمهم ونسائهم.

ـ ٩٩ ـ

عن الساعة الأخيرة. ـ العواصف خطري: أعندي عاصفتي التي أستسلم لها كما استسلم أوليفيه كومويل لعاصفته؟ أو هل أنطفيء مثل لهيب لاينتظر أن تطفئه الرياح، لكنه تعب من نفسه وشبع ـ لهيب مستهلك؟ أو هل أنتهي بإطفاء نفسي كي لا أستهلك نفسي؟

- ١٠٠ -

الحكمة في الألم. - في الألم حكمة بمقدار مافي اللذة: فهو مثل اللذة ينتمي إلى القوى الأساسية، قوى حفظ النوع. ولو لم يكن الأمر كذلك لكانت تلك القوة قد انتهت منذ زمن طويل: أن يكون الألم موجعاً، فهذا ليس حجة ضدّه، بل هذه طبيعته. في الألم أسمع إلى أوامر كابتن السفينة: «انشروا الأشرعة!». أن نعرف كيف ندبّر الأشرعة وننشرها بألف طريقة، هذا ماينبغي أن يتدرّب عليه ويتمرّس به البحّار الشجاع - «الإنسان»، وإلاّ فإن مصيره سينتهي سريعاً ويبتلعه المحيط باكراً. يجب أن نعرف كيف نعيش بطاقةٍ مخفضة: ما إن يعلم الألم علامة الخطر حتى يحين وقت تخفيض الطاقة - خطر كبير. عاصفة تقترب. ولذا من الأسلم أن نتصرف بحيث تكون «الخسائر» أقل مايمكن. - هناك أناس تجعلهم ضخامة الألم العظيم يطيعون أوامر معاكسة، أناس لايظهرون قدراً من الكبرياء والمزاج العدواني الشرس، قدراً من السعادة.. إلاّ عندما تشتد العاصفة وتعلو الأمواج: نعم، للألم وحده يدينون بأسمى وأرفع اللحظات. أنهم الأبطال ورسل الألم الكبار، رسل ألم الإنسانية: إنهم الرجال النادرون الذين يحتاجون إلى التمجيد الذي يحتاجه الألم بشكل عام - والحقيقة هي أننا لانستطيع أن نرفض لهم ذلك! فعندهم القوى الأساسية، قوى حفظ النوع وتطويره، ولو بسبب أنهم لايخضعون للرّاحة ولا يكتمون قرفهم إزاء هذا النوع من السعادة.

- ١٠١ -

كمفسرين لتجاربنا المعيوشة. - هناك نوع من الاستقامة بقي غريباً على جميع مؤسسي الديانات وأشباههم: - لم يهمزهم الضمير مرّة واحدة ويدفعهم إلى سبر تجاربهم المعاشة. «ما الذي عشته إجمالاً؟ ما الذي كان يجري آنذاك في داخلي وحولي؟ هل كان تفكيري صافياً بما فيه الكفاية؟ هل كانت إرادتي تعرف كيف تقاوم مكر الحواس وتبدي شجاعة في رمي الاستيهامات؟» - إن أحداً من بينهم لم يتساءل بهذه الطريقة. واليوم لا أحد من بين العقول الدينية الجميلة

يفكر بذلك ايضاً: يبدو أنهم متعطشون لجميع الأشياء المناقضة للعقل. لايريدون أن يتعبوا كثيراً لإرواء هذا العطش. هكذا يحدث لهم أن يعيشوا «معجزات» و«ولادات جديدة»، أن يسمعوا أصوات الملائكة! لكن نحن... نحن الآخرين المتعطشين للعقل، نريد تمحيص تجاربنا المعاشة بدقة يتطلبها التجريب العلمي، ساعةً بساعة، يوماً بيوم! نريد ان نكون بأنفسنا تجاربنا الخاصة، نريد أن نكون محلَّ جميع تجاربنا العلمية.

- ١٠٢ -

أثناء اللقاء ثانيةً. -

أ: لم أعد أفهمك تماما؟ فى وسط العالم الذي يُعتبر واقعياً، أين توجد زاويتك الخاصة بك، وأين نجمتك؟ اين سيكون مكانك تحت الشمس، المكان الذى تلتذ فيه بفائض الرفاهية ويبرِّرُ وجودك؟ ليكن بمقدور كلّ إنسان الا يهتم إلاّ بعلاج نفسه - هذا مايبدو انك تريد قوله - وليتوقفْ مرةواحدة وإلى الأبد عن الكلام على المصلحة العامة وعن الانشغال بمصير المجتمع والآخرين! - ب: طموح اكبر من ذلك ولم أعد باحثاً. ما أريده هو: أن أبدع شمسي الشخصية الخاصة.

- ١٠٣ -

سقراط ميتاً. - تعجبنى شجاعة ورزانة سقراط فى كلّ ماكان يفعل ويقول وفى ماكان لايقول. - هذا الجني المولع بدقائق أثينا الساخر والعاشق الذي كا ن يهزّ ويُبكي اكثر الشباب فخراً واعتزازاً، لم يكن الثرثار الأكبر رزانة وحسب، بل كان فى صمته عظيماً ايضاً. كم كنت اودُّ لو انه بقي صامتاً فى لحظات حياته الأخيرة: - لعله كان قد انتسب إلى نظام من العقول الأسمى والأرفع أيضاً. الموت أم السم. الشفقة أم المكر - شيء ما فى تلك اللحظة فك له عقدة لسانه ليقول: «آه ياكريتون، إننى أُدين بديك لإسقلابيوس [إله الطب عند القدامى]. هذا «الكلام الأخير» المضحك والرهيب يعني لمن يعرف الاستماع والفهم: «آه، ياكريتون،

الحياة مرض!». هل من الممكن أن رجلاً مثله عاش فَرِحاً وجندياً فى نظر الجميع كان تشاؤمياً! إذن، لم يفعل شيئاً آخر إلاّ إظهار رباطة الجأش بصدد الحياة.، لقد أخفى أثناء حياته حكمه الأخير وشعوره الأكثر حميميّة! سقراط، سقراط... قد تألم من الحياة إذن! لكنه ثار منها بهذه العبارة الغامضة، الرهيبة، الورعة التجديفية! هل كان ينبغى لسقراط أن يصل حدّ الثأر من الحياة؟ هل كانت فضيلته الوفيرة تفتقر إلى حبّة من الكرم؟ آه، ياأصدقائى! وينبغي علينا أن نتجاوز حتى الإغريق!

- ١٠٤ -

الوزن الأكثر ثقلاً. - ماذا كنت ستقول لو أن جنياً تسلل ذات يوم أو ذات ليلة إلى عزلتكِ الأكثر عمقاً ثم قال لك: «سوف يجب عليك أن تعيش هذه الحياةمرّة أخرى ومرّات لاتحصى ودوماً كما تعيشها الآن وكما عشتها. لن يكون جديد فيها. كلُّ ألم، كلُّ لذة، كلُّ فكرة، كلُّ تحسّرٍ وكلُّ ماهو صغير وكبير سوف يعود إليك - كلُّ شيء فى النظام نفسه وفى التتابع نفسه - حتى هذه العنكبوت أيضاً، وهذا النور، نور القمر بين الأشجار، وهذه اللحظة وأنا بنفسى. لن تكفّ ساعة الوجود الرمليةالأبدية عن أن تنقلب باستمرار ومن جديد - وأنت معها ياذرة غبار الغبار!». ألن ترمى بنفسك فوق هذه التربة كازّاً على أسنانك ولاعناً الجنيَّ الذى يحدثك بهذا؟ أو ألن يحدث لك أن تعيش لحظة رائعة يمكنك أن تجيبه أثناءها: «أنت إله، ولم أسمع إطلاقاً بأشياء إلهية كهذه!». وإذا سيطرت عليك هذه الفكرة فسوف تجعلك شخصا آخر أو ربّما تسحقك. والسؤال المطروح بصدد كلّ شيء هو: «هل ترغب بذلك مرّة واحدة ومرّاتٍ لاتحصى؟». سيكون هذا السؤال من الأوزان التى تثقل عملك! أوكم يجب عليك أن تظهر من العطف تجاه نفسك والحياة، كى لاترغب بشيء إلاّ بالحياة؟ تأكيد أبدي، الحياة خطر أبدي!

الكتاب الخامس

ـ ١٠٥ ـ

فى أى معنى لانزال متدينين. ـ ليس للاعتقادات الراسخة حق المواطنية فى المجال العلمي. وعلى هذا الصعيد يقال بحق: فقط عندما تقرر النزول بتواضع إلى مستوى فرضية، وعندما تتبنى رأيا مؤقتاً فى بحث تجريبي، فى تخيل تنظيمي، عندها يمكن منحها قيمة ما وحق الدخول إلى مجال المعرفة شرط أن نبقيها تحت رقابة الاحتراس البوليسية ـ لكن إذا نظرنا جيداً فى هذا القول، ألا يعني أن الاعتقاد الراسخ لايُقبلُ وفى مجال العلم إلاّ عندما يكفُّ عن كونه اعتقاداً؟ ألا يبدأ حقل الذهن العلمي يرفض جميع الاعتقادات الراسخة؟... من المحتمل أن يكون الأمر كذلك: لكن يبقى أن نعرف فيما إذا كان لاينبغي ـ وكي يتاح نشوء حقل مماثل ـ وجود مسبّق لاعتقاد راسخ، اعتقاد ضروري جدا وغير مشروط بحيث يقضي ولصالحه على جميع الاعتقادات الأخرى. يقوم العلم هو الآخر على اعتقاد ولا يوجد علم دون «افتراضات مسبقة» . أما سؤال أن نعرف إن كانت الحقيقة ضرورية فلا ينبغي أن يكون قد وجد جوابه الايجابى مسبّقاً بل على هذا الجواب أن يؤكد السؤال، بحيث يعبر عن مبدأ، واعتقاد، وقناعة أن «لاشيء ضرورى كالحقيقة، وكلُّ ماتبقى ذو أهمية ثانوية بالنسبة إليها». ماهي هذه الإرادة المطلقة، إرادة الحقيقة؟ هل هي إرادة ألا تخطيء أبداً؟ بهذا المعنى الأخير، قد يمكن تأويل إرادةالحقيقة ـ شرط أن يُناط بالتصميم ـ :«لا أريد أن أُخْدَع قط» وحتى الحالةالخاصة: «لا أريد أن أنخدع وأخطيء قط». لكن لم لا نُخْدَع؟ لكن لم لانخطيء وننخدع؟ لنلاحظ أن أسباب الحالةالأولى تكمن فى مجال يختلف تماماً عن اسباب الحالة الثانية: لانريد أن نخطيء وننخدع لأننا نفترض أن ذلك مضرّ، خطير، مشؤوم ـ بهذا المعنى يشكل العلم حدة ذهن ثابتة، حيطة، فائدة لايحق لنا الاعتراض عليها: ماذا يعنى ذلك؟ هل ستكون إرادة

الا ننخدع والا نستسلم للخطأ اقل ضرراً، اقل خطراً، اقل شؤماً؟ ماذا تعرفون وبشكل مسبّق عن سمة الكون، وطبيعته كي تستطيعوا التأكد إن كانت هناك فوائد اكبر لجهة الاحتراس المطلق أو لجهة الثقة المطلقة؟ لكن فى حالة هذا وذاك، اى كثير من الثقة وكثير من الاحتراس... نقول فى هذه الحالة: من أين يستمد العلم اعتقاده المطلق، اعتقاده الراسخ الذى يرتكز عليه، يعني أن الحقيقة ستكون اكثر اهمية من اي شيء آخر، لا بل من كلّ اعتقاد راسخ آخر؟ لم يكن بمقدور هذا الاعتقاد الراسخ تحديداً أن يولد لو بدت الحقيقةواللاحقيقة مفيدتين فى أن معاً وفى المستوى ذاته: وهكذا هو الأمر واقعياً. بالتالي، لم يستمد الاعتقاد بالعلم الذي يوجد بلا ريب أصله من حساب مماثل للفائدة، بل إنه ورغم ذلك وُلِدَ من أن لافائدة وخطر «إرادة الحقيقة» و«الحقيقة بأى ثمن» مبرهن عليهما باستمرار. «بأى ثمن»: آه، كم نفهم هذا وندركه! وكم من المعتقدات قدّمت الواحد بعد الآخر على هذا المذبح! ـ بالتالي «إرادة الحقيقة» تعني ليس:«لا أريد أن أنخدع وأن أخطىء» بل تعنى ـ ولا بديل آخر: «لا أريد أن أخدع، ولا حتى أن أنخدع وأخطىء نفسي»: ها نحن فى ميدان الأخلاق. لكن لنتساءل بشكل جدي: «لماذا لاتريد أن تخدع؟» حتى ولو كان يبدو ـ والبادي موجود ـ أن الحياة لاتقوم إلاّ بناءً على الظاهر، أعني بناءً على الخطيئة، على الخداع، على الإخفاء، على التضليل وتضليل الذات. فى حين أن شكل الحياةالكبير يبدو باستمرار إلى جانب النّاس الأقل تدقيقا ووسوسة. إن قولاً مماثلاً يمكنه أن يؤخذ بدماثة على أنه دون كيشوتية، دعابة صغيرة حماسية: ويمكن أن يتعلق الأمر بشيء أفظع، بمبدأ هدّام ومعادٍ للحياة... «إرادة الحقيقة» ـ يمكن أن تكون وبشكل خفي إرادة الموت ـ هكذا فإن السؤال المطروح: لماذا العلم؟ يقود إلى المشكلة الأخلاقية: ماذا تفيد الأخلاق إجمالاً؟ متى تكون الحياة، الطبيعة، التاريخ أشياء «غير أخلاقية»؟ من المؤكد أن الذهن الحقيقى الصادق بهذا المعنى الجريىء والأخير، كما يفترض ذلك

الإيمان بالعلم، يُلحُّ على وجود عالم آخر غير عالم الحياة، عالم الطبيعة، عالم التاريخ، وبمقدارمايلحُّ على وجودهذا «العالم الآخر»، الا ينبغي عليه نفي وإنكار نقيضه، أى هذه الدنيا، هذا العالم، عالمنا؟ ربّما فهِم الآن إلى أين أريد الوصول: يعني أن هذا أيضاً لايزال إيماناً ميتافيزيقياً وعليه يرتكز إيماننا بالعلم، ـ يعني أننا، نحن الذين نبحث عن المعرفة، نحن الآخرين الضد ـ ميتافيزيقيين وبلا إله، لانزال نغترف نارنا من حريق أشعلته عقيدة ألفية قديمة، إيمان ديني كان هونفسه إيمان وعقيدة أفلاطون، الإيمان بأن الله هو الحقيقة، بأن الحقيقة إلهية وحسب... لكن ما القول، ما العمل، إن أخذ هذا وبشكل متزايد يفقد قيمته وحظوته، إن بدا كلُّ شيء يكف عن الظهور على بأنه إلهي ـ باستثناء الخطيئة والتضليل والكذب ـ إن أخذ الله نفسه يظهر على أنه كذبتنا الأبدية؟

ـ ١٠٦ ـ

إشارة استفهامنا. ـ لكن هنا يكمن مالا تفهمونه؟ والواقع يصعب أن نتفاهم. نبحث عن الكلمات، ولعلّنا نبحث عن الآذان أيضاً. من نحن إذن؟ لو أردنا أن نصف أنفسنا بأقدم التعبير: مثل بلا إله أو كفرة أو لاأخلاقيون، فلسوف نبتعد أكثر عن اعتقاد أننا حدّدنا بشكل نهائي: نحن هذه الأشياء الثلاثة مجتمعة، وفى مرحلة متأخرة جداً بحيث يمكنكم أيّها السادة المتدينون فهم مانعانيه فى النفس كى نكون كذلك. كلا! كلا! لم يعد ذلك مرارة وهوى الإنسان المندفع الذي يجب عليه أن يجعل من كفره عقيدة وغاية وشهيداً! كنّا متحمسين فأصبحنا باردين قساة من فرط اعترافنا أن لاشيء هنا في هذا العالم يحدث بشكل إلهى، ولا حتى وفق المعايير الإنسانية، بشكل رزين رحيم عادل: نعرف ذلك، العالم الذي فيه ليس إلهياً ولا أخلاقياً ولا «إنسانياً»، ـ فسرّناه وفهمناه طويلاً بشكل مزيف وكاذب، لكن وفق رغبة وإرادة تقديسنا له، أى وفق حاجة. لأن الإنسان حيوان يُقدّس! لكنه يحترس أيضاً: العالم لايساوي ما اعتقدنا انه كان يساوي، وهذا هو

الشيء الأكيد الذى أدركه احتراسنا وحيطتنا. كثير من الحيطة، كثير من الفلسفة. ربّما نحترس من القول: إن للعالم قيمة أقل: ويبدو لنا مضحكاً اليوم أن الإنسان أراد الادعاء أنه أبدع قيماً تسمو فوق قيمة العالم الواقعي، ـ هذا هو الوهم الذي تحررنا منه بصفته زيفاً مفرطاً للعبث والهذيان الإنسانيين، زيفاً لم يعترف به كما هو. وآخر تجلياته هى التشاؤمية الحديثة، وهناك تجلٍ أقدم وأقوى: مذهب بوذا. لكنه موجود فى المسيحية أيضاً بصيغة أكثر اشتباهاً وأكثر التباساً وإبهاماً، لكن ليس أقل إغراءً. أما عن الموقف التالي: «الإنسان ضد العالم»، الإنسان بصفته مبدأ «ينفي العالم»، الإنسان بصفته مقياس قيمة الأشياء، بصفته قاضى العوالم، القاضي الذى يضع الكون كله فى كفة ميزانه ويعتبره خفيفا جداً ـ فيما يخص طعم كلية هذا الموقف، الطعم المذهل الرداءة، فقد استوعبناه، إنه يثير نفورنا. ـ وننفجر من الضحك لا لشيء إلاّ لرؤية « الإنسان [و] العالم» موضوعين الواحد إلى جانب الآخر، يفصل بينهما الغرور الرقيق، غرور الحرف الصغير [و]! لكن ماذا؟ هل كنا سنفعل شيئاً آخراً، وبصفتنا ساخرين، ضاحكين، إلاّ أن نخطو خطوة زائدة في طريق احتقار الإنسان؟ وإذن خطوة أخرى فى التشاؤمية وفى احتقار الوجود القابل للمعرفة والكشف بالنسبة إلينا؟ ألا نكون بذلك قد وقعنا فى شبهة التناقض بين هذا العالم حيث كنّا نشعر حتى وقتها بأننا فى البيت مع مقدساتنا ـ مقدسات بفضلها استطعنا تحمل أن نعيش ـ وبين عالم ليس شيئاً آخراً غيرنا: إذن، نكون قد وقعنا فى الشبهة المحتومة الأساسية، والأخيرة، الشبهة فينا وبصددنا. شبهة تمارس بزيادة وفظاظة سيادتها علينا نحن الأوروبيين. ويمكنها أن تضع الأجيال المقبلة فى الخيار المرعب التالى:

«أما أن تلغوا مقدساتكم، وإمّا أن تلغوا أنفسكم!». العدمية قد تكون الكلمة الأخيرة، ألم تكن العدميةهى الكلمةالأولى أيضاً؟ ـ هذه هى إشارة استفهامنا.

عن أصل الديانات. ـ اختراع مؤسسي الديانات الأساسي هو أولاً ايجاد طريقة معينة للحياة، وممارسة أخلاقية يومية تعمل بصفتها انضباطاً طوعياً وتقضي على الضجر في الوقت ذاته. ثانياً إعطاء هذه الحياة تفسيراً يجعلها تبدو مضاءة بالقيمة الأسمى، بحيث يصير هذا النوع من الحياة رفاهية يُناضَلُ في سبيلها ويُضحى بالنفس من أجلها إذا اقتضت الحاجة. والحقيقة إن الاختراع الثاني هو الأهم والأساسي: أمّا الأوّل، أي طريقة الحياة، فقد وجد سابقا بشكل عام، لكن وجد بين أشكال أخرى من الحياة ودون الوعي بقيمته الضمنية. تتجلى أهمية مؤسس الدين في كونه يوضح هذه الطريقة من الحياة ويختارها، وفي كونه أوّل من عرف لأية غاية يمكن أن تمارس الحياة وأن تُقاس. فيسوع مثلاً (أو بولس) وجد نفسه أمام حياة النّاس الصغار في الريف الروماني، حياة متواضعة، عفيفة، مليئة بالهجوم: ترجم هذه الحياة واضعاً فيها القيم والمعاني الأكثر سمّواً. وهكذا أعطاها قوة وشجاعة احتقار كلّ نوع آخر من الحيوان، أعطاها التعصب الديني الصامت الخاص بالأخوة موراف Moraves ، أعطاها ثقة بالذات، ثقة خفية وسرّية لم تكف عن النمو لحد أنها صارت قادرة على أن «تهزم العالم» (يعني روما وطبقات الامبراطورية العليا). بوذا هو الآخر وجد هذا النوع من الناس: وجدهم موزعين على جميع ظروف التراتبية الاجتماعية لشعبه. ناس جعلهم الكسل طيبين متسامحين (وبخاصة غير عدوانيين) كما جعلهم يمارسون التقشف ويعيشون بلا حاجات تقريباً: فهم بوذا كيف يجب ضرورةً على هذه الكائنات وباسم الحياة الكسولة الخاملة أن تستسلم لعقيدة تعدُ بعدم عودة المصائب الأرضية (يعني العمل والتصرف بشكل عام). وفي «إدراك وفهم» هذا الأمر تكمن عبقرية بوذا. على مؤسس الدين أن يكون معصوما في المعرفة البسيكولوجية، معرفة الطبقة المتوسطة من النّاس الذين ينتظرون إدراك واستيفاء ماهو مشترك بينهم. مؤسس الدين هو الذي يجمعهم عن طريق هذا الوعي:

هكذا ومن هذه الناحية ينتهي إنشاء دين جديد إلى عيد هائل من الاعتراف بالجميل، اعتراف متبادل بين النّاس.

ـ ١٠٨ ـ

حول أصل مفهومنا «للمعرفة». ـ خطر لي الشرح التالي وأنا في الشارع: سمعت رجلاً من العامة يقول: «عرفني» ـ وعلى الفور تساءلت: ماذا يمكن للشعب أن يقصد بالمعرفة، ماذا يعني بها؟ ماذا يريد، عندما يريد شيئاً، من «المعرفة»؟ لاشيء آخر إلاّ هذا: أن نعيد شيئاً ما غريباً إلى شيء ما معروفٍ. ونحن الآخرين، الفلاسفة ـ هل كنا سنعني بكلمة «معرفة» أكثر من ذلك؟ المعروف يعني: ما اعتدنا عليه كنايةً بحيث يكف عن إدهاشنا. حياتنا اليومية، أية قاعدة نلتزم بها، كلُّ شيء مألوف: ماذا يعني ذلك كله؟ إرادة أن نجد في كلّ ماهو غريب واستثنائي ومشبوه شيئاً وليس موضوع قلق بالنسبة إلينا؟ أليست غريزة الخوف هي التي تدفعنا إلى المعرفة؟ أليس ابتهاج من يكتسب معرفة هو ابتهاج الشعور المسترجع للشعور بالأمن؟ وهذا الفيلسوف يعتبر العالم «معروفاً» حالما يرجعه إلى «الفكرة ـ المثال»: لكن أليس لأن «الفكرة ـ المثال» كانت معروفة ومألوفة جداً من قبله؟ أليس لأنه توقف تماماً عن أن يخاف «الفكرة ـ المثال»؟ الخزي لجدارة الذين يدعون المعرفة! ومن هذه الناحية، لفلتُمحّص المبادىء والحلول التي يقدمونها لألغاز العالم! عندما يجدون في الأشياء، تحت الأشياء، وراء الأشياء ماهو معروف جداً، ولسوءالحظ، بالنسبة إلينا، مثل جدول الضرب، أو منطقنا، أو إرادتنا ورغبتنا... يشعرون فوراً بسعادة لامثيل لها! لأن الأكثر تحفظاً بينهم يزعمون أن المعروف سيكون الاعتراف به أسهل مما هو بالنسبة للغريب: سيكون أكثر منهجية للمرء أن ينطلق بدءا من «العالم الداخلي» وبدءاً من «وقائع الشعور»، فهنا يقوم العالم الذي نعرفه بشكل أفضل! خطيئة الأخطاء! المعروف هو المألوف، والمألوف هو من الأشياء التي تصعب «معرفتها»، اي نأخذه بصفته مشكلة، إذن بصفته غريباً، بعيداً، متموضعاً «خارجنا»... إن الضمان

الكبير الذى تبديه العلوم الطبيعية مقارنة بسيكولوجية ونقد عناصر الشعور ـ علوم يمكن وصفها بـ. ضد ـ طبيعية ـ يعود تحديداً إلى أنها تأخذ الواقع الغريب موضوعاً لدراستها: فى حين أن هناك شيئاً متناقضاً وعبثياً فى إرادة أن نأخذ موضوعاً للدراسة ماليس بغريب.

ـ ١٠٩ ـ

كيف أنّ كلاً من الجنسين له رأيه المسبق بصدد الحب.ـ رغم جميع التنازلات التى يمكن أن أقدمها لنظام الزواج الأحادى (الزوجة الواحدة والزوج الواحد)، فلن أقبل نهائيا الكلام على مساواة الحقوق فى الحب لدى الرجل والمرأة، إذ لاوجود لهذا. الأمر الذى يعني أن الرجل والمرأة يفهم كلٌ منهما شيئاً مختلفاً من كلمة حب. وبسبب ظروف الحب عند الجنسين لاتستطيع افتراض وجود الشعور نفسه، المفهوم نفسه عن «الحب» عند هذا وذاك. ماتفهمه المرأة من الحب واضح تماماً: هبة تامة (وليس فقط عفوية واستسلام) للجسد وللروح من دون تحفظ ولا حساب، هبة مصحوبة بالخجل والخوف من فكرة هبة مشروطة وعارضة. وفى غياب جميع الشروط يكون حبها عقيدة: إذ ليس عند المرأة عقيدة أخرى! وعندما يحب الرجل امرأة يطالبها بهذا الحب. إذاً، هو نفسه بعيد عن هذا المبدأ السابق للحب النسوي. لكن لنفترض وجود رجال يعرفون هذه الرغبة فى العفوية وليست غريبة عليهم،ـ وقتها يكفون عن أن يكونوا رجالاً. إن رجلاً يحب امرأة هكذا يصير عبداً، لكن امرأة تحب بصفتها امرأة تصبح امرأة أكثر اكتمالاً. إن عشق المرأة فى تخليها المطلق عن حقوق خاصة بها يفترض أنه لايوجد عند العشيق كلام مهيجً، ولا توجد إرادة تخلٍ مماثلة: لأنه إذا تخلى الاثنان عن نفسيهما عشقاً فربّما ينتج عن ذلك فراغ كبير؟ تريد المرأة أن تؤخذ، أن تُقْبلَ بصفتها مُلْكيّة، تريد التلاشي فى مفهوم «الملكية»، تريد أن تكون «مملوكة». بالتالي تريد رجلاً، رجلاً لايعطي نفسه ولا يتخلى عنها، رجلاً عليه أن يصير أكثر تغنىً «بنفسه» بفضل القوة والسعادة والاعتقاد، أى بفضل الأشياء التى

تقدمها إليه المرأة عندما تعطيه نفسها. المرأة تتخلى عن نفسها، والرجل يزداد وينمو أكثر. وأعتقد أن أى عقد اجتماعى وأية إرادة إنصافية لن يُتيحا تجاوز هذا التنافر الطبيعى: حتى وإن كان يستحب الاّ نتوقف باستمرارعند مافى هذا التنافر من قسوة ورعب وتلغز ولا أخلاقية. لأن الحبّ مدركاً فى كليته، فى عظمته، فى امتلائه، هو طبيعة، وبصفته كذلك هو شيء غير «أخلاقى» دائما. وتبعاً لذلك فالإخلاص متضمن فى حب المرأة ويأتي من تعريف ومفهوم هذا الحب: يمكن للإخلاص عند الرجل أن يولد بسهولة بعد الحب اعترافاً بالجميل أو بسبب مزاجية ميله أو بسبب مايُدعى بالشوق الاصطفائي، لكن لاينتمي إلى جوهر حبه أبداً ـ وذلك لحد أنه يحق لنا الكلام على تناقض طبيعي بين الحبّ والإخلاص عند الرجل: الحب الذي ليس إلاّ إرادة تملّك وليس قطعاً إنكاراً للذات ولا تخلياً عنها. والحالة هذه، تتوقف إرادة التملك بشكل منتظم حالما تتم الملكية... والحقيقة إن التعطش الشديد للملكية عند الرجل الذى لايعترف إلاّ نادراً ومتاخراً بهذه «الملكية» هو الذى يديم حبه: بهذا الشكل يستطيع أن ينمو ويزدهر حتى بعد استسلام المرأة. إن الرجل لايقبل أن يكون لدى المرأة شيء لم «تتخلّ عنه» له. ـ

ـ ١١٠ ـ

إزاء كتاب علمى. ـ لسنا من الذين لايستطيعون صياغة الأفكار إلاّ وسط الكتب، إلاّ بالاحتكاك بها. اعتدنا أن نفكر فى الهواء الطلق، ماشين، قافزين، صاعدين، راقصين، والأفضل فى الجبال المتوحدة أو بالقرب من البحر، هناك حيث الطرقات تتأمل وتفكر هى الأخرى. وها هى أسئلتنا الأولى فيما يخص قيمة كتاب، قيمة إنسان، قيمة موسيقى: نقرأ دون أن نقرأ بمشقة ـ أوه! كم نحن مستعجلون لاكتشاف الطريقة التى توصل عبرها فلان إلى أفكاره، جالساً أمام المحبرة، مطويَ البطن، كابّ الرأس على الصفحة: لكن نحن مستعجلون أيضاً للانتهاء من كتابه!... كتابه الذي تصدر منه رائحة أحشاء المؤلف المضغوطة! ولا يمكن الخطأ، كما لو أن الأمر يتعلق بهواء محصور، بسقفٍ وبضيق الغرفة ـ تلك

هي المشاعر التى انتابتني حالما انتهيت من كتاب نزيه وعلمي، كتاب متميز ومليء بالتمييزات والاستطلاعات وببعض العزاء أيضاً... كتاب عالم يحرر دوماً من قيود شيء مايُعذّب ويعذّب: فى ناحية، ينضح «المتخصص» بالحماس، بالجدية، بالغضب، بتقدير عالٍ للزاوية التى يجلس فيها. كتابُ عالمٍ يعكس ذهناً مستاء فى ناحية أخرى: كلُّ مهنة تجعل صاحبها معذبا. يكفي أن نرى زملاء شبابه بعد أن امتلكوا علومهم: آه، كم العكس صحيح أيضاً ودائماً! بدءاً، كم تغزوهم هذه العلوم وتمتلكهم! ! متجذرون فى الزاوية، تعبون لحد أنهم لايُعرفون، مُسْتَعْبدون، محرومون من توازنهم، نحيفون وعظامهم بارزة إلاّ فى مكان هم منتفخون فيه بشكل رائع، ـ أن نجدهم هكذا... هذا مايُعذّب ويدعو إلى الصمت.. كلُّ مهنة، حتى وإن كان لها قاعدة ذهبية، توجد تحت سقف رصاصي لايكف عن إرهاق الذهن لحد جعله مستاءً وغريباً. ليس فيه شيء يمكن تبديله. ويجب ألا نؤمن بقدرة التغلب على انحراف مماثل من خلال بعض الطرق والمناهج التربوية. كلُّ سيطرة يُدفع ثمنها غالياً جداً فى هذا العالم حيث ربّما يُدفع ثمن كلّ شيء بأبهظ مايمكن: فالإنسان لايتقن مهنةإلاّ لقاء ثمن باهظ وهو أن يكون ضحيتها. لكن تريدون امتلاكها بشكل آخر ـ «بتكاليف أقل» وبارتياح قبل كلّ شيء ـ أليس كذلك، أيها السادة المعاصرون لي؟ فليحسن إليكم! لكن ماستحصلون عليه وقتها وحالاً وبدل الحرفي المعلم، هو المتأدب، والمتأدب المرن، «الذى له توجهات مختلفة ومتعددة»، المتأدب الذى يفتقر إلى الحدبة ـ باستثناء حدبة الظهر التى يظهرها لكم بصفته مركز اشعاع الروح و«مالك» الثقافة ـ المتأدب الذى وإجمالاً ليس شيئاً، لكنه «يمثل» كلَّ شيء تقريبا، يمثل دور الجديد ويحلُّ محله»، يلتزم أيضاً وبكلّ تواضع بأن يدفع الآخرون عنه، يكرمونه، يحتفلون به محلَّ الجديد الحقيقى. ـ كلاّ يا أصدقائي العلماء! أباركك حتى من أجل حدبتكم! وأيضاً من أجل إزدرائكم للمتأدب المتطفل على الثقافة! من أجل عجزكم عن المتاجرة بالذهن! من أجل الآراء التى لاتعبر عن نفسها من خلال قيمة

مادية! من أجل أنكم لاتريدون شيئاً آخرا إلاّ أن تكونوا انفسكم! أباركَكم لأجل إرادتكم الفريدة، إرادة أن تكونوا أسياداً في مهنتكم، وذلك احتراماً لكل سيادة، لكلّ قدرة، ورفضاً قطعياً لكلّ ماهو ظاهر فقط، غير أصيل، براّق، مهارة عدمية، ديماغوجية رفضاً قطعياً لكل مالا يقدر أن يبدي عن نزاهة مطلقة في الانضباط والتدرّب! (....).

ـ ١١١ ـ

أوّل تمييز ضروري في حقل الأعمال الفنية. ـ كلُّ ماهو مُدْركٌ مُتخيلٌ شعريا، مرسوم، أو ملحّن موسيقيا، أو حتى مبنيُ ومصوغ... يتعلق إمّا بالفن المونولوجي وإما بالفن أمام الشهود. وفي هذا الصنف الأخير يجب أن نضع الفن المونولوجي الظاهر الذي يشمل الإيمان بالله وكلُ غنائية الصلوات: لأنه لاوجود للعزلة بالنسبة إلى الذهن المتدين. فالعزلة لاترقى تاريخياً إلاّ إلينا نحن الآخرين المِنْ دون إله. لا أعرف اختلافاً متقدماً بناءً على رأي الشاهد (أي يعتبر «نفسه» وفق مايراه الشاهد) أو انه، بالعكس تماماً، «نسي العالم»: هذا هو الأساسي بالنسبة إلى كلّ فن مونولوجي ـ فن ركيزته النسيان، فن موسيقاه النسيان.

ـ ١١٢ ـ

نحن الآخرين غير المفهومين. ـ ألم يحدث لنا أن نشكو من سوء فهم لنا، من تجاهلنا، من خلطنا (مع آخرين)، من النميمة علينا، من فهمنا أولا بشكل سيء؟ وهذا بالتحديد نصيبنا ـ أه! ولزمن طويل أيضاً! ولنقل، كي نكون متواضعين، لسنة ١٩٠١ ـ وفي هذا أيضاً رهافتنا! لن نعرف أن نقدرّ انفسنا تقديراً عالياً إذا أردنا أن يكون الأمر غير ذلك، ونفسح مجالاً للبس والغموض ـ فكوننا ننمو باستمرار ونتغير يجعلنا نطرح القشور العتيقة، نصنع لأنفسنا جلداً جديداً كلّ ربيع، لانكف عن أن نصير شباباً أكثر فأكثر، مرتفعين نثبّت جذورنا بقوة متزايدة في الأعماق ـ في «الشر» ـ وفي الوقت ذاته نعانق السماء بحب وغزارة ونتشرب نورها بجميع غصوننا وجميع أوراقنا. ننمو مثل الأشجار ـ هذا

مايصعب فهمه ككل يعيش!ـ لاننمو فى مكان واحد، بل فى جميع الأمكنة، وليس فى اتجاه واحد، بل فى اتجاه الأعلى واتجاه الخارج، واتجاه الداخل، واتجاه الأسفل.ـ تشتغل قوتنا فى الجذع، فى الغصون والجذور وفى أن معاً. ليس من حقنا أن نفعل شيئاً بشكل منفصل ولا أن نكون شيئاً منفصلاً... إذن هنا نصيبنا، كما قلت أنفاً. ننمو فى اتجاه الأعلى وهذا لابدّ أن يكون حتمياً وحاسماً بالنسبة إلينا ـ لأننا نسكن قرب العاصفة أكثر فأكثر!ـ وليكن، فنحن لانقلل من عزتها، وهذا الشيء يظل مالا نريد اقتسامه ولا إيصاله: حتمية الارتفاع، حتميتنا...

ـ ١١٣ ـ

لماذا لم نعد مثاليين قط.ـ كان الفلاسفة قديماً يخافون الحواس: فهل نسينا هذا الخوف بالمصادفة؟ نحن اليوم جميعاً حسيّون ـ نحن الفلاسفة الآخرين، فلاسفة الحاضر والمستقبل، وليس فيما يتعلق بالنظرية فقط، بل أيضاً فيما يتعلق بالممارسة والتطبيع العملى... بالمقابل، كان أولئك الفلاسفة يعتبرون أن الحواس تخاطر بجرهم إلى خارج عالمهم، خارج المملكة الباردة، مملكة الأفكار و«التصورات»، إلى جزيرة خطيرة وأكثر حرارة حيث أن فضائلهم الفلسفية قد تذوب مثل الثلج تحت الشمس، وكم كانوا يخافون ذلك. «كثير من الصلاح فى الآذان»، هذا هو الشرط الذى كان يسبق كلّ فعل فلسفي: الفيلسوف الأصيل هو من لم يكن يعير الحياة أذناً، رغم أن الحياة موسيقى، كان ينكر موسيقى الحياة،ـ وإنّها لخرافة فيلسوف قديمة أن تؤخذ كلُّ موسيقى على أنهاموسيقى كائنات أسطورية مغرية. لكن نميل اليوم إلى الإيمان بالعكس (وهذا يمكن أن يكون باطلاً أيضاً)، أى أن التصورات أكثر غواية وخديعة وأخطر من الحواس بكلّ مظهرها البارد الأنيمى (الفقير الدم)، ورغم هذا المظهر،ـ عاشت دوماً على «دم» الفيلسوف وفرّغت دوماً حواسه، وإن شئنا التصديق نقول: فرغت «قلبه» أيضاً. هؤلاء الفلاسفة القدماء كانوا بلا قلب: كان التفلسف يقوم على نوع من الابتزاز ومصّ الدم. ألا تشعرون أن عند هذه السّحن المماثلة كما عند سبينوزا، شيئاً

مقلقاً وغامضاً، مليئاً بالألغاز بشكل عميق؟ الا تفهمون العرض الذى يجرى هنا، هذا الشحوب التدريجي ـ تجميد الحواس الذى يريد لنفسه تأويلاً مثاليا؟ الا تشعرون أن فى الخلف علقة دموية بقيت خفية زمناً طويلاً، علقة تبدأ بالهجوم على الحواس، وكي تنتهي لاتبقي إلاّ على العظام والقرقعة؟ أعني مقولات، عبارات، كلمات (معذرة، كلُّ ماتبقى من سبينوزا ليس إلاّ القرقعة ولا شيء آخر. ماهو «الحب»، مامعنى Deus دون قطرة دم واحدة؟). وفى النهاية: كانت كلُّ فلسفة مثالية وحتى الآن نوعاً من المرض، عندما لم تكن ـ كحالة أفلاطون ـ احتراساً من صحة مفرطة وخطيرة، خوفاً من حواس قوة متزايدة، حكمة سقراطي متزن. ـ لعلنا، نحن الآخرين المعاصرين، لسنا سليمين بما فيه الكفاية كي تكون مثالية أفلاطون ضرورية لنا؟ ولا نخاف من الحواس، لأن....

ـ ١١٤ ـ

تخفيفات الحياة. ـ هذا مايشعر به، مايعانيه جميع الفنانين، جميع مبدعي «الآثار» والنّاس ذوو الطابع الأمومي: فى نهاية كل مرحلة من مراحل حياتهم ـ إذ يأتي عمل فني يقطع ـ يعتقدون بأنهم وصلوا إلى الغاية، بأنهم جاهزون لقبول الموت بأناة وبالإحساس التالي: نحن ناضجون لذلك. ليس هذا تعبيراً عن الضجر، بل هو تعبير عن نوع من الضوء والوداعة الخريفين اللذين يثيرهما كلّ مرة لدى المؤلف العملُ الفني نفسه ونضوج هذا العمل. وعندها يخف إيقاع الحياة لدرجة أن يتخثر لونه وعسله ـ لدرجة الاستراحات الطويلة، لدرجة الإيمان بالاستراحة الطويلة....

ـ ١١٥ ـ

«ونصير شفافين». ـ نحن الآخرين، كرماء الروح، وأغنياء الذهن، الشبيهين بالنوافير العامة، نقيم على أطراف الدرب ولا نريد أن نمنع أحداً من أن يأتي ويغترف ماءه منّا: لسوء الحظ، نجهل أن ندافع عن أنفسنا عندما نرجو ذلك. لاحيلة فى أن نمنع الآخر من أن يجعلنا مياه عكرة، داكنة ـ من أنّ العصر الذى

نعيشه يرمي فينا« أحْيَنَ ماليه، من أن ترمي عصافيره روثها علينا، والأولادُ أشياءَهم الرخيصة، والمسافرون المنهكون الذين يرتاحون بالقرب منّا مآسيهم الكبرى والصغرى. لكن سنفعل ماكنّا قد فعلناه دوماً: سنمتص كلّ مايُرمي علينا وفي أعماقنا ـ لأننا عميقون لاننسى ـ وسنصير شفافين...

ـ ١١٦ ـ

استراحة البهلول. ـ قطعاً، إن الّذى كتب هذا الكتاب ليس حقوداً أو كارهاً: فالإنسان يدفع اليوم ثمن الحقد غالياً. كي نكره كما يكرُه الإنسان قديماً، بشكل مركز وبلا تحفظ، ومن أعماق القلب، ومن كليّة حب الحقد ـ ينبغى أن نعرف كيف نتخلى عن الازدراء: ـ كم ندين لازدرائنا بوفرة السعادة الراقية، بوفرة الصبر، بوفرة الطيبة! إلى ذلك وبهذا الشكل نحن «أولياء الله»، ويشكّل الازدراء الخفيُّ ذوقنا وامتيازنا، فنّنا، وربّما فضيلتنا أيضاً. نحن الأحدث بين الحديثين! الحقد يساوي، يضع وجهاً لوجه، فى الحقد كثير من العزة، فى الحقد كثير من الخوف، خوف كبير. لكن نحن النّاس الآخرين المنْ دون خوف، والأكثر روحانية فى هذا العصر، ندرك جيداً تفوقنا فنستطيع العيش بلا خوف من هذا الزمن بصفتنا أناساً أكثر روحانية. كي يُضرَب عنقنا، نُسْجَنَ، نُنْفى: هذا أمر يحتاج إلى الكثير الكثير. يستحيل أن تُمْنعَ كتبنا وأن تحرق. هذا زمن يعشق الفكر، يعشقنا، يحتاج إلينا، حتى وإن وجب أن نفهمه بأننا فنانون فى مجال الازدراء، بأن كلُّ احتكاك بالنّاس يسبب لنا اقشعراراً طفيفاً، بأننا بوداعتنا، بصبرنا، باجتماعيتنا، بلطفنا لن نقدر على إقناع أنفنا بالتخلي عن حكمه ضد الاقتراب من كائن بشري، بأننا نحب الطبيعة لاسيما وأن كلّ شيء يجري فيها بإنسانية أقل، ونحب الفن عندما يقوم على هروب الفنان أمام الإنسان، أو على سخرية الفنان من الإنسان أو على سخرية الفنان من نفسه بالذات...

اغاني الآمير الخارج علي القانون

إلـى غـوتة

الخالد اللايفنى

ليس إلاّ رمزاً!

أمّا الله، المستهوي

فليس سوى مكر شاعر

فيما يدور دولاب العالم

يلامس هدفاً بعد آخر:

يقول الضاعن - «بؤس»

يقول المجنون - لعبة...

* * *

لعبة العالم العظمى

تخلط الكون بالظاهر:-

ويخطلنا الهوس الأبدى

بها - خلط الحابل بالنابل

* * *

قَدَرُ شاعر

ذلك اليوم وبعد أن استرخيت

بظل أغصان داكنة،

سمعت تكتكة طفيفة

تُدوزن الإيقاع بخفة.

وباغتباط أبديت استيائى

أخيراً، بدأت الكلام تكتكة

مستسلماً أنا بنفسي للحركة

كشاعر.

* * *

مباغتا نفسي، انظم أبياتاً

فى نهاية كلّ مقطع اضع: هوب ـ لا Houp-la

وفجأة بدأت القهقهات

لمدة ربع ساعة.

أنت، شاعر؟ أنت، شاعر؟

إذاً، متعب الراس انت مشوّش؟

«أنت شاعر ياسيدي»

قال العصفور النقّار، هازاً كتفيه.

* * *

ماذا كنتُ أنتظر فى الدغل

من كنت أترصد كقاطع طريق؟

أن تأتيني صورة أوحكمة؟

إيقاع طفرة يأتيه رديفاً.

مايثب، ماينزلق

سرعان مايخلق الشاعر منه بيتاً

«أنت شاعر ياسيدي»

قال العصفور النقّار، هازّاً كتفيه.

* * *

قلت لكم: القوافي سهام.

ويختلج هذا، يرتجف ويقفز

حالما يدخل السهم فى الأجزاء النبيلة

أجزاء الجسم الصغير ـ الكسول!

آه، تموتون من ذلك، أيّها الفقراء الصعاليك

أو تترنحون شكراً!

«أنت شاعر ياسيدى العزيز»

قال العصفور النقّار هازّاً كتفيه

* * *

أمثال عرجاء، لاهثة

كلامُ سكران، كلُّ شيء يُسرع!

إلى أن تشنقوا الآيات بعضها وراء بعض

بسلسلة التكتكة.

ثم تقولون: هناك عِرقٌ شديد الفظاعة

يتسلى بذلك ويلتذ؟

هل سيكون الشعراء أشراراً؟

«أنت شاعر، ياسيدى العزيز»

قال العصفور النقّار هازّاً كتفيه.

* * *

أتسخر أيّها العصفور؟ أتمزح؟

إذا كان رأسي متعباً

فماذا سيحدث لقلبي المسكين؟

يفزع، يفزع غضبي ـ!

لكنّ الشاعر ـ يفتل القوافى

كيفما كان، حتى فى الغضب

«شاعر أنت، أيّها السيّد العزين»

# #

فى الجنوب

معلقا بالغصن المعقوف

أهدهد تقززي.

استضافنى عصفور،

وفى عصفور أستريح

أين أنا إذن؟ آه، بعيد، بعيد!

* * *

البحر الأبيض نائم

فى حضن غطاء أرجواني.

صخور، أشجارُ تين، برج وميناء

خرفان ثاغية، منزل حب بريء

يابراءة الجنوب استقبليني!

* * *

السير خطوة خطوة ـ أية حياة!

قدم ثم أخرى، توتوية وثقيلة.

قلت للرياح ارفعيني، اخطفيني،

علّمني العصفور أن أحلّق

وصوب الجنوب طرت فوق البحر.

العقل! قضية مخيبة!

هذامايقود إلى الهدف سريعا!

بالطيران عرفت ماكان يخدعني

وها هي الحرارة والنسغ يأتياني

لأجل حياة، لأجل لعبة جديدة.

* * *

أن تكون وحيدا للتأمل: رزانة

لكن أن تكون وحيداً فى الغناء: حماقة!

هكذا اصنعي دائرة حولي

اسمعي بصمت

إلى اغنية تهلل لك

أيتها العصافير الصغيرة ـ الشريرة.

* * *

شابة جداً، مزيفةجداً، متسكعة جداً

يبدو لي أنك مخلوقة للحب

ولقضاء جميع الأوقات الجميلة.

فى الشمال ـ وأخاف الاعتراف بذلك ـ

احببت امرأة صغيرة

عجوزاً تثير الاقشعرار ـ،

كان اسم تلك المرأة العجوز:

«الحقيقة»

# #

القارب السرّى

اللّيلة الأخيرة وعندما كان كلُّ شيء ينام

أخذت رياحُ أنينٍ مبهمٍ

تجول فى الأزقة

لم تعد الوسادة مريحة

ولا الخشخاش، ولا مايضيم

ـ بشكل عميق ـ السريرةَ الطيبة.

* * *

متخلياً عن النوم فى النهاية،

ركضت إلى الشاطيء. هناك فى ضوء القمر

كان الجو وديعاً. وهناك وجدت

الرجل والقارب فوق الرمال الحارّة.

غافيان معاً، الراعى والشاة:

غافياً، غادر القارب الشاطىء

مضت ساعة ـ ربّما ساعتان

أو ربّما سنة؟ ـ عندها غرقتْ

حواسي وأفكاري فجأة

فى برودة أبدية.

وانفتحت هاويةٌ بلا حدّ:ـ

كان كلُّ شيء قد انتهى.

* * *

جاءا الصباح: وفوق أعماق سوداء

يرسو قارب، يرتاح، يرتاح...

ما الذي جري؟ كان يصرخ كانت

تصرخ مئات الأصوات. ماذا هناك؟ دم؟
إن شيئاً لم يحدث! كنّا ننام، ننام
جميعاً ـ آه! جيداً، جيداً.

# #

بيان حب

(قذف الشاعر إلى حفرة)

آه، يامعجزة! الا يزال يطير؟
يرتفع، يعلو وجناحاه لايتحركان؟
ما الذي يرفعه، ما الذى يعليه إذاً؟
ما غايته، ماطريقه، ما زمامه؟

* * *

شبيهاً بالكوكب، بالأبدّية،
يعيش الآن فى الأعالي التىُ تخافها الحياة.
يشفق حتى على الرغبة،
ومن يره يحلق، يطر فوقه بالذات!

* * *

آه، ياطائر القطرس!
تدفعنى غريزة أبدية فى اتجاه الأعالى!
كنتُ أفكر بك: وسكبت دموعاً

* * *

نشيد معَاز ليوقراطي

ها اناذا مستلقٍ، مريض الأحشاء

يلتهمنى البقُّ

وهناك لايزال ضوء وضجيج!

أصغي إليهم وهم يرقصون...

* * *

كانت تريد التسلل حتى إليّ

فى هذه الساعة المتأخرة.

أنتظر مثل كلب

ولا إشارة تأتي.

* * *

هذا الصليب وعندما وَعدَتْهُ

كيف استطاعت أن تكذب؟

ـ أو لعلّها تركض خلف كلّ واحد

مثلما تفعل عنزاتي؟

* * *

من أين لها فستانها الحريرى؟

آه، أيتها الفخورة، يافخورتي!

إذن، ألا تزال بعض التيوس

تسكن هذه الغابة؟

* * *

الانتظار العاشق

كم يجعل المرء عبوساً، ساماً!

هكذا وفي ليلة خانقة

ينبت فى الحديقة فطر سام.

* * *

ينخر في الحبِّ مثل الآلام السبعة، ـ

لا رغبة لي فى أى شيء

فوداعا يابصلاتي فى اليابسة!

* * *

هاقد نام القمر فى البحر

وجميع النجوم متعبة.

يستيقظ النّهار كئيباً

ولا أطلب غير الموت

# #

هذه النفوس الحائرة

من أجل هذه النفوس الحائرة

أحتفظ بحقدٍ مميت

ليست تسبيحاتها إلاّ عذاباً لي

ومدائحها لاتتنفس غير العار والكمد.

لأنني لا أنساق مع هذا القرن

المربوط برسنها

تُحيِّينى الرغبة اليائسة

بنظرتها،

حامضةً ـ عذبةً.

* * *

فليلعنونى بقلب مفتوح

وليديروا لى الظهر

* * *

فتلضلّ هذه النفوس الهالكة

فىَّ وإلى الأبد.

# #

مجنون يائس

واسفاه،

ماكتبته بقلب مجنون، بيد مجنون

على الطاولة وفوق الجدار

سوف يزيِّن الجدار والطاولة؟...

* * *

لكن تقولون: «لاتفعل يدا مجنون إلاّ التدنيس

ولا بدّ من تطهير الطاولة والجدار

حتى يختفي أدنى أثر!»

* * *

هل تسمحون! سأساعدكم قليلاً

لأنني تعلمت استخدام الأسفنجة والمكنسة،

بصفتي ناقداً وسقّاء.

* * *

لكن وبعد أن ينتهي هذا العمل

سوف أراكم بكلّ سرور

أنتم أيها الحكماء الرائعون

محارةً... من حكمة الطاولة والجدار.

# #

كيف يتعزّى الشعراء

من فَمِكَ،

المشعوِّذ، مهذار الزمن

تتقطر ببطء الساعات

ساعةً تلو الأخرى.

وعبثاً يصرخ كلُّ تقززي:

ملعون، ملعون صندوق

الأبدية!

* * *

الكون قلزّ ـ فولاذ:

ثور محتدم لايستجيب لأية صرخة.

بخناجره الرشيقة يُسجِّلُ

الألم في رأسي:

«كون بلا قلب

والحقد عليه سيكون حَمَقاً!»

صبّي كلّ الخشخاش

صبّي، أيتها الحمى، صبي في رأسي سُمّاً!

منذ زمن طويل

وأنت تبتلين يدي وجبهتي.

ماذا تطلبين؟ ماذا؟ «بأي ـ ثمن؟»

ـ ها ـ ملعونة هي العاهرة

وملعون هزلها!

* * *

كلاّ! عودي!

في الخارج برد، أسمع المطر ـ

يجب أن أكون أكثر وداعة معك؟

ـ خذي! ذهبٌ: انظري كيف يلمع!

أَنْ اسميك «حظاً»؟

انتِ، أن اباركك، أيتها الحمّى؟

* * *

ينفتح الباب فجأة!

ويجتاح المطر سريري:

الرياح تطفيء الضوء ـ خراب!

من ليس عنده الآن مائة إيقاع

أراهن، أراهن

انه سيموت!

في اتجاه بحار جديدة

بدءاً، إلى هناك، إلى هناك أريد الذهاب

أعتمد على نفسي واثق بيدي الخاصة.

مكشوفاً يعرض البحر نفسه، وفي الزرقة

يريد زورقي الجنوبي أن ينقذف

* * *

لكلّ شيء بريق جديد في ناظري

تهجع الظهيرة فوق المكان والزمان ـ:

عينك وحدها

أيّها اللانهائي، تحدّقه فِيَّ

بعزلة مرعبة

- ١ -

لايزال هناك مؤيدون أبرياء للإستبطان. يعتقدون بوجود «يقينيات مباشرة»، مثل «أنا أفكر» أو مثلما كان يتخيل شوبنهاور «أنا أريد»، كما لو أن المعرفة فى هذه الحالة تقدر على إدراك موضوعها نقياً عارياً وبصفته «شيئاً بذاته» دون أى التواء لامن جهة الفاعل ولا من جهة الموضوع. لكن سوف أعيد مائة مرّة القول: إن مفاهيم مثل «يقين مباشر»، «معرفة مطلقة» أو «شيء بذاته» تحتوى على تناقض ومن الأفضل ألا تنخدع بالكلمات. لندع الشعب يؤمن بأن المعرفة تذهب إلى نهاية الأشياء، أما الفيلسوف فعليه أن يقول لنفسه: إذا حللت القضية المعبّر عنها بهذه الجملة «أنا أفكر» فسوف يكون لدي سلسلة من التأكيدات المتهورة والمغامرة بحيث يصعب، لابل يستحيل إثباتها وتأسيسها: مثلاً أن أقول: أنا الذي يفكر، يعني، وبشكل عام، وجود شيء يفكر، ويعني أن التفكير فعل ونتيجة ينبثقان عن الكائن المعتبر سبباً، وانه يوجد «أنا»، وانه أثبتنا ماتشير إليه كلمة التفكير وأنني أعرف مايعنيه التفكير. لأننى إذا لم أحسم هذه القضايا لصالحي، فكيف سأحكم بأن مايجري فى داخلي ليس بالأحرى «إرادة» أو «شعوراً»؟ بإيجاز، القول «أنا أفكر» يفترض أن أقارن حالتي الحاضرة بحالات أخرى يعرفها شخصي بغية أن أعطي رأياً بطبيعتها. ومن هنا ينتج عبر هذا الربط بـ «علم» آتٍ من الخارج، أن الحالة موضوع الخلاف لاتحتوي فى نظري على أى «يقين مباشر». وبدلاً من هذا «اليقين المباشر» الذى سيؤمن به الشعب، فإن الفيلسوف لن يلاقي إلاّ سلسلة من المشكلات الميتافيزيقية وأزمات ثقافية حقيقية، تطرح بهذه العبارات: «من أين يأتيني مفهوم التفكير؟ لماذا أعتقد بالعلة والمعلول؟ من أين لي الحق فى الكلام على «أنا»، وحتى على «أنا» قد تكون سبباً، سبباً للتفكير؟». إن من يتيح لنفسه امتلاك هذا النوع من الحدس، حدس المعرفة، بغاية الإجابة الفورية على هذه الأسئلة الميتافيزيقية، كما عندما نعلن: «أنا أفكر وأعلم أن هذا صحيح على الأقل، واقعي وأكيد»... فسوف يلاقي لدى فيلسوف اليوم

ابتسامة وإشارتي استفهام، سيلفت انتباهه قائلا: «أيّها السيّد، من المحتمل أنك لاتخطيء، لكن لماذا تلزمك الحقيقة بأى ثمن؟؟».

ـ ٢ ـ

أن نكون مستقلين... تلك هى قضية عددٍ قليل من النّاس، بل هى امتياز الأقوياء. ومن يغامر فى سبيل ذلك ـ وليكن بأفضل الوسائل ـ دون أن يكون مكرهاً عليه، فإنه ليس قوياً فقط بل وجسوراً لحد الإسراف. يندفع داخل دهليز، يكثرّ المخاطر الملازمة للحياة بالآلاف، ،مخاطر ليس أقلها هذا: ألا يرى أحد بعينيه كيف وأين يتيه، فى أية عزلة يتمزق قطعة قطعة، تمزقه مطحنة كامنة فى مغارات الشعور. إن إنساناً مماثلاً يأتي كي ينقرض وتتم هزيمته بعيداً جداً عن فهم وإدراك النّاس، فلا يشعر هؤلاء بشيء ولا يحسون بأية شفقة. أما هوفلا يستطيع أن يعود إلى الوراء، لايقدر أن يعود حتى فى اتجاه رحمة الكائنات الإنسانية!

ـ ٣ ـ

من المحتم، لابد من العدل، أن تبدو مشاعرنا الحدسية الرفيعة جنوناً، إن لم نقل جريمةً، عندما تصل بلا مسوّغ إلى آذان من لم يخلقوا لسماعها وغير مرصودين لفهمها وإدراكها. إن الفكر الظاهري والفكر الباطني اللذين استطاع الفلاسفة أن يميزوهما فى بلاد الهند واليونان، فى بلاد فارس والبلاد الإسلامية، وفى كلّ مكان كان يُعْتقدُ فيه بتراتبية الحقوق لا بمساواتها... لاينفصلان طالما ـ وبهذا المعنى ـ أن الأشياء من الخارج. والنقطة الأساسية هى أنه يتأمل الأشياء من تحت إلى فوق فى حين أن المفكر الباطني ينظر إليها من فوق إلى تحت. إن للروح قمماً تكفّ فيها التراجيديا عن أن تكون تراجيدية. وعلى افتراض أن ألم العالم كلّه يتجمع فى كتلة واحدة، فمن يجرؤ على تأكيد أن رؤيته تجعلنا نميل ضرورة إلى الشفقة، وبالتالي إلى مضاعفة هذا الألم؟ إنّ ماهو غذاء أو ترطيب بالنسبة إلى

الأفراد المتفوقين يصير شبه سمٍّ بالنسبة إلى إنسانية مختلفة جداً ودينا جداً. ربّما تكون فضائل الإنسان العادي عيوباً ونقاط ضعف فى نظر الفيلسوف. قد يجب على الإنسان المتفوق أن ينحلّ ويموت فى تفوقه الخاص كي يكتسب الميزات التى تجبر الآخرين على تقديره واحترامه كقدّيس فى العالم الأدنى حيث قد يقع. هناك كتب لها قيمة مناقضة للروح وللصحة، حسبما تمارس تأثيراً على روح دنيا وطاقة خائرة أو بالعكس على روح، عليا وطاقة صلبة. فى الحالة الأولى ستكون نداءات محمّسة تثير الشجعان فى اتجاه شجاعتهم بالذات. للكتب رائحة سيئة بالنسبة إلى جميع النّاس، رائحة سواد الشعب تفوح من صفحاتها. هناك حيث يأكل الشعب ويشرب، لابل هناك حيث يتعقد، نقول هناك يفسد الهواء ويتعفن. إذا أردتم أن تتنفسوا هواء نقياً، فلا تدخلوا أماكن العبادة والصلاة. –

– ٤ –

خلال أطول مرحلة فى التاريخ الإنسانى، أى مرحلة ماقبل التاريخ، كانت قيمة – أو عدم قيمة – عمل ما تأتي من نتائج هذا العمل. لم يكن يقام وزناً للعمل بالذات أكثر من دوافعه، لكن كما فى الصين تقريباً، وفى ايامنا ايضاً، يرتدُّ امتياز أو عار الأطفال على الوالدين. كانت تلك هى الفضيلة ذات المفعول الرجعي، فضيلة النجاح أو الفشل التي تجعل النّاس يحكمون على عملٍ ما بالجودة أو بالرداءة. لنسمِّ ذلك العصر بالعصر لما قبل اخلاقي للإنسانية: كانت الصيغة الأمرية: «اعرف نفسك بنفسك» غير معروفة آنذاك. بالعكس، وخلال العشرة آلاف سنة الأخيرة، توصلت الإنسانية فى بعض مناطق الكرة الأرضية إلى الحكم على قيمة عمل ما ليس وفق النتيجة بل وفق السبب: حَدَث جدير بأن نعتبره فى مجموعه، تهذيب أكيد للنظر والحكم، نتيجة لاشعورية لسيطرة القيم الأرستقراطية وللإيمان بفضيلة «المعرفة» علامة متميزة لمرحلة من حقنا أن نقول عنها أخلاقية بالمعنى الدقيق للكلمة. السبب بدل النتيجة: أى انقلاب للرؤية! انقلاب لم يتوصلْ إليه، على الأرجح، إلاّ بعد معارك طويلة وشكوك

طويلة هى الأخرى. لكن ودفعة واحدة، بدت تباشير سيطرة خرافة جديدة وقاتلة، سيطرة تأويل ضيق بامتياز: إنّ أصل العمل وبحصر المعنى نُسِبَ إلى النية التى كان ينبثق عنها. اتفق على أن قيمة العمل تكمن فى قيمة النية. هكذا صارت النية تشمل سبب العمل وما قبل تاريخه. ومن زاوية هذا الحكم المسبق ولحد الأزمنة الأخيرة تقريبا، توقفنا عن المدح، عن الذم والحكم بشكل اخلاقي، توقفنا أيضاً عن التفلسف. واليوم ألم نتوصل إلى مرحلة ينبغى معها بالضرورة أن نصمم على قلب وتبديل القيم مرة أخرى، وذلك بفضل تأمل جديد وآخر بنا وحولنا، ثم إغناء الإنسان؟ ألسنا على عتبة عصر يناسب أن نصفه، بشكل سلبي أولاً، بـ: اخلاقى جداً؟ نشك اليوم، نحن اللااخلاقيين على الأقل، بأن القيمة الأساسية لعمل ما تكمن خارج النية تحديداً، ان نية العمل بكاملها، ان كلّ مايمكن أن نراه منها، وأن نعرفه وندركه بالشعور ينتمي إلى ظاهرها وإلى بشرتها التي تكشف كأية بشرة عن شيء ما لكن تخفي اكثر؟ باختصار، نعتقد أن النية ليست أكثر من علامة ودلالة تتطلب تفسيراً بالدرجة الأولى، علامة محملة بالمعاني، وبالتالي ليس لها اي معنى خاص بها وحدها، نعتقد أن أخلاق النوايا كانت حكماً مسبقاً، حكماً سريعاً وربّما مؤقتاً، شيئاً مايشبه علم الفلك أو علم الكيمياء، لكن ينبغي على أية حال أن يتم تجاوزه. تجاوز الأخلاق بمعنى من المعاني هو تجاوز للأخلاق بالأخلاق. هذه هى العبارة التى يمكن أن تدلّ على هذا العمل السرّي الطويل الذى كان حكراً على الضمائر الأنقى، والأنزه، لكن الأكثر ضرراً اليوم، وعلى الضمائر التى هى المعايير الحيّة للنفس.ـ

ـ ٥ ـ

كلُّ عميق يحبُّ القناع. الأشياء الأعمق تكره الصورة والرمز. ألا يمكن أن يكون التضاد هو التنكر الذي تختفي وراءه حشمة إله؟ سؤال مقلق: سيكون غريباً أن أىّ متصوّف لم يتصرف بهذا الشكل لصالحه الخاص. هناك أشياء رهيفة جداً، ومن الرهافة بحيث يُفضلُ أن نغطيها بغطاء الخشونة كي يمكن

التعرف عليها. هناك أفعال حسب وكرم زائد بعدها لايبقى إلاّ أن نأخذ العصا ونجلد الشاهد: هكذا تشوّش عليه الذاكرة. أكثر من شخص يحاول تشويش ذاكرته والإساءة إليها كي ينتقم، على الأقل، من هذا الشريك الوحيد: الحشمة خلاقة. ليست الأشياء الأكثر رداءة هي التي تجعلنا نحمرُّ خجلاً: لايوجد شيء وراء القناع إلاّ المكر، وفي المكر كثير من الطيبة! أتصوّر جيداً ذلك الإنسان الذي، وبعد أن اضطر لإخفاء شيء ثمين وهش، سيجري عبر الوجود بكثير من الصراحة والخشونة، تماماً مثل برميل عتيق مسيّج بشكل ثقيل: هكذا تريد رهافةحشمته. إن الإنسان ذا الحشمة العميقة يلاقى مقاديره وقراراته الأكثر رهافة وتعقيداً فوق طرق لايمشي عليها إلاّ قليل من النّاس والتي لابدّ أن يجهل وجودها أقاربه وأصدقاءه: فالخطر الذى تتعرض له حياته لاتراه عيونهم، وكذلك الأمر بالنسبة إلى سلامته المستردة. هذا الإنسان السرّي الذي يستخدم الكلام فطرياً كي يصمت ويُصمت مايجب أن يظلّ خفياً، الذى يبدع بشكل لامتناهٍ حيلاً كى يتملص من التواصل والإتصال... أقول: هذا الإنسان لايرغب إلاّ أن يرى قناعاً يحلُّ محلّ وجهه فى ذهن وقلب أصدقائه. وإذا لم يرغب بذلك، فإن عينيه سوف تنفتحان يوما ما وسوف يرى أنه يختلط بقناع، وأن ذلك جيد. كلُّ ذهن عميق يحتاج إلى قناع.، لا بل سأقول أكثر: يتكوّن حول كلّ ذهن عميق قناع بلا توقف. لأن كلّ كلامٍ من كلامه، كلّ فعل من أفعاله، كلّ تجلٍ من تجلياته هو محلّ تأويل غيرصحيح، اى تأويل مسطح.

ـ ٦ ـ

من المهم أن نبرهن لأنفسنا أننا خُلِقنا للاستقلال ولإعطاء الأوامر، وذلك فى الوقت الجيد والمناسب. ينبغى الا نتملص من ضرورة ذلك وأن الأمر فى النهاية يتعلق، فقط، بإثبات إمكانيات نحن شهودها ونحن قضاتها. الا نتعلق بأى شخص وإن كان الحبيب الأكثر، لأن كلُّ شخص سجن وملاذ أيضاً. الا نتعلق بأى وطن ـ وإن كان الأكثر تألماً وفقراً وفقداناً ـ إنه لأقل صعوبة أن نحرر القلب

من وطن منتصر. ألا نتعلق بأية شفقة وإن كانت تتوجه إلى أناس متفوقين ستكشف لنا المصادفة عن المهم النّادر وعن زهدهم. ألاّ نتعلق بأي.. علم وإن كان يعدنا بالاكتشافات الأثمن والأرقى، اكتشافات يبدو أنه يحتفظ لنا بها. ألا نتعلق بتحررنا نفسه، بتلك الرغبة بالبعيد، رغبة عصفور يطير دوماً إلى الأعلى كي.. يرى الفضاء يتسع تحت جناحيه، تلك هي مغامرة من يطير. ألا نتعلق بفضائلنا وألاّ نضحى.. بوجودنا كاملاً من أجل أية خصوصية كانت: مثلاً من أجل حبنا «للضيافة». إنها مغامرة بامتياز، مغامرة النفوس النبيلة والغنية، النفوس التى تسخو وتبذّر ولا تهتم بحالها وتقود فضيلة الكرم لحد العيب. يجب أن نعرف كيف نحترف، كيف نرعى أنفسنا: هذا دليل على استقلالنا.

ـ ٧ ـ

هل سيكون فلاسفة المستقبل أصدقاء جداً «للحقيقة»؟ من المحتمل جداً. لأن جميع الفلاسفة المعروفين أحبّوا حقائقهم. ومع ذلك، لن يكونوا دوغمائيين. سوف يتمرد شعورهم بالكرامة، مثل ذوقهم، على أن تكون حقيقتهم بالضرورة حقيقة بالنسبة إلى الجميع. وهذا ماكان لحد الآن، وبشكل سرّى...، الأمنية والخلفية الفكريةلجميع الأهداف الدوغمائية. «حكمي.. هو حكمى أنا ولا أقبل طواعية أن يحق لآخر امتلاكه»: هذا ماقد يقوله واحد من هؤلاء الفلاسفة، فلاسفة المستقبل. «يجب التخلص من هذا الذوق الرديء: إرادة الاتفاق مع أكبر عدد. «جيد» لم تعد تعنى.. جيد على لسان الجار. وكيف يمكن أن يكون هناك «جيد مشترك»؟ الكلمة تنضوى.. على تناقض: مايمكن أن يكون مشتركاً ليس له إلاّ قيمة صغيرة جداً. وفى النهاية، سيكون الأمر كما كان دوماً وباستمرار: الأشياء العظيمة تنتمى إلى النّاس العظام، الأعماق إلى النّاس العميقين، الرهافة والارتعاش إلى النّاس الرهيفين. وبكلمة واحدة كلٌ ماهو نادر ينتمى إلى النّاس النادرين.

في أى مكان يظهر العصاب الديني على وجه الأرض، نجده مرتبطا بثلاثة أنظمة خطيرة: العزلة، الامتناع، التعفف، دون أن يكون ممكناً القول بثقة أين يجب البحث عن السبب أو النتيجة، دون أن يكون ممكناً القول حول هذه النقطة علاقة علة و،معلول. إن مايسمح بهذا الشك الأخير هو أن أعراض هذا العصاب ـ عند الشعوب المتوحشة كما عند الأمم المتمدنة ـ تتجلى في انفلات الهيجان الجنسي.. فجأة فينهض على شكل انتفاضاتٍ من التوبة، على شكل نفي.. للعالم والإرادة: ظاهرتان ربّما يناسب أن نتعرّف فيهما على يرقانة الصرع؟ لاينبغي أن نمتنع عن التأويل في أي.. مجال كان: إن أية ظاهرة لم تستطع أن تثير في الأذهان كمية مماثلة من اللامعاني.. ومن المعتقدات الخاطئة، إن أية ظاهرة أخرى لم تستطع أن تجتذب النّاس وحتى الفلاسفة بهذا المقدار. على هذا الصعيد، ربّما أن الأوان كي.. نبدى.. قليلاً من البرودة، كي.. نستخدم الحذر والتأني.، كي.. ننظر إلى الظاهرة من على مسافة، أو كي.. نبتعد حقيقة عنها. حتى الفلسفة الحديثة العهد، كفلسفة شوبنهاور، لاتزال تحتفظ في خلفيتها ـ وكمشكلة قائمة بذاتها ـ على هذا التساؤل المخيف، تساؤل أزمة ويقظة الدين. كيف يمكن نفي.. الإرادة؟ كيف للقديس أن يكون ممكناً؟ يبدو أن هذا هو السؤال الذى.. جعل من شوبنهاور فيلسوفاً وشكّل نقطة انطلاق فلسفته. وجاءت النتيجة التي.. كانت في عصب هذه الفلسفة حيث أنجز نصيرها الأكثر اقتناعاً بها (لعلّه الأخير. على الأقل بألمانيا)، اى ريتشارد فاكنر، عمله الفني.. لحد نقطة محددة انتهى بعدها إلى اخراج هذا النموذج الإنساني.. الخالد والمرعب بصيغة كاندرى Kudry (نموذج معيوش) وجسّده كما هو. وهذا في العصر الذى.. كان فيه لدى الأطباء العقليين في جميع بلدان أوروبا تقريباً فرصة دراسة هذا النموذج عن كثب، وهذا في كلّ مكان كان فيه العصاب الديني ـ ما أسميه «الظاهرة الدينية» ـ ينتج أخر هيجانه الوبائي...، ينتج احتفاله الأحدث عهداً، تحت تمظلة «جيش السلامة والخلاص». والحالة هذه، إذا تساءلنا عن الشيء الذى.. شدّ

النّاس من جميع الأزمان والأجناس، بما فيهم الفلاسفة، إلى هذه الظاهرة، ظاهرة القداسة، فسوف أجيب بأن جو المعجزة الذى.. يرتبط بها هو الجاذب، يعنى .. التتابع المباشر للمواقف المتعارضة، لأحوال النفس، الأحوال التى تعتبرها الأخلاق مناقضة لها. كان يُظنّ أننا نفهم مباشرة التحوّل المفاجيء، تحول «رجل سيء» إلى قديّس، إلى رجل خير. وحول هذه النقطة المحددة والخاصة فشلت البسيكولوجيا التقليدية: أليس ذلك لأنّها تموضعت تحت إمارة الأخلاق، ولأنها كانت تعتقد هى نفسها أيضاً، بتناقضات القيم الأخلاقية، وكانت تكشف، تقرأ، تمثل هذه التناقضات فى القول والفعل؟ ـ «المعجزة»، ألا يمكن أن تكون خطيئة تأويل، عيباً فيلولوجيا؟ ـ

ـ ٩ ـ

حتى الآن انحنى النّاس الأقوياء وباحترام شديد أمام القديس، أمام هذا اللغز، لغز الانتصار على الذات، لغز الانكار الأقصى والطوعى.. للذات. لماذا انحنوا؟ كانوا يشعرون فى هذا الرجل، ولجهة غرابة مظهره الهزيل والبائس، بطاقة متفوقة تنزع إلى تأكيد نفسها داخل ضغط مماثل، بقوة إرادة يستطيعون أن يتعرفوا فيها على قوة إرادتهم المحضة وعلى سعادة هذه الإرادة فى السيطرة: بتقديرهم للقديس، كانوا يقدّرون جزءاً منهم، يضاف إلى ذلك أن رؤية القديس كانت توحى.. إليهم بشكٍ ما: ليس بلا سبب ينبغى أن نطمح إلى عنف مماثل من النفى.. ومن ضد ـ الطبيعة! يقولون لأنفسهم حائرين. لابدّ أن هناك سبباً لذلك، خطراً كبيراً ربما يعرفه هذا الزاهد اكثر منا، بفضل النّاس الذين يأتون لتعزيته وزيارته سراً؟ بإيجاز، تعلّم اقوياء العالم من هذا القديس خوفاً جديداً، احسّوا بقوة جديدة، بعدوٍّ غريب لم يقهر بعد: وكانت «إرادة القوة» هى التى.. أجبرتهم على التوقف أمام القديس. كان عليهم أن يستجوبوه....

ـ١٠ـ

فى «العهد القديم» اليهودي، هذا الكتاب، كتاب عدالة الرب، نلاقى.. أناساً، أحداثاً وكلاما ذا أسلوب عظيم لانجد نظيراً له فى الأدب الأغريقى.. ولا فى الأدب الهندوسى.. تأخذنا الرعشة والاحترام أمام هذه البقايا العظيمة لما كانه الإنسان سابقاً ونستسلم لتأملات حزينة بصدد آسيا القديمة وشبه جزيرتها الصغيرة، أوروبا ، التى تدعى.. أنها تجسّد «تقدّم الإنسان». إذا لم نكن إلاّ حيواناً شحاباً مدجناً له حاجات حيوان مدجن (كمثقفينا اليوم، بما فيهم المتدينون «المستنيرون») فلن يكون لدينا موضوع للإعجاب والدهشة ولن يكون لدينا سبب للإهتزاز والاضطراب وسط هذه الخرائب. على مستوى الذوق، يمدنا العهد القديم بمعيار العظمة والسطحية الروحيتين. ورغم كلّ شيء قد يجد مُحْدَثُنا العهد الجديد، كتاب العفو، أقرب إلى قلبه (ففى.. أماكن عديدة منه تسود رائحة التملق، رائحةٌ ثقيلةٌ لمدندنين بالصلوات، رائحة نفوس صغيرة). أن يُضمّ إلى القديم هذا العهد الجديد، هذا الأثر ذوالذوق البالي، وعلى جميع المستويات، كى: يُخْلَقَ منهما مجموع واحد وكتاب واحد ـ الكتاب المقدس BIBLE ـ ربّما هذا هو أفحش واسفه شيء، أكبر «خطيئة ضد الروح» يعانى.. منها ضمير الأدب الأوروبي.

ـ ١١ ـ

لماذا الإلحاد اليوم؟ ففى اللّه دُحِضَ «الأب» و«الحكم» و«المثيب» دحضاً تاما. وكذلك دُحضت «مشيئته الحرّة»: لايسمع ولو كان يسمع لاستطاع أن يساعد. والأخطر هو التالى: يبدو أنه عاجز عن أن ينشر بشكل واضح، فهل يفتقر إلى الوضوح؟ هذه هى الأسباب التى اكتشفتها لتلاشى وزوال التوحيد فى أوروبا أثناء محادثات عديدة سألت فيها واصغيت بالتناوب. يبدولى أن الفطرة الدينية تشهد هبوباً قوياً، لكنها تدفع باحتراس شديد خمول التوحيد

ـ ١٢

تنظيم الطاعة الدينية وفق سلّم طويل ذى درجات متعددة، لكن فيه ثلاث درجات أساسية. قديما، كانت تُقدّم للرب كائنات بشرية كقرابين، وربما الكائنات التى نحبها أكثر من غيرها: ومن هنا التضحية بالمواليد ـ البكر فى جميع الديانات القديمة، ومن هنا أيضاً التضحية التى قدّمها امبراطور TIBBERE فى مغارة الإله MITHRA بـ «Capri»، أغبى مفارقة فى التاريخ الرومانى كلّه. بعد ذلك، وفى عصر الإنسانية الأخلاقى..، صرنا نقدّم للرب الغرائز الأقوى، و«الطبيعة» نفسها. الفرح بهذا العيد هو الذى يلمع فى عينى.. المتدين الفظيعتين، عينى.. العدو اللدود، عدوّ الطبيعة الإنسانية. ما الذى كان يمكن أن يتبقى كى.. نقدمّه قرباناً وأضحية؟ ألم يكن واجبناً فى النهاية أن يضحّى بكلّ ما يعزّى.. ويؤاسى، بالقديس، بالمنقذ، بكل أمل، بكل إيمان بانسجام خفى...، إيمانٍ بنعيمٍ وعدالة مستقبليين؟ ألم يكن واجباً أن يُضحى بالرب نفسه على سبيل ممارسة الفظاعة تجاه الذات، أن يُعْبَدَ الحجر، الحماقة، البلادة، القدر، العدم؟ أن يُقدّم الرب قرباناً للعدم، هذا الغيب المتناقض، غيب الفظاعة القصوى، هوما احتُفظ به من أجل الجيل الذى.. يكبر الآن: جميعنا يعرف حول هذا الجيل شيئاً ما.

ـ ١٣ ـ

هل لوحظ بما فيه الكفاية ضرورة البطالة أو نصف ـ البطالة لحياة دينية حقيقية ولشغلها المفضّل ـ أى فحص الشعور بالمجهر ـ ثم ضرورتها للتوكل المعقد الذى يُسمّى «صلاة» حيث تأخذ النفس وباستمرار حالة الاستعداد «لمجىء اللّه»؟ أفكر بالبطالة التى لايتبعها ندم ولا تبكيت ضمير، بطالة وراثية جاءت مع الدم ولا تدفع الشعور الارستقراطى.. الذى بسببه ينحطُ العمل مُهيناً الجسدَ والروح. بالنسبة إلى بطالة مماثلة، ليس الاستبسال فى العمل ـ استبسال يسمُ الحياة الحديثة، وهو هذا النشاط الصاخب الذى يلتهم الوقت

ويتعز بنفسه إلى درجة الجنون ـ شيئاً آخر إلاّ مدرسة «للكفر». هكذا، في المانيا [طبعا في زمن نيتشه. م] وبين الذين يعيشون على هامش الدين، يمكن أن أجد «المفكرين الأحرار»، مفكرين من جميع الدرجات ومن جميع الأصول، لكن أجد أيضاً، وتحديداً، غالبيةً من النّاس الذين قوّضت عادة العمل عندهم، ومن جيل إلى آخر، الغرائز الدينية لحدّ أنهم صاروا يجهلون مافائدة الديانات ويكتفون بتسجيل حضورهم في العالم بنوعٍ من الدهشة الخامدة. هؤلاء الناس مشغولون إما بأعمالهم وقضاياهم وإمّا بلذاتهم، هذا دون الكلام على «الوطن» والصحف و«الواجبات العائلية». يبدو أن لاوقت لديهم من أجل الدين، ولا يعرفون إن كان الأمر يتعلق هذا بعمل جديد أو بلذة جديدة، لأنهم يقولون لأنفسهم: من غير المعقول أن نذهب إلى الكنيسة لغاية واحدة هي فساد المعنويات والأخلاق. ليس هؤلاء الناس أعداء الممارسات الدينية، ويطلب إليهم أن يشاركوا فيها، مثلاً أثناء المناسبات الرسمية، يفعلون مايطلب إليهم ـ كما نفعل أشياء أخرى كثيرة ـ بجدية ، ببرودٍ وتواضع، دون فضولية كبرى أو انزعاج كبير. يعشون خارج وعلى هامش الدين، فلا يشعرون بحاجة إلى الوقوف ضد أو مع. تشكّل اليوم غالبية البروتستانت الألمان، ألمان الطبقات المتوسطة، جزءاً من هؤلاء اللامكترثين، ولا سيما في المراكز التجارية الكبرى. ولا بدّ أن نضيف إليهم غالبية الباحثين وكلُّ الجامعة، باستثناء التيولوجين الذين يُقدّم وجودهم وحضورهم في هذا الوسط إلى البسيكولوجي.. الغازاً أكثر عدداً وتعقيداً. المتدينون أو حتى المتعلقون بالكنيسة لايفهمون، إلاّ نادراً، حجم الإرادة الطبيعية ـ ويمكن القول الكيفية أيضاً ـ الذي يلزم مفكراً ألمانياً ، اليوم، كي يأخذ مشكلة الدين مأخذ الجد. يميل من خلال ممارسته العملية (وكما قلت سابقا، من خلال النشاط الجاد الذي يدفعه إليه وعليه الحديث) إلى انفصال أقصى ومتسامح عن الدين، وهذا شعور يختلط به ازدراء خفيف «للقذارة» الثقافية التي يفترضها عند جميع الذين لايزالون يتمسكون بالكنيسة. إن رجلاً من هذا النوع لايتوصل إلى

الشعور الجدى.. باحترام الديانات وتقديرها تقديرا مشوبا بالخوف إلاّ باللجوء إلى التاريخ (وليس انطلاقاً من تجربته الذاتية). لكن هل يسمو بهذا الشعور لحد الاعتراف! إن كينونته لن تقترب خطوة واحدة مما يتبقى من الكنيسة أو من التدين: ربّما العكس قد يكون هو الصحيح. الممارسة اللامكترثة بالأشياء الدينية التى ولد ونشأ فى وسطها، تتسامى عنده بشكل عادى.. وتتحول إلى رصانة وذوق فى النظافة، فيرتاب الاحتكاك بالنّاس وبالأشياء المكترسة للدين. قد يكمن فى هذا غنى تسامحه وعمق إنسانيته الذى.. يجعله يهرب من العذاب الذى يحتوى عليه التسامح. لكل عصر بساطته الإلهية النظيفة التى تثير غيرة عصور أحرى: أية بساطة رائعة، صبيانية، وكثيرة الغباء، لاتدخل فى إيمان هذا العالم بتفوقه، لاتدخل فى وعيه الطيب الذى يكتسبه من تسامحه، لاتدخل فى التأكيد الأعمى والساذج الذى ومن خلاله يعتَبرُ الإنسان الدينى..، وبشكل عريزي، فرداً دونياً تجاوزه من زمن بعيد ـ هو هذا الصغير المدعي، العامي، العامل النشيط المثقف وموجز «الأفكار»، جميع «الأفكار الحديثة»!

ـ ١٤ ـ

الفيلسوف كما نفهمه، نحن أصحاب الأذهان الحرّة، هو الإنسان الذى تقع على عاتقه أكبرو المسئوليات ويشعر بأنه مسئول عن تطور الإنسانية الكلي. إن هذا الفيلسوف سيستخدم الديانات من أجل عمله الاصطفائى.. والتربوي، كما يستخدم الظروف السياسية والاقتصادية السائدة. فالفعل الاصطفائى..، التربوى، يعنى الفعل التقويضى بمقدار ماهو إبداعى..ـ خلاق وتكويني،... الذى يمكن أن يمارسه بفضل الديانات هو فعل متنوع وذو صيغ متعددة، وذلك وفقاً لنوعية الناس الموضوعيين تحت سيطرتها وهيمنتها. إنّ الدين بالنسبة إلى الأقوياء، إلى الأفراد المستقلين، المحضّرين والمرصودين للقيادة، وبالنسبة إلى الذين يتجسد فيهم العقل وفن العرق المسيطر هو وسيلة إضافية لقهر المقاومات وللتمكن من السيطرة، هو رابط يوحد الأسياد والتابعين، يكشف ويقدّم لأولئك

ضمائر هؤلاء، حميميتهم الخفية التى قد ترغب بالتملّص من الطاعة. وإذا تواجد أفراد من هذه الطبيعة الارستقراطية، أفراد يكرسون أنفسهم عبر روحانيتهم العالية، لحياة أكثر خلوة وتأملاً، ويحتفظون بأنفسهم من أجل العالم الأكثر رهافة فى السيطرة، محيطين أنفسهم بتلامذة مختارين أو بإخوة من مستواهم، فإن الدين نفسه سيكون بالنسبة إليهم وسيلة للإحساس بالبعد عن ضجيج وقرقعة السيطرة الفظة الخشنة، وسيلة للحفاظ عى النفس نظيفة من الوسخ الضرورى.. الذى تتطلبه كلُّ سياسة عملية. هكذا فهم الأمر البرهميون الهندوسيون مثلاً: بفضل التنظيم الدينى اكتسبوا المقدرة على تسمية ملوك للشعب، فى حين هم أنفسهم بقوا وشعروا أنهم خارج هذه العوارض والاحتمالات، بصفتهم أناساً مرصودين لمهمات أكثر علواً وأكثر إطلاقاً. ومن ناحية أخرى، يقدّم الدين إلى بعض التابعين والمرؤوسين فرصة اعداد الـ ات للقيادة وللسيطرة اللتين قديما يمارسونها ذات يوم. أريد الحديث عن هذه الطبقات التى تصعد بهدوء والتى لاتتوقف فيها ـ بفضل ممارسات زواجية ناجحة ـ قوة ولذة الإرادة، إرادة السيطرة على الذات عن تأكيد نفسها باستمرار. يقدّم الدين لهذه الطبقات الفرص والإغراءات للإلتزام بالسير فوق طرق روحانية أكثر ارتفاعاً، ولاختبار فضائل تجاوز الذات، فضائل الصمت والعزلة. إن تربية وتنبيل (جعله نبيلاً) عرق يريد الاعتلاء فوق أصله العامى ـ السوقى.. والاستعداد لسطيرته المستقبلية يمدّان بالضرورة عبر نزعتى التقشف والطهورية. واخيراً، يقدّم الدين افضل ماالديه إلى العامة، إلى الجماهير الأكثر عدداً، إلى هؤلاء الذين لايعيشون ولا ينبغى.. أن يعيشوا إلاّ من أجل أن يخدموا ويكونوا مفيدين للصالح العام، إذ يجعلهم سعداء من مصيرهم ومن أحوالهم... يقدّم لهم الدين وبطرق متعددة سلام القلب ويجعل طاعتهم نبيلة، يتيح لهم أن يشعروا بسعادة أكثر مع أشباههم. إنّه يغير، يزخرف ويسوّغ كلّ حياتهم اليومية، كلّ حقارة وبؤس أنفسهم، البؤ س النصف حيوانى.. ينشر الدين

والمعنى الديني.. للحياة شعاعاً من الشمس على هؤلاء النّاس المهانين دوماً ويجعلهم أقدر على تحمل مظهرهم المحض. يؤثر فيهم الدين كما اعتادت الفلسفة الأبيقورية أن تؤثر على المرضى، مرضى ظرف وحالة أكثر تعقيداً: ينعش ويُعزى.. ينقى... يخفف من الألم إلى حد كبير، وفى النهاية يقدّسه ويسوغه، قد لايوجد فى المسيحية والبوذية شيء يستحق الاحترام أكثر من هذا الفن، فن تلقين المهانين والأذلة أن يرتفعوا عبر الشفقة والرحمة إلى مستوى واقع وهمى.. وعالٍ، وبالتالى.. أن يخضوا للنظام الحقيقى.. الذى يعيشون فيه بشكل قاس جداً، قساوة هى ضرورية لهم بالتحديد.

ـ ١٥ ـ

بالنتيجة، وكى نضيء الجانب الآخر من الميدالية ونبين مافى.. الديانات من أذى وضرر، ينبغى.. القول إننا ندفع باستمرار وبشكل مرعب الثمن غاليا، ثمن كون الديانات ليست وسائل اصطفا؟ء وتربية بين أيدى.. الفلاسفة، لكنها تصبو إلى السيطرة بلامنازع. ندفع غالياً ثمن كونها تدعى.. أنها غايات بذاتها وليست من جملة الوسائل الأخرى. نجد لدى النوع البشرى.. كما لدى جميع الأنواع الحيوانية الأخرى فائضاً من الكائنات المرصودة للألم. فالنجاحات بين النّاس ليست إلاّ استثناءً نادراً جداً، باعتبار أن الإنسان هو الحيوان الذى تحدد بعد طبيعته الخاصة وبدقة. لكن هناك أسوأ: كلّما كان النموذج الإنسانى.. الذى يمثله فرد ما مهفهفاً ـ منقى، كلّما أصبح النجاح أقل احتمالا. تمارس المصادفة والعبث اللذان يسودان اقتصاد الإنسانية العام تأثيراتهما الأكثر قدرة فى التهديم على النّاس النخبة الذين تخضع حياتهم لظروف دقيقةمعقدة وصعبة التحديد. ماهو السلوك الذى تتبعه الديانتان اللتان سميناهما سابقاً (المسيحية والبوذية) ـ أكبر ديانتين على وجه الأرض ـ فى مواجهة هذا الفائض من الفشل؟ تحاولان أن تحافظا ، أن تبقيا على قيد الحياة كلّ مايمكن أن يحفظ حياً، وأكثر من ذلك:

تقفان إلى جانب هذه الكائنات وقوفاً جذرياً. وذلك لأنهما ديانتان لصالح المعذبين والمقهورين. تجعلان الحق مع جميع الذين يعانون من الوجود وكأنه مرض، ويريدون السلوك بحيث يكون كلُّ مفهوم أخر للحياة غير ممكن وغير صحيح. ومهما أعلينا من شأن هذا الاهتمام بالحماية وبالحفاظ ووضعناه في إطار يستطيع من خلاله أن يفيد النموذج الإنساني المتفوق الذي كان ولحد الآن الأكثر تألماً، فإن الحوصلة النهائية تبين أنَّ الديانات السائدة بلا منازع أسهمت إلى حد كبير في الحفاظ على النموذج «الإنسان» في مستوى أدنى، لأنها احتفظت بكثير جداً من الكائنات التي كان ينبغي.. أن تفنى.. لاثمن للمنافع التي ندين بها للديانات، إنها منافع فوق كلّ ثمن! إن أغنى الأغنياء بالشكر والعرفان سيشعر بالفقر تجاه مافعله «رجال الكنيسة» من أجل أوروبا! عندما كانوا يواسون المعذبين ويشدون من عزم المضطهدين واليائسين، يدافعون عن المعتوهين الضعفاء، يقدمون للمصابين بعقولهم وللحمقى ملاذ الأديرة أو الملاجيء... فماذا وجب عليهم أن يفعلوا أكثر من ذلك وأن يعملوا بنية طيبة من أجل الحفاظ على جميع الكائنات المريضة والمتألمة... يعني...، واقعا وحقيقة، ماذا وجب عليهم أن يعملوا أكثر من أجل إتلاف العرق الأوروبي؟ أن يقبلوا جميع القيم رأساً على عقب، هذا ماوجب عليهم فعله! كبح الأقوياء، إضعاف الآمال الكبرى، تشويه السعادة الآتية من الجمال، تشويش كلّ ماهو اعتزازي، رجولي، فاتح، مسيطر، تشويش جميع الغرائز التي تنتمي إلى النموذج الإنساني.. الأكثر تفوقاً واكتمالاً، وذلك بأن يدخل إليها الشك وعذابات الضمير، ولذة تحطيم النفس، تحويل كلّ ارتباط بالأرض والسيطرة عليها إلى كره الأرض والأشياء الأرضية! هذه هي المهمة التي اضطلعت بها الكنيسة والتي كان يجب أن تضطلع بها كي.. تفرض في النهاية نظام قيمها حيث تمتزج أفكار «هجران العالم»، ولو كنا نستطيع أن نرى دفعة واحدة وبنظرة إله أبيقوري ساخرة وغير مكترثة، الملهاة الغريبة، فسوف لن ننتهي من الضحك والاندهاش: وكانت تقوم على تحويل

الإنسـان إلى سـقـط شـفـاف؟ لكنْ مَنْ يقـتـرب مـن النمـوذج الإنسـان المنهـجّن والمصـغـّـر الذى يمثله الأوروبى المسـيـحى (باسكال مـثـلاً)... يقـتـرب بشـروط معـاكسـة، وليس بصـفـته أبيقـورياً، بل مسلحـاً بمطرقة ربانيـة... ألن يجد مـبرراً مليئا بالغضب والشـفقة والخـوف: «أغبـياء! أيُّها الأغـبياء المغـرورون والمشـفـقون، ماذا فـعلتمـو. أكان يوجـد هنا، وفى هذا، عمل تـقـوم به أياديكم؟ لشـدّ ما أفسـدتم أجـمـل أحـجـارى.. وضـربتـمـوها! مــاذا جنيـتم من وراء ذلك؟». أريد القـول: إن المسيحية كانت من أخطر صيغ الادعـاء والغرور. اناس ليسوا عظاماً ولا قساة بما فـيه الكـبـاية كى ..يحق لهـم صيـاغـة وتكـوين الإنسـان باعـتـبـارهـم فنانين. أناس ليـسـوا أقـوياء ولا شـفـافين بما فيـه لكفـاية كى يتيـحـوا للقـانون الأوّلى أن يمارس عـمله، وهو الـقـانـون الذى يقـتـضـى.. وجـود عـدد لايحـصـى مـن الإخـفـاقـات والاحـبـاطات. أناس لـيـسـوا ارسـتـقـراطيين كـفـاية كى يدركـوا تراتبـيـة الكائنات والهاوية التى تفصل بين إنسـان وآخـر. هؤلاء هـم الذين وبمفـهوم واسـم «المساواة أمام الله» تحكموا حتى أيامنا هذه بمصير أوروبا، إلى أن حصـلـوا أخيراً على نوع بشرى مـحقّرٍ، مضحكٍ، حيوان قطيعى... مرضـى..ومسـطح أوروبىّ.. اليوم...

ـ ١٦ ـ

إن حـبَّ كـائـن واحـد شــىء بربرى...، لأنه يتم عـلى حسـاب الآخـرين. حـتى حب الله.

ـ ١٧ ـ

فى زمن السـلام يقـع الإنسـان المحارب فريسـة نفسـه.

ـ ١٨ ـ

تصلح المباديء لاضطهـاد العادات أو لجعلها شـرعية أو لتقـريظها أو لجلدهـا أو لإخفائها. ولهذا فالرجلان اللذان يؤمنان بالمباديء نفسـها ربّما يطمـحان إلى نتيجة متناقضة كلياً.

- ١٩ -

الشيء الذى يصير واضحاً يكفُّ عن أن يتعلق بنا. - ماذا كان يريد الرب الذى أعطى هذه النصيحة: «اعرف نفسك بنفسك؟». لعلَّ هذا كان يعنى..: «كفَّ عن الاهتمام بنفسك، كن موضوعياً!» وسقراط؟ و«رجل العلم؟».

- ٢٠ -

من الفظاظة أن تموت عطشاً وسط البحر. إذن، هل ينبغى أن توسخوا حقائقكم لدرجة أنها لاتصلح من أجل إطفاء العطش؟

- ٢١ -

تبدأ المرأة بتعلم الحقد عندما تنسى علم الإغراء.

- ٢٢ -

كلام رجل خائب. - «كنتُ أصغى.. للصدى ولم أسمع غير المدائح -».

- ٢٣ -

الخطر فى السعادة. - «كلُّ شيء يدور الآن لصالحى..، والآن أحبُّ أى قدر: فمن يرغب بأن يكون قدرى..؟».

- ٢٤ -

ليس هناك ظواهر أخلاقية، بل هناك تأويل أخلاقى.. للظواهر. -

- ٢٥ -

من يشعر أنه مرصود للرؤية لا للإيمان، يجد أن جميع المؤمنين يقرقعون كثيراً ولا يحترمون الكتمان: لذا يحمى.. نفسه منهم.

- ٢٦ -

للشيطان حول الله رؤى واسعة وكثيرة، ولذلك يبقى بعيداً جدا. الشيطان: أقدم صديق للمعرفة.

- ٢٧ -

الإنسان الذى لايعرف أن يجد طريق مثاله يعيش حياة أكثر طيشاً وتغطرساً من الإنسان الذى لا «مثال» له.

- ٢٨ -

حينما تظهر امرأة ميلاً إلى العلم، فهذا يعني.. أن شيئاً مافى الناحية الجنسية عندها غير طبيعى وأعوج. العقم مثلاً يرد إلى رجولية مافى الميل والذوق. الرجل هو واقع،، ومع الاعتذار، «الحيوان العاقر» .ان من يصارع وحوشاً، عليه الاحتراس من الا يصبح هو نفسه وحشاً. وإذا نظرت إلى الهاوية طويلاً فإن الهاوية تنظر إليك أيضاً.

- ٢٩ -

إن من يصارع وحوشاً، عليه الاحتراس من الا يصبح هو نفسه وحشاً. وإذا نظرت الى الهاوية طويلاً فإن الهاوية تنظر إليك أيضاً.

- ٣٠ -

اليهود - الشعب «المولود لأجل العبودية»، كما يقول تاسيت Tacite ومعه كامل العصور القديمة، الشعب «المختار من بين الأمم» كما يقولون ويعتقدون هم أنفسهم -... نقول اليهود نجحوا نجاحاً بارعاً فى قلب القيم ولآلاف السنين أعطت الحياة الأرضية جاذبية جديدة وخطيرة: مزج أنبياؤهم بأمة واحدة «الغنى»، «الملحد»، «الشرير»، «العنيف»، «الجنسي»، ولأوّل مرّة أعطوا معنى شائناً لكلمة «عالم». هذا القلب للقيم (قلب يريد أن يكون «الفقير» مرادفاً لـ «القديس» ولـ«الصديق») هو الذى يكوّن أهمية الشعب اليهودى: معه يبدأ - وداخل النظام الأخلاقى - عصيان العبيد.

إن المخـاطر التى تـهـدد تـطوّر فـيلسـوف مـاهـى من الكثـرة بحـيث يحـق لنا التسـاؤل: هل بمقدور هذا الكائن أن يصـل إلى مرحلة النضـوج، لأن صرح العلوم قـد أخذ أبعـاداً هـائلة. ينـتج عن ذلك أن الفيـلسوف يخـاطر بأن يتـعب وينهك ولمّـا ينتهِ بعـد من الدراسة، أو من التوقف عند هذه النقطة أو تلك أو من «التـخصص»، بحيث يتخلى، فى النهاية، عن بلـوغ القمة، أى عن بلـوغ المكان الذى قد يكشـف له كلّ الأفق، المكان الذى قد يرى منه الأشـيـاء، يراها من الأعلى إلى الأسـفل. أو لعله يبلغ هـذه القمـة متأخراً جـداً، وذلك عندما تمضـى أفضل سنواته وأفـضل قواه، أو قـد يبلغـهـا واهـن الذهـن، أقل صـفـاء وقـيـالاً إلى الأفـول بحـيث أن رؤيتـه وجـملة أحكامه لاتعودان تعنيـان شيئا ذا أهمـيـة. لعلّ دقة وعيه الثقـافى التى تجعله يتردد فى الطريق وتؤخره. يخاف من التحول إلى هاوٍ، يخاف من التدخل فى كلّ شيء، يعـرف أكثـر من الضـرورى أن الإنسـان الذى يفـقـد احـتـرام نفـسـه، يفـقـد أيضـاً سلطتـه فـى مـجـال المعـرفـة، ولا يعـود يـسـيطر إلاّ إذا رضـى بأن يثـيـر مـهـرّجـاً، كاغليسترو Caglisstro الفلسفة ومشعوذاً، باختـصـار دجالا. والقضـية فى النهاية قضـية ميـل وذوق، قضـيـة وعى. لكن مايزيد صـعـوبات الفيلسـوف هـو أنه يطلب من نفسه حكماً يثبت أو ينفى ليس فيما يتعلق بالعلوم لكن فيمـا يتعلق بالحياة وقـيمـة الحـيـاة، هـو أنه يقنع نفـسـه بصـعـوبة أنه على حق، أو يقـنـع نفـسـه بواجب إطلاق حكم مماثل وأنه لكى يتوصل إلى هذا الحق وإلى هذا الإيمان، عليه أن يشق طريقـه، ليس بلا تردد، عبـر التجـربة الأكثـر اتسـاعـاً وربما الاكثر تأثيرا وتهديما .

والواقع إن الجماهير تجاهلت الفيلسوف طويلا ، خلطته تارة برجل العلم والعالم المثالي ، وتارة بالمتصـوف المعظم الذي يسكر بالله ، ينفـصل عن حـواسـه ويبـتـعـد عن «العـالم » . عندما يقال *اليوم* : إن فلانا يعيش «حكيما » أو «فيلسوفاً » ،فالمديح لايعني أكثر من هذا :«إنه إنسان رزين عاقل ، يحفظ نفسه من الاخرين . الرزانه بالنسبة الى الشعبي هي نوع من الهروب ، وسيلة وفن التخلص بلباقة من الالعاب الخطيرة . لكن الفيلسوف الحقيقي –

أليست هذه مشاعرنا ياأصدقائي ؟ - يعيش حياة «غير فلسفية » و«غيررزينة» يعيش حياة غيرعاقلة . يضطلع بثقل وبواجب مئات التجارب ، ومئات الاغراءات الحياتية : يخاطر بنفسه باستمرار ويلعب اللعبة الخطيرة دوما .

-٣٢-

عندما يشيع فيلسوف عن نفسه أنه غير شكوكي (....) نلاحظ ذلك على مضض وننظر اليه بشئ من التفهم والإدراك وقد يكون هناك كثير من التساؤلات . وبدءا من تلك اللحظة تعتبره الأذهان المتدينة - وهى جحافل هذه الايام - خطيرا . فعندما يسمعون أنه يطرح جانبا مذهب الشكوكية والارتياب ، يعتقدون أنهم يشاهدون بعيدا رأيا ، إشاعة خطيرة ، يشعرون أن هناك من يجرب متفجرات جديدة ، أن هناك ديناميتا ثقافيا ، وربما عدمية روسية تم اكتشافها مجددا ، تشاؤمية لاتكتفى - وياللهول - بالكلام سلبيا ، بالارادة سلبية ، وإنما تتصرف بشكل سلبى أيضا . ضد هذا النوع من «الارادة الطيبة» - هذه الارادة ، إرادة نفي الحياة واقعا وفعلا - لايوجد دواء منوم ولامخدر رائع أفضل من الشكوكية ، ومن خشخاش الشكوكية الوديع ، الخير ، الملين ، وحتى هاملت سوف يحذره أطباء عصره من «الذهن» ومن مكائده الخفية . يقول الشكوكي الذى يريد الهدوء كما يريده تقريبا شرطي المدينة «أتطن آذاننا بالاشاعات والوشوشات ؟ هذه الـ «كلا» السردابية مرعبة . صمت فى النهاية ، فئران عمياء متشائمة !» الشكوكى ، هذا المخلوق المعقد ، يخاف بسرعة ، يتأهب وعيه حالا للارتجاف أمام أية «كلا» ، لابل أمام اى «نعم» مطلقة وقاسية . يشعر فى ذلك بما يشبه اللدغ . الـ «نعم» أو الـ «كلا» اعتداء على أخلاقه . بالمقابل يجب أن يلتف باستنكافه وأن يعلن مع مونتانى :«ماذا أعرف ؟» ، أو مع سقراط : «أعرف أننى لا أعرف شيئا» أو «لاجرأة لى ، لاأرى أى باب ينفتح» أو «أيوجد باب مفتوح ، وهل من الضروري الدخول ؟» أو «مافائدة هذه الفرضيات الابتسارية ؟ قد يكون من الافضل ألا نقدم فرضيات نهائيا . أينبغي أن تقوّموا بأى ثمن ماهو معوج ؟ أن تسدّوا أى ثقب بأية خرقة ؟ أليس عندنا وقت ؟ الوقت ليس لديه وقت ؟ ألا يمكنك الانتظار أيتها

العفاريت الملعونة ؟ للارتياب سحره أيضا ...» . هكذا يؤاسي الشكوكي نفسه ويحتاج الى ذلك . الشكوكية هي التعبير المثقف بامتياز ، التعبير عن بنية بسيكولوجية منتشرة جدا تسميها اللغة السائدة بالخور العصبي وحماقة مرضية، تتجلى هذه البنية عندما تتقاطع أثنائها وفجاءة أعراق أو طبقات منفصلة من زمن طويل ، تتلاقى وتتقاطع بشكل حاسم . يستقبل دم السلالة الجديدة ويتلقى إرث عادات وقيم مختلفة ، كل شئ هيجان ، اختلال ، شك ، نزوع ، أفضل الطاقات تشتغل بصفتها منعا وكبتا ، حتى الميزات تتناقض ويضعف بعضها الاخر ، الاجسام والأرواح لاتعرف توازنا ولامركز ثقل ولا انتصابا عموديا . لكن الارادة هي مايصاب لدى مثل هؤلاء الهجناء هي مايتدنى ويتلف بشكل عميق : لقد فقدوا حس اتخاذ القرار المستقل ، حس أن يروا – يشكون بـ «حرية اختيارهم» حتى في الاحلام . ولهذا فإن أوربا المعاصرة [بالطبع زمن نيتشه أواخر القرن التاسع عشر م.] مسرح محاولة سريعة بشكل جنوني لخلط الطبقات وبالتالي السلالات خلطا جذريا ، أوربا هذه هي شكوكية من العمق الى السطح . تارة شكوكية هشة تقفز بتلهف ، بخلاعة من فرع إلى فرع ، تارة شكوكية تهتز كغيمة محملة بالتساؤلات لأنها تعبت من إرادتها ، إرادة أن تموت بسبب ذلك . شلل الإرادة : أين لانجد اليوم هذا القاصر ! وفي أية ثياب ، ثياب مغرية ! لقد خيط لهذا المرض أرقى ثياب الكذب . إن أغلب مايعرض في الواجهات اليوم تحت أسماء «موضوعية» ، «روح علمية» ، «الفن للفن» ، «معرفة محضة وغير ذاتية» ليس إلا شكوكية مزخرفة وبلاده مقنعة : هذا هو تشخيص المرض الأوربي ، تشخيص أنها ضحانه وأنا مسؤول عنه . إن مرض الإرادة منتشر في أوربا أيضا : يتجلى بقوة وتنوع هناك حيث انزرعت الحضارة منذ آلاف القرون ، يخف ويتلاشى هناك حيث لايزال – أو يأخذ – «البربري» يمارس قانونه بثياب الثقافة الغربية . وهكذا مثلا نستطيع الاستنتاج أنّ الارادة في فرنسا الحالية هي الاكثر مرضا . ففرنسا التي عرفت باستمرار واستطاعت بمهارة أن تقلب أشأم ميول عبقريتها الى إغراءات وجاذبية .. تؤكد اليوم أكثر من أي وقت آخر تفوقها الثقافي في أوربا ، إذ تقدم نفسها مدرسة ومخزن جميع أنواع الشك . قوة أن

نريد ، وأن نريد لوقت طويل هى أكثر صلابة فى ألمانيا ، أكثر قوة فى ألمانيا الشمالية منها فى ألمانيا المركزية ، أكثر قوة بكثير فى انكلترا ، فى اسبانيا وفى كورسيا ، ترتبط تارة بالبرودة ، وتارة بالعناد ، هذا كي لانقول شيئا عن ايطاليا التى لاتزال شابة بحيث لاتعرف ماذا تريد والتي ينبغى أن تثبت أولا أنها تعرف أن تريد . لكنها الأكثر قوة وإدهاشا داخل هذه الامبراطورية الواسعة ، امبراطورية الوسط ، حيث ترتد اوربا فى اتجاه آسيا وروسيا . هناك تكومت طاقة الإرادة منذ زمن طويل ، هناك تنتظر مهددة - لكي تؤكد أو تنفي ، لانعرف لحد الآن - تنتظر أن تتحرر كى تستعيد من فيزيائى اليوم كلمتهم الفصل . قد لاتكون الحروب فقط ضرورية ضد الهنود وبلبلات فى آسيا كى نخلص أوربا من أكبر خطر يهددها ، بل لابد من اضطرابات داخلية وتفجير الامبراطورية الروسية الى مجموعة دويلات صغيرة ، ولابد قبل كل شئ من إدخال الحماقة البرلمانية المتصلة، ويجب أن يقرأ كل واحد جريدته أثناء الفطور الصباحي . ليست هذا ماأتمناه وحسب ، بل أتمنى العكس ، لأن تطورا مماثلا للخطر الروسى سيجبر أوربا على أن تصير هى الاخرى خطرا ، وعلى أن تصطنع إرادتها المحضة ، عبر طبقة اجتماعية جديدة تسود أوربا ، إرادة مرعبة وقادرة على تحديد أهدافها لآلاف السنين . هكذا قد تنتهى أوربا ، مرة واحدة والى الأبد ، من هذه الكوميديا المطولة جدا ، كوميديا انقسامها الى دويلات صغيرة . ومن اختلافاتها الهشة ، الملكية أو الديمقراطية . لقد انتهى زمن السياسة الصغيرة : فالقرن المقبل [اى القرن العشرين م] سيأتى بالكفاح من أجل السيطرة الشمولية - واجب سياسة كبيرة .

وأخيرا ، لنتوقف عن هذا الخلط بين عمال الفلسفة ورجال العلم من جهة وبين الفلاسفة من جهة أخرى . ومن المناسب هنا أن نعطى بدقة «لكل حقه» ، لا أن نكثر لأولئك ولا أن نقلل لهؤلاء . قد يكون ضروريا للفيلسوف ومن أجل ثقافته أن يمد عبر درجات مختلفة حيث توقف موظفوه ، أى عمال الفلسفة العلميين ، وحيث يجب أن يتوقفوا ربما وجب عليه هو نفسه أن يكون ناقدا ، شكوكيا ، دوغمائيا ، مؤرخا وعلاوة على ذلك شاعرا ، مجمعا ، رقالة ، فكاك أحجيات ، أخلاقيا ، رائيا ، «ذهنا متحررا» ، وربما وجب أن يكون

كل شئ كى يقدر على طواف دائرة القيم بتمامها وجميع مشاعر القيم الانسانية ، وعلى النظر الى الاشياء من خلال جميع انواع العيون والشعور . من الأعلى ينظر الى كل ماهو بعيد ، من الاسفل ينظر الى جميع القمم ، من الجانب ينظر الى جميع الاتجاهات . لكن ليست هذه إلا شروطا مسبقة ، لأن مهمته نفسها تتطلب شيئا آخر ، تتطلب منه أن يخلق قيما . على عمال الفلسفة المنسوجين وفق النموذج الكانطى أو الهيجلى أن يقيموا وأن يصوغوا – سواء على مستوى المنطق والسياسة (الأخلاق) أو على المستوى الجمالى ، كما كبيرا من الأحكام التقويمية ، يعنى القيم التى فرضت سابقا والتى سادت وسميت «حقائق» لزمن معين . من واجب هؤلاء الباحثين أن يوضحوا جميع الحوادث والاحكام السابقة ، أن يجعوها معقولة . محسوسة ، قابلة للاستخدام ، أن يختصروا المطولات ، أن يختصروا «الزمن» وأن يسيطروا على الماضى : مهمة هائلة ورائعة وفى خدمتها سوف تجد الارادات الصلبة فائدة كبرى . لكن الفلاسفة الحقيقيين هم الذين يأمرون ويشرعون : يقولون «سيكون هكذا !» ، يحددون اتجاه وغاية الانسان ، وفى سبيل ذلك يتصرفون بالعمل التحضيرى لجميع عمال الفلسفة ، بأعمال جميع الذين يسيطر علمهم على الماضى . فى اتجاه المستقبل يمدون أيادى مبدعة . كل ماهو كائن ، كل ماكان يصير بالنسبة اليهم وسيلة ، أداة ، مطرقة . «معرفتهم» إبداع ، ابداعهم تشريع ، ارادتهم للحقيقة هى ارادة قوة . فهل يوجد اليوم فلاسفة من هذا النوع ؟ هل وجد مثلهم ؟ الاينبغى أن يوجد أمثالهم ؟

يزداد شعورى بضرورة أن يجد الفيلسوف نفسه ، بصفته رجل الغد وبعد الغد ، وكان ينبغى أن يجد نفسه فى أى عصر من العصور فى تناقض مع الحاضر . إن جميع المروجين للانسانية الذين نسميهم فلاسفة والذين قلما آمنوا أنهم «أصدقاء الحقيقة» ، لكنهم مجانين مزعجون وأحجيات خطيرة ، جعلوا مهمتهم القاسية ، الاجبارية ، المحتمة فى هذا الطموح : أن يصيروا ضمير عصرهم ، ذلك الضمير الاثم الخاطئ ، وذلك بنقد وتشريح فضائل عصرهم ، بخيانة اسرارهم الخاصة : يتصرفون على هذا النحو كى

يعرفوا عظمة جديدة للإنسان وكى يكتشفوا طريقا غير معبدة تقود الى ازدهاره وإغنائه .
لقد رأوا دوما مايختبئ بصفته إدعاء ، ارتياحا أخلاقيا ، إهمالا و بلادة ، باختصار ، رأوا
كل مايختفى بصفته كذبا فى مثال عصرهم الاخلاقى ، وكم كانت كثيرة الفضائل
المستهلكة . وفى كل مرة كانوا يقولون : «علينا أن نذهب إلى أبعد من ذلك الى هناك حيث
تشعرون – أنتم أناس اليوم – أنكم لستم فى بيوتكم» . فى مواجهة عالم «أفكار حديثة» ،
عالم يريد أن يحدد كل فرد فى زاوية وفى «اختصاص» ، قد يضطر الفيلسوف – إذا كان
هناك فلاسفة اليوم – الى جعل عظمة الإنسان ، ومفهوم «العظمة» فى اتساع وتنوع الذهن
والروح ، وفى كلية قوامها الكثرة : لابل قد يحدد مرتبة وقيمة إنسان ما وفقا لاتساع
وتنوع مايستطيع هذا الانسان أن يتحمله ويضطلع به ، وفقا للأهمية التى يستطيع أن
يمنحها لمسؤوليته . إن ذوق العصر اليوم وفضائله توهن الإرادة . لاشئ اكثر انتشارا من
ضعف الإرادة فى أيامنا : بالتالى ، يجب فى تصور الفيلسوف على طاقة الإرادة والحزم
والاستعداد لصياغة قرارات طويلة المدى ، أن تشكل جزءا من مفهوم «العظمة» كان
المذهب المناقض ، مذهب ومثال إنسانية حمقاء ، ذليلة ، خاضعة ، بلا عواصف .. كان هذا
المذهب وهذا المثال مثفقين مع عصر ذى طابع معاكس ، مثل القرن السادس عشر ، عانى
من الطاقة المتكدسة لإرادته ومن عواصف نزواته الهائجة . فى زمن سقراط ، وفى مجتمع
أناس ذوى غرائز متعبة ، ووسط الطبقة العتيقة ، طبقة الاثينين المحافظين الذين كانوا
يستسلمون «للسعادة» ، كما كانوا يقولون – والواقع كانوا يستسلمون للذائذهم – والذين
كانت أفواههم لاتزال مليئة بصياغات رنانة عتيقة لم تكن حياتهم تمنحها حق الوجود منذ
زمن طويل . نقول : فى ذلك الزمن ، ربما كانت السخرية ضرورية لعظمة النفس ، أى ذلك
الضمان السقراطى الشرير ، ضمان الطبيب العجوز ، ضمان العجوز السوقى الذى كان
يحز ، بلا تحفظ ، فى جلده وفى جلد وقلب «الارستقراطيين» فيما نظرته تقول صراحة :
«لاتكتموا شيئا أمامى ! على هذا الصعيد جميعنا سواد !» . الأمور معكوسة الآن .
ففى أوربا حيث الحيوان القطيعى وحده يشرف ويكرم ، حيث يمكن لمفهوم «مساواة

الحقوق» أن يتبدل الى – مساواة فى اللاحقوق ، أريد القول الانكار العام لكل نادر ومتميز، يتبدل هذا المفهوم ويصير حقدا على الانسان المتفوق ، على النفس المتفوقة ، على الواجب المتفوق ، على السيادة الخلاقة – المعنى الارستقراطى العام ، ارادة الا نكون تابعين لغير أنفسنا ، قدرة أن نكون مختلفين ، وحيدين ومقتصرين على أنفسنا كل هذه الاشياء تشكل جزءا من «العظمة» ، وسيخون الفيلسوف شيئا مامن مثله الخاص بدفاعه عن أن الأعظم هو من يستطيع ان يكون اكثر توحدا وعزلة ، أكثر غموضا ، أكثر انعزالا ، هو الانسان فيما وراء الخير والشر ، الانسان الذى يكون سيد فضائله ، وممن يمتلئ بطاقة الارادة . سوف يسمى «عظمة» قدرة توحيد الكلية بالكثرة ، الاتساع بالامتلاء . ولنسأل مرة أخرى من جديد : هل العظمة ممكنة اليوم ؟

يصعب أن ندرس ماهو الفيلسوف ، لأنه لاوجود لشئ إلا بتعليم : يجب أن «نعرق» ذلك بالتجربة والخبرة ، أو يجب الاعتزاز بالا نعرف ذلك . إذا كان كل واحد فى أيامنا يتكلم على أشياء لاخبرة له بها ، ولايستطيع ذلك ، فهذا يصح بالدرجة الاولى على الفيلسوف وعلى الروح الفلسفية : قليلون جدا الناس الذين يعرفون هذه الروح ، الذين يستطيعون معرفتها . وجميع الآراء الشعبية حول هذه النقطة غير صحيحة . هكذا ، مثلا، فإن الربط بين عقلانية جريئة وحرة تترك بخفة ورشاقة وبين صرامة ضرورية وجدلية لاترتكب أية خطوة مغلوطة ، يبقى مجهولا وغير معروف من قبل غالبية المفكرين والعلماء ، ولذلكم قد يبدو لهم غير معقول إذا تحدثنا معهم حوله . يرون فى كل ضرورة إكراها مزعجا ، حتى التفكير يبدو لهم شيئا مابطيئا ، مترددا ، وأحيانا تعذيبا . غالبا مايمارسون التفكير «بعرق جبينهم» ويعتبرون هذا العرق شيئا نبيلا . لايرون فيه ، أبدا ، نشاطا دقيقا ، إلهيا ، يقترب كثيرا من الرقص ومن السعادة . «أن نفكر» وأن نأخذ شيئا ما «بجدية» وبلادة ، هذا شئ واحد فى نظرهم : ليس لهم «تجربة» أخرى فى التفكير . يظهر الفنانون حول هذه النقطة ذكاء مرنا ، فهم يعرفون أنهم حيث لايجهدون أنفسهم ، بل يخضعون للضرورة ، يبلغ شعورهم بالحرية وبالقدرة وبالرهافة أقصاه ... يشعرون أنهم أسياد الخلق

والتشكيل ، أن الضرورة و «حرية الاختيار» تتحدان فيهم . والحقيقة ، هناك تراتبية لأحوال الذهن تتطابق معها تراتبية المشكلات ؛ فالمشكلات الأرفع ترفض بشدة جميع الذين يقتربون منها دون أن يكون لديهم ذهن من نفس الرفعة والقوة يرصدهم مسبقا لحلها . عبثا ، تسرع بعض العقول الاجتماعية الماهرة أو بعض الشجعان القائلين بالآلية أو بعض التجريبيين ذوى الأذهان البليدة وبرفقتهم طموح سوق عامى ، يسرعون الى جوار قديس الأقداس هذا ، كما هى الحالة الغالبة اليوم لاحق للاقدام الخشنة أن تطأ هذه الاماكن المحجوزة ، حتى نظام الاشياء يمنعها من ذلك : تظل الأبواب مغلقة بوجه هؤلاء اللانسانيون حتى وان دقوا جباههم فيها لحد كسر الرؤوس . لا أحد يقدر على الدخول الى عالم سام متفوق إلا اذا امتلك حق ذلك بالولادة . لنكن اكثر وضوحا : ينبغى أن يصاغ ويحبك من أجل عالم مماثل ، لايحث لأحد أن يقول عن نفسه إنه فيلسوف - مأخوذة هذه الكلمة بمعناها الرفيع - إلا اذا كان أصله يسمح بذلك . هنا أيضا ، يلعب الأجداد و «الدم» دورا حاسما . لانتاج فيلسوف ينبغى العمل عليه بدءا من أجيال وأجيال ، ينبغى أن تكون فضائله قد اكتسبت وثقفت واحدة فواحدة ، ثم نقلت بالوراثة كى تصبح لحما ودما . لأفكر بطيران الافكار الدقيق والجريئ فقط ، بل أفكر قبل كل شئ بطعم المسؤليات الكبيرة بجلال النظرة المسيطرة ، بقدرة الانعزال عن الجماهير وعن فضائلها ومهاناتها ، بالعطف الذى يقف الى جانب كل مانجهله ونشئ به ، سواء تعلق الأمر بالله أو بالشيطان - بسعادة أن نمارس عدالة ذات أهمية كبرى ، بفن القيادة ، باتساع الإرادة ، بالرؤية الجادة التى قلما تعجب ، قلما تخترم ، قلما تحب ......

تشكل الاحكام الأخلاقية والإدانات الاخلاقية بالنسبة للأذهان البليدة أفضل ثأر ممن هم أقل بلادة . فهم يجدون فى ذلك نوعا من التعويض ، تعويض القسمة السيئة فى الطبيعة ، كما يجدون فرصة لاكتساب المهارة وتشذيب أنفسهم : فالأذى يجعل صاحبه ذكيا . يشعرون بلذة فى أعماقهم ، بلذة التفكير أنه يوجد مخطط قادر على إبقاء الافراد الاذكياء فى مستواهم : فهم يناضلون من أجل «مساواة الجميع أمام الله» ، ولذلك فقط

يحتاجون الى الايمان بالله . ويخرج من بين هؤلاء الناس الد خصوم الكفر ، خصوم اللا إيمان . ومن يقول لهم بعدم وجود تكافؤ بين عقلانية متفوقة وبين الفضائل النزيهة والجديدة بالاحترام ، فضائل إنسان ليس له إلا أخلاقيته .. فلسوف لن يتأخر فى إغضابهم وإثارتهم : وأنا شخصيا أحترس من فعل ذلك . لابل قد أمدحهم مصرحا أن عقلانية متفوقة ليست شيئا آخر إلا التعبير الاسمى عن الخصائل الاخلاقية وبأنها تآليف لجميع الفضائل المنسوبة الى الإنسان ، «لاشئ إلا الأخلاق» تألف حديثها عندما تكتشف هذه الفضائل واحدة فواحدة عبر انضباط طويل وممارسة طويلة ، وربما عبر أجيال لاتحصى ، وقائلا إن العقلانية المتفوقة هى خلاصة العدالة ، خلاصة تلك الصرامة التى عرفت أن تضطلع بالحفاظ على النظام التراتبى فى العالم بين الاشياء نفسها – ولي فقط بين الناس.

اليوم وعندما يسمح المديح الشمولي جدا ، مديح الانسان «المترفع» فمن المناسب أن تسوعب مايثير اهتمام الشعب ومايشغل الفرد العادي عمقيا – حتى فى وجوده بالذات – بما فى ذلك المثقفون و العلماء وبعض الفلاسفة ... وفيما اذا كانت المظاهر لاتخدع . تأتي جوقة المديح هذه من أن غالبية الأشياء التى تثير وتشد الميول والأنواق المرهفة والصارمة – مثل كل طبيعة متفوقة – تبدو «غير مثير» فى نظر الانسان المتوسط . وحيث يلاحظ أننا نخلص لهذه الاشياء ، يسمى هذا الاخلاص «ترفعا» ويندهش من قدرتنا على السلوك بهذا الشكل . هناك فلاسفة أعطوا هذا الاندهاش من قدرتنا على السلوك بهذا الشكل . هناك فلاسفة أعطوا هذا الاندهاش تعبيرا مموها وغامضا إذ ربطوه بطموح فوق – أرضى (ربما لعدم معرفتهم ماهى الطبيعة المتفوقة ؟) بدل أن يؤكدوا وبلا تصنع هذه الحقيقة البسيطة جدا : العمل «المترفع» هو فى الحقيقة مفيد ومستفيد طالما قبل أن «والحب؟» – ماذا ! حتى الحب ينبغى أن يسلك «بلا أنانية »؟ حمقى ! – «والتضحية ؟» . لكن من يضحى حقيقة يدرك أنه كان يطالب بشئ مقابل ذلك وبأنه قد حصل عليه : لعله ضحى بجزء منه لصالح جزء آخر منه أيضا ، لعله ضحى بصدد نقطة معينة من أجل أن يكسب أكثر بصدد نقطة أخرى ، من أجل أن يشعر على الأقل أنه كبر بعض الشئ . لكن هاهنا

ميدان للأسئلة والأجوبة ، ميدان لايتوقف عنده الذهن المليئ لفرط مايجب على الحقيقة - في هذا المجال - أن تسد انفراجا عندما نجبرها على الاجابة : الحقيقة فى النهاية امرأة ولنحترس من ممارسة العنف معها .

الحس التاريخى «يعنى قدرة الادراك السريع لتراتبية الاحكام التقويمية ، التراتبية التى عاش وفقها مفهوم ومجتمع وإنسان ؛ يعنى «الغريزة التنجيمية» التى تفهم روابط هذه الاحكام التقويمية ؛ يعنى العلاقة بين سلطة القيم وسلطة القوى الفاعلة) الذى نفتخر به ، عن الاوربيين ، وكأنه طابعنا الخاص ، جاءنا إثر الهجمية الجذابة المجنونة حيث دفع الخلط الديمقراطى للطبقات والسلالات بأوربا الى الامام . وكان لابد أن ننتظر القرن التاسع عشر كى نشهد انبثاق الحس الجديد ، الحاسة السادسة . وعلى إثر هذا الخلط ، فإن ماضى كل شكل وكل نوع من الحياة ، ماضى الحضارات التى تقاربت أو تطابقت ، يصب فى «نفوسنا الحديثة» ، غرائزنا تتراجع فى جميع الاتجاهات ، نحن أنفسنا أصبحنا نوعا من الفوضى ، وأخيرا ، يستفيد «الذهن» ، كما قلنا ، من حالة مماثلة ، لكن بفعل همجية طموحاتنا ، فتحنا لأنفسنا مداخل سرية فى كل مكان ، مداخل لن تعرفها قرون التصفية والتشذيب . دخلنا بخاصة الى دهليز الحضارات اللامكتملة وعرفنا جميع الهجميات التى ماوجدت قط على سطح الكرة الارضية ؛ بحيث أن - والقسم الاكبر من الحضارة الانسانية لم يكن إلا همجية - الحس التاريخى يختلط الى حد ما بحس وغريزة جميع الأشياء ، بطعم وشهوة جميع الاشياء : الأمر الذى يكشف حالا عن عامية وسوقية حس مماثل . هكذا تعلمنا أن نتذوق هوميروس من جديد . وربما هنا يكمن تقدمنا الناجح ، فيحين أن أناس حضارة ارستقراطية (فرنسيو القرن السابع عشر مثلا ، حيث نجد سان - افرمون يأخذ على هوميروس اتساع الذهن . وهو الحكم الذى يتردد صداه عند فولتير) لايعرفون ولم يعرفوا أن يمتلكوه وأن يتكلفوا عناء حبه الـ «نعم» والـ «كلا» الصادقتان جدا فى قصورهم ، فرضهم السريع ، تحفظهم وحيرتهم أمام كل غريب ، نفورهم من نقص الذوق الذى تتضمنه فضولية حيوية جدا ، القليل من الهمة الذى تضعه كل حضارة

ارستقراطية – والتى تكتفى بنفسها – للكشف عن حاجة جديدة لها ، للاعتراف بأنها غير راضية بوجودها الخاص ، للإعجاب الغريب .. كل هذا يضع هؤلاء الارستقراطيين فى حالة حذر من أفضل الأشياء فى العالم عندما لاتكون ملكا لهم أو لاتستطيع أن تكونه . إن الشئ الوحيد الذى لايستطيعون فهمه هو الحس التاريخى وفضوليته العامة . ولايمكن للأمر أن يكون غير ذلك بالنسبة الى شكسبير هذا التركيب الاسبانى ، الموريسى والساكسونى الذى قد يميت من الضنك أو الغضب أثينيا من الطبقة العتيقة ، ومن محيط اسخيلوس . لكن نحن ، نستقبل هذه البرقشة الوحشية ، هذا الخليط المنقى جدا، المأخوذ فما هو أكثر سوقية واصطناعية ، نستقبله بتواطئية ومودة خفيتين، نتذوقه بصفته تنميقا لفن حضر بشكل خاص لأجلنا دون أن تضايقنا الابتمرة الفاسدة التى تتصاعد من بين رعاع الانكليز والتى تغذى منها فن وذوق شكسبير . هكذا نشق طريقنا ، سعداء ومنتعشى الأحاسيس فوق chiaja de Naples رغم نتانة حاراتها الشعبية ومواخيرها المكشوفة . نحن ، رجال «الحس التاريخى» لنا أيضا فضائلنا التى لايعترض عليها ، إننا ولا ادهاء مترفعون متواضعون ، شجعان . لدينا حس التضحية ، حس تجاوز أنفسنا . نعترف بالجميل جدا ، صبورون جدا ، نستقبل بحفاوة جدا : وبهذا كله قد لايكون عندنا كثير من الذوق . لنعترف أخيرا : مايصعب علينا فهمه ، الإحاطة به ، تذوقه ، حبه ، مايصدم فى العمق أحكامنا المسبقة ويثير شفقتنا ، هو كمال ونضوج الحضارة والفن ، هو النبل الحقيقى للاثار الفنية وللناس ، وقتهم العابر الوديع ، وغبطتهم الراكدة ، المظهر المذهب البارد الذى تكشف عنه باستمرار الاشياء المكتملة . لعل فضيلتنا الكبرى – أى الحس التاريخى – تجعلنا بالضرورة فى عراك دائم مع «الذوق الجيد» ، أوعلى الاقل مع أفضل ذوق ، بحيث لانستطيع أن نعيد فى داخلنا – إلا بصعوبة وتردد وتحت ضغط هائل – انتاج أندر وأقصر لحظات الاكمال والانجاز ، انتاج تألقات الحياة الانسانية كما تلمع من بعيد ، انتاج تلك اللحظات الاعجازية حيث توقفت طاقة كبيرة على حدود المفرط اللانهائى ، حيث تذوق الانسان وفرة من السعادة فى إخماد وشل طاقاته ، فى البقاء والتصلب فوق

تربة لاتزال متحركة ... لنعترف أن المقياس غريب علينا .. طموحنا هو طموح الى اللامحدود . ومثل فارس فوق مطية تحتدم وتهتاج ، نرضى الاعنة أمام اللانهائى ، نحن الاخرين ، نحن الاخرين أنصاف الهمج ، ولا نتذوق النعيم إلا عندما تصل بحازفتنا الى أقصاها .

تريد المرأة أن تنعتق ، ولهذا اخذت تنير الرجال حول «المرأة بذاتها» : وهنا يكمن أردأ مظاهر التقبيح العام لأوربا . فما الذى لن تكشف عنه هذه المساعى الفظيعة ، وهذه التعرية للنساء من قبل النساء باسم الروح العلمية ! لدى المرأة كثير من الأسباب والأعذار كى تبقى محتشمة . عندها كثير من التحذلق ، كثير من السطحية ، كثير من الادعاء الخس ، كثير من الخلل الدنيئ والفاضح - لاحظوا سلوكها مع الاطفال - .. الخوف من الرجل هو الذى كبت حتى الآن كل هذا واحتواه ! الويل لنا إذا ظهر مالدى المرأة من «ازعاج أبدى» ، الويل لنا إن بدأت تنسى بعمق فنها وبراعتها فى الاعجاب ، فى اللعب ، فى إبعاد الهموم ، فى تخفيف الألم ، فى أخذ الحياة بخفة ، إن بدأت تنسى انقيادها الناعم للرغبات المحبوبة التى تنعطف صوبها ! هناك أصوات تسوية ترتفع - بحق القديس أريستوفان ! .... أصوات فيها مايملأ المرء خوفا ورعبا ، أصوات تعبر بدقة طبية مخيفة عما تريده المرأة من الرجل ! أليست مزعجا للذوق أن تتسلح امرأة بروح علمية ! كانت الشروحات لحد الان ، ولحسن الحظ ، قضية الرجال ، امتياز الرجال ؛ - لنبق «فيما بيننا»! - . وإذا أخذنا بالاعتبار كل ماتكتبه النساء حول «المرأة» فسيتاح لنا أن نتساءل باحتراس فيما اذا كن يرغبن بتنوير أنفسهمن حول أنفسهن بالذات ، فيما إذا كن يستطعن ثمنى ذلك ... وإذا كانت المرأة من هذا الجانب لاتحاول أن ترتدى زينة جديدة - أعتقد أن الميل الى الزينة يشكل جزءا من التسوية الأبدة ؟ - ذلك لأنها تريد أن توحى بالخوف ، ربما تريد أن تطاع . لكنها لاتبحث عن الحقيقة : ماالذى تجديه الحقيقة بالنسبة إليها ! لاشئ يشبه غربة الحقيقة على المرأة ، لاشئ يبدو متناقضا مثل الحقيقة عند المرأة ، فالحقيقة جزء من البلاهة فى نظرها ! الكذب هو فنها الكبير ، قضيتها الكبرى المظهر

والجمال . لنعترف : مايحترمه الرجل ومايحبه في المرأة هو هذا الفن وهذه الغريزة . نحن الذين نعيش حياة مضنية ، نبحث طواعية ولأجل راحتنا عن مجتمع هذه الكائنات التى تحيل أياديها ، نظراتها جنونها المعطاء .. تحيل جديتنا ، ثقلنا وأعماقنا وتجعلها جميعا بادية على شكل جنون جميل . وأخيرا أطرح هذا السؤال : هل حدث واعترفت امرأة بشئ من العمق لدى امرأة اخرى ، بشئ من العدالة لدى قلب نسوى ؟ أليست صحيحا القول أن النساء هن اللواتى احتقرن «المرأة» أكثر ، ولسنا نحن ؟ نأمل ان تتوقف المرأة عن سلوك أن تشرح نفسها لنفسها ...

الجنون فى المطبخ ، المرأة كطباخة ، الطيش المرعب الذى يترأس غذاء العائلة ورب العائلة ! المرأة لاتفهم أهمية الغذاء وتدعي أنها طباخة ! لو كانت كائنا عاقلا - مفكرا ، لوجب عليها أن تكتشف التأثيرات الاساسية للفيزيولوجيا طالما أنها ومنذ آلاف السنين تقوم بتحضير الطعام ، ولوجب عليها أن تجعل من الطب مجالها الخاص ! الطباخات الرديئات والانعدام الكلى للعقل فى المطبخ ... هذا هو المسؤول عن إبطاء تطور الانسانية وتدمير هذا التطور : ليس الأمر بأفضل اليوم ! - نصيحة للانسات .!

اعتدنا وفى زمن سابق ألا نتوقف عن الاطراء «العميق» على الشعب الألمانى . اليوم وحيث يطمح نموذج الجرمانية الجديدة ، المنتصر الى تشريفات اخرى .. اليوم وحيث ربما يرثى لانعدام «حيوية» العماقه ... اليوم جاءت ساعة التساول ، وفى إطارهم وطنى ، فيما اذا لم يكن هذا المديح القديم خطأ فادحا ، فيما إذا لم تكن العماقه الالمانية شيئا مختلفا لابل وأردا ، شيئا نحن على طريق التخلص منه . إذا و لننظر الى هذه العماقة من زاوية أخرى وفى ضوء آخر . ولأجل ذلك ، يكفى أن نشرح الروح الألمانية قليلا - الروح الالمانية ، قبل كل شئ ، متعددة ، غير متجانسة ، مركبة من عناصر موضوعة الى جانب بعضها البعض ومتراكمة اكثر منها مبنية ومؤلفة بشكل حقيقي : وهذا عائد الى أصولها . الالمانى الذى يتجرأ على القول : «للأسف» أشعر بروحين فى داخلى» سيكون الى جانب الحقيقة ، أو بالأحرى تمت الحقيقة ، لأن له أنفسا عديدة . شعب قوامه خليط مبرقع من الأعراق ،

وربما فيه سيطرة للعنصر المأ – قبل أرى ، «شعب من الوسط» بكل معانى الكلمة : الألمان فى نظر أنفسهم بالذات يتعذر فهمهم ، أكثر اتساعا ، أكثر تناقضا ، يتعذر معرفة رؤيتهم مسبقا ، أكثر فجائية ، أكثر ترهيبا من جميع الشعوب الأخرى : لاينطبق عليهم تصريف ، ولذلك يزعجون الفرنسيين . بالنسبة الى الألمان تبقى قضية أن نعرف «ماهو الألمانى» قضية الساعة باستمرار. وهنا تكمن إحدى السمات الأساسية والنموذجية. لعل KOTZEBUE كان يعرض ألمانه جيدا . فهؤلاء كانوا يصفقون له : «لقد وصفتنا كما نحن ». لكن صاند SAND كان يعتقد أنه يعرفهم أيضا . أما جان بول فكان يدرك مايفعل عندما ثار ضد مدائح ومبالغات فيختة ، الدجالة لكن الوطنية . ربما كان لغوته رأى آخر فى الألمان ، رأى مختلف عن رأى جان بول حتى وإن وقف الى جانبه ضد فيخته . لكن ماهو رأى غوته فى الألمان ؟ لم يعبر نهائيا بشكل واضح حول كثير من الأشياء ، وارتأى أن يبقى صامتا طوال حياته : قد تكون له أسبابه ومبرراته الخاصة . لكن من المؤكد أن حروب «التحرير» لم تعجبه أبدا ، ولاحتى الثورة الفرنسية . الحدث الذى جعله يصمم على إعادة التفكير بفاوست وبكل مشكلة الإنسان ، هو ظهور نابليون . قال غوته أشياء كثيرة حول مايكون زهو الألمان ، قالها بكثير من القسوة والانزعاج حتى لكأنها خرجت من فم أجنبى ... مايميز الألمان هو أننا قلما نخطئ مهما قلنا عنهم . داخل الروح الالمانية توجد مناجم ومناجم – مضادة ، فيها كهوف ، مخابئ وزنزانات ، لفوضويتها جاذبية الغريب المدهش ، الألمانى يعرف الأزمة الملتوية التى تقضى الى الخواء . ومثل كائن يعشق رمزه ، نجد الألمانى يعشق الغيوم وكل ماهو اضطراب ، متحرك ، غسقى ، رطب ومحجب : يشعر بـ «عمق وغنى» كل ماهو غير أكيد ، غير منجز ، خاطف ، فى حالة حيرورة . الألمانى نفسه غير «كائن» بل «يصير» «يتحول» . ولهذا فـ «التحول» يشكل اكتشاف ومساهمة الألمان لاسيما فى ميدان الصياغات الفلسفية الواسع : فكرة رئيسية تستخدم – بوحدتها القوية مع البيرة الألمانية والموسيقى الألمانية من أجل ألمنة أوربا بكاملها . يشعر الأجانب بالدهشة والجاذبية قدام الاحجيات التى تطرحها عليهم الطبيعية المتناقضة التى ترقد فى أعماق

الروح الألمانية (هيجل وضعها ضمن منظومة فلسفية وفاكنر أخرجها فى إطار موسيقى) «بساطة وخداع» : سيكون من العبث أن نلصق تضايق هاتين اللفظتين بأى شعب ، ولايمكن تبرير هذا التضايق إلا فى المانيا فقط : اذهبوا وعيشوا قليلا مع السوابيين ! بلادة العالم الألمانى ورداءة ذوقه تتفقان بشكل مرعب مع بهلوانية داخلية وشجاعة مرحة تعلمت الآلهة أن تخافهما سابقا . تريدون أن تفهموا «الروح الألمانية» بشكل واقعى ؟ إذن ، لاحظوا ذوق الألمان ، فنون وعادات الألمان : أية لامبالاة خشنة وفظة بـ «الذوق الجيد» ! أية مجاورة بين الأنبل وبين الأخس ! أية فوضى وأى غنى فى اقتصاد هذه الروح ! الألمانى يجد روحه وراءه ، ويجر وراءه كل مايرى ، لايهضم جيدا الحوادث التى تجرى له ، لا «ينتهى» معها أبدا . العماقة الألمانية ليست غالبا إلا «هضما» صعبا وطويلا . ومثلما يميل السقماء وجميع المصابين بعسر الهضم الى حب راحتهم ، هكذا الألمانى يحب «الصدق» و «الاستقامة» : كم يريح ويلائم أن يكون المرء شجاعا يفيض صدقا ! اليوم وأكثر من أى وقت مضى ، ومن بين جميع الاقنعة التى يرتاح اليها الالمانى جدا ، تتجلى هذه النزاهة بصفتها الاخطر والانجح ، نزاهة ألمانية تعرف كيف توحى بالثة ، كيف تظهر وبودة وتوضح مقاصدها . إنها تشكل شيطانية الألمانى المحضة ، ويمكنها أن «تقوده بعيدا» ..... الألمانى يسترخى ، يتأملكم بعينيه الزرقاويتين ، الفارغتين والوفيتين ..... عينى ألمانى شجاع . والأجنبى الذى يؤخذ بذلك يخلطه فورا بثياب نومه. أريد أن أصل الى مايلى : مهما قيل عن «العماقة الالمانية» – فيما بيننا أليست كذلك ، نسمح لأنفسنا ربما بالضحك قليلا؟ – فمن الأفضل أن نحافظ على المظهر ، أن نبقى على احترامنا للشهرة التى منحتنا إياها العماقة ، وألا نقايض عن طيش شهرتنا القديمة كشعب عميق بـ «الديناميكية» البروسية ، بالخدعة والرمل البرلينى لاشئ أكثر حكمة بالنسبة الى شعب من الشعوب أن يحسب عميقا ، أخرق ، طيب القلب ، نزيها ، ساذجا ... على أن يحاكم بهذا الشكل ..... لابل إن ذلك سيكون عماقة من جهته وذكاء ... ولكى ننهى ، لابد من احترام الاسم – ثم ألا نسمى عبثا بالشعب الخداع .

لاشئ يوضح استخفاف الاسلوب الألماني بجرسيه الألفاظ وبلذة المسمع مثل كتابات موسيقينا الجيدين . الألماني لايقرأ بصوت مرتفع ومن أجل الأذن ، لكن فقط بالعيون : كي يقرأ يضع أذنيه في درج . عندما كان الإنسان القديم يقرأ ، الأمر الذي كان يحدث نادرا ، كان يقرأ لنفسه بصوت مرتفع . كنا نندهش لرؤية أحدهم يقرأ بصوت منخفض ونحاول معرفة أسباب ذلك بشكل مستقل ... بصوت مرتفع ، يعني جعل انتفاضات والتواءات وتقطعات النبرة محسوسة ، وكذلك الأمر بالنسبة الى تغيرات السرعة وجميع الاشياء التي كان يلتذبها الجمهور قديما . آنذاك كانت قواعد الاسلوب المكتوب هي نفسها قواعد الاسلوب الخطابي وهذه القواعد كانت تابعة في قسم منها للثقافة المدهشة ، للمتطلبات الدقيقة ،، متطلبات الاذن والحنجرة ، وفي قسم آخر لقوة ومناعة وطاقة الرئات القديمة الدورة الكلامية ، بالنسبة الى القدماء ، هي وحدة فيزيولوجية يستطيع التنفس الواحد أن يحيط بها . كانت الدورات الكلامية ، كما نجدها لدى ديموستين وشيشرون ، التي تنتفخ مرتين وتسقط مرتين أثناء التنفس الواحد .... كانت تلذ للقدماء الذين كانوا يعرفون ، من خلال تكوينهم الثقافي ، قيمة الموهبة اللازمة لخطبة وإنشاء دورة كلامية مماثلة ، كانوا يعرفون صعوبتها وندرتها . نحن الآخرين المعاصرين ، ذوي الانفاس القصيرة بكل معاني الكلمة ، لاحق لنا ، عميقا ، بالدورة الكلامية الكبرى . عموما ، كان القدماء جميعهم تقريبا خطباء ، هواة في هذا المجال ، وإذن عارفين ، وإذن نقادا رفعوا بخطبائهم إلى أقصى امكانياتهم ، حتى أنه في القرن الماضي [يعني الثامن عشر م] وحيث كان جميع الايطاليين والإيطاليات يعرفون الغناء جيدا ، وصلت براعة المغنين عندهم (وفن الميلودراما دفعة واحدة) الى أوجها . في ألمانيا – على الأقل حتى هذه الأزمنة الأخيرة حيث يحاول نوع من الفصاحة السياسية الخجول جدا والأعوج أن ينطلق وأن يحلق – .. لم يوجد إلا نوع من الخيابات الشعبية الخاضع عموما لقواعد الفن : فصاحة المنبر . كان الواعظ البشر ، في ألمانيا ، هو وحده الذي يعرف مايزنه مقطع وكلمة ، كيف بحمله أن تدهش ، أن تثب أن تسرع ، أن تجرى وتجرى ، وحده كان يسكن أذنه إحساسا ، وغالبا إحساسا رديئا ، لأن

هناك أسبابا كثيرة تجعل ألمانيا ، فى مجال الفن الخطابى ، لاتصل إلا نادرا الى مرحلة السيطرة ، وتصل متأخرة جدا ولهذا من العدل أن تكون تحفة النثر الألمانى هى نفسها تحفة أكبر الواعظين المبشرين : الإنجيل هو أفضل كتاب ألمانى وإلى إشعار آخر . مقارنة بانجل لوثر كل مايتبقى ليس إلا «أدبا» . هذه الغرسة لم تنبت فى ألمانيا ، ولذلك لم تترك ولاتترك جذورا فى قلوب الألمان ، بينما فعلها الانجيل .

عندما يعانى شعب ، عندما يريد أن يعانى من حرارات وطنية وطموحات سياسية ، ينبغى أن تتعالم بصبر وهدوء مع مختلف السحابات التى تعكر روحه وتثير هذه الأزمات الصغيرة من الحمق : وهكذا عند ألمان اليوم ، تارة الحماقة ضد الفرنسيين ، وتارة الحماقة ضد الساميين ، أو ضد البولونيين ، أو حماقة رومانية - مسيحية ، أو فاكنرية ، أو توتونية [سكان جرمانية الشمالية] أو بروسية (لاخطوا مثلا هؤلاء المؤرخين التعساء ، مثل SYBEL و TREITZSCHKE ، برؤوسهم الملينة بأفكار ثابتة وحددة) أو مهما كان اسم هذه الحماقات ، وهذه التلبدات الصغيرة لروح ووعى الألمان . وليغفر لى إن لم أعد من هذا الاقتحام المحدود والخطير لميدان يسوده الخمج والتعفن - معا فى تماما . وليغفر لى أيضا إن بدأت كالجميع التفكير بموضوعات لاتخصنى : بداية أعراض التعفن السياسى . فكرت مثلا بموضوع اليهود : اسمعوا الى الافكار التى خطرت لى بهذا الصدد : لم ألتق لحد الأن بألمانى يحبذ اليهود . رغم أن الأذهان العاقلة والرؤوس السياسية تدين بشكل جذرى نزعة معاداة السامية ، فإن هذا التعقل وهذه السياسة لايقضيان على الشعور المناهض لليهود بحد ذاته ، لكن يخففان فقط من انحرافاته الخطيرة ، ولاسيما التعبير الكرية والغبى عن هذا الشعور - المجنون - لاننخدع بذلك . أن يكون فى ألمانيا كثير جدا من اليهود ، أن يصعب على المعدة الألمانية ، على الدم الألمانى (وسوف يصعب عليهما زمنا طويلا) هضم هذا المقدار - الموجود من اليهود - كما فعل الفرنسيون والايطاليون والانكليز بيهودهم على إثر هضم اكثر صلابة - هذه هى لغة غريزة جد منتشرة ، هى اللغة التى ينبغى أن نعيرها الأذن والتى ينبغى أن نتصرف وفقها

. «لانريد يهوديا واحدا وزيادة ! الأبواب مغلقة بوجه اليهود ، قبل كل شئ فى الغرب (وأيضا فى النمسا !) » ، هذه هى الامنية العفوية لأمة لايزال أنموذجها العرقى ضعيفا وغير محدد ، لأمة تخاف أن يأتى عرق آخر أقوى يمحوها أو يطفئها والحالة هذه ، قد يكون اليهود السلالة الأقوى ، الأكثر مقاومة والأصلب فى أوربا حاليا . يعرفون أن يفرضوا أنفسهم حتى فى أقسى الظروف (أفضل منها فى ظروف مناسبة وملائمة) ، وذلك بفضل مزايا خفية يراد أن تؤخذ الآن على أنها عيوب ، بفضل ايمان حاسم لايشعر بالخجل أمام «افكار حديثة» إذا تغيروا ، يتغيرون كما تتابع الامبراطورية الروسية فتوحاتها ، يتغيرون مثل امبراطورية ليست وليدة البارحة ، امبراطورية عندها وقت كثير ، أى يتغيرون بأمكن مايكون الهدوء . إن أى مفكر يهتم لمستقبل أوربا عليه أن يأخذ فى مخططاته بعين الاعتبار اليهود والروس الذين يشكلون من الآن فصاعدا عاملين أساسيين سيلعبان دورا أساسيا ومؤكدا فى صراع القوى الكبير . مانسميه اليوم «أمة» فى أوربا ، أى هذا الكيان الحادث أكثر مما هو كيان طبيعى (عندما لايبدو أنه يتشابه الى درجة التباسه بوهم) ، هو على كل حال واقع فى إطار الصيرورة ، شاب ، هش ، ليس سلالة بعد كما هو الشعب اليهودى . وإذن على هذه «الأمم» أن تحترس بشدة من أى سباق ومن أية عدوانية عمياء . إنها لحقيقة أن يستطيع اليهود ومنذ اليوم – إن أرادوا أن إن دفعوا الى ذلك – أن يسودوا فى أوربا سيادة تامة . إنها لحقيقة أيضا أنهم لايعملون على هذا الامر وليس لديهم مشاريع فى هذا الاتجاه . مايريدونه الآن ومايرغبون به – بشئ من الإلحاح – هو أن تمتصهم أوربا وتهضمهم . يتحرقون للثبات والاستقرار فى مكان ما ولان يقبلوا فيه ويعتبروا ؛ يتحرقون لانهاء بدواتهم ، بداوة «اليهودى التائه» . ويحسن بنا أن نفهم وأن نأخذ بالاعتبار طموحا مماثلا حيث يتجلى نوع من تخفيف الغرائز اليهودية . ولذا قد يكون مفيدا وإنصافا أن نطرد من بلاد جميع الأبواق المعادية للسامية ينبغى استقبال اليهود بتعقل واصطفائية كما تفعل طبقة النبلاء فى انكلترا فى ألمانيا الجددة ، من المؤكد أن النماذج العرقية النشيطة جدا والمتهمة جدا تستطيع أن تتحالف بنجاح مع

اليهود : مثلا ضباط الـ مارش March ذوو الأصل الاستقراطي ، سيكون مثيرا وعلى أكثر من صعيد أن نرى فيما إذا كان الفن الوراثي للقيادة وللطاعة - المارش هو الموطن الكلاسيكي لهذا الفن اليوم - لايستطيع أن يتهجن مع عبقرية المال والصبر ، فيما اذا كان هذا التهجين لايدخل قليلا من الذكاء والعقلانية الى هذه الارستقراطية العسكرية المفتقرة الى هذين الاخرين ... لكن هاأنا أمارس الان نوعا من التوتومانية ... لنوقف هذا الخطاب هنا ، لأنني تناولت للتو ماهو عزيز على «المشكلة الاوربية» كما أفهمها ، تناولت قضية اصطفاء طبقة جديدة مدعوة الى السيطرة على أوربا .

كان كل ارتقاء بمستوى النموذج الانساني ، ولحد الآن ، هو عمل مجتمع ارستقراطي، وسوف يظل الامر كذلك باستمرار . بعبارة أخرى ، كان هذا الارتقاء عمل مجتمع تراتبي يؤمن بوجود اختلافات شديدة بين الناس ويحتاج الى صيغة معينة من العبودية . من دون الرغبة الشديدة بالمسافة التي يطورها اختلاف هائل بين الطبقات ، من دون نظرة التفوق التي تلقيها الطبقة الحاكمة على مرؤوسيها وأدواتها ، من دون ممارستها المستمرة للطاعة والقيادة ، من دون فنها في البقاء فوق الجماهير وبعيدا عنها من دوم ذلك لانرى كيف ستولد تلك الرغبة الاخرى الغريبة - المدهشة التي تطمح الى توسيع فضاء النفس الى توليد حالات اكثر علوا ، أكثر ندرة ، أكثر بعدا ، أكثر اتساعا وامتلاء وغنى ، وفي هذا يكمن الارتقاء بمستوى النموذج الانساني و «التجاوز الدائم للانسان عن طريق الانسان» ، كي نستخدم اخلاقية بمعنى فوق - أخلاقي إنه لمن المناسب ألا ننخدع بأوهام انسانية فيما يتعلق بتكون ونشوء مجتمع ارستقراطي (إذن ، فيما يتعلق بالشروط والظروف الضرورية للارتقاء بمستوى النموذج الانساني) : الحقيقة قاسية دما . يجب أن نتأمل ببرود كيف بدأت على الارض أية حضارة متفوقة ، ناس لايزالون قريبين من الطبيعة ، برابرة كل مافي هذه الكلمة من رعب متوحشون بإرادة لاتزال بكرا ، وبنزوع قوة عجيبة ، نزوع لما يبدأ به بعد ... انقضوا على سلالات أكثر ضعفا ، أكثر تمدنا ، أكثر سكونا ، سلالات إما تجارا وإما رعاة ، انقضوا على حضارات عتيقة مستهلكة كانت تبذر آخر طاقاتها على

شكل فقاعات وألعاب نارية مميتة الطبقة الارستقراطية كانت في البداية ، ودوما ، طبقة البرابرة : لم يكن تفوقها يكمن في قوتها الحسية بل في قوتها الروحية ؛ كانوا أناسا وأكثر (يعني وعلى جميع المستويات ، كانوا طبيعيين تماما وأكثر)

الامتناع المتبادل عن الاعتداء المتبادل ، عن ممارسة العنف المتبادلة ، عن الاستغلال المتبادل ، ثم الاعتراف لإرادة الاخرين بحقوق متساوية مع حقوق إرادتنا هذه هي المبادىء التي ويمعنى فظ تستطيع أن تولد عادات حسنة بين الأفراد إذا أكتملت بعض الشروط (يعني تشابه الطاقات والمعايير عند الأفراد وانتماء هؤلاء إلى الجسد الجتماعي نفسه) لكن لو فكرنا بتوسيع هذا المبدأ ، وجعله المبدأ الأساسي للمجتمع سوف يكتشف عن ماهية مبدأ لنفي الحياة مبدأ سقوط وانحلال حول هذه النقطة ينبغي التفكير بالذهاب بعيدا إلى أعز الأشياء والاحتراس من كل هن عاطفي : أن نعيش ، يعن جوهريا أن نجترد ، أن نسيطر على ، أن نجرح كل ما هو غريب وضعيف ، أن نضطهد ، أن نفرض عليه صيفتنا الخاصة ، أن نحتويه على الأقل ، وأن نستغله على الأحسن .- لكن لماذا نستخدم ، ودوما ، هذه الألفاظ التي عبرت على مر العصور عن نية الأفتراد واللاتهان ؟ وكما قلنا وقبلنا ، أن كل جسد يتعامل فيه الأفراد بشكل متساو - والأمر كذلك داخل كل ارستقراطية صحيحة - مجبر أيضا ، إن كان حيا وليس محتضرا ، على أن يمارس ضد الأجساد الأخرى كل ما يمتنع عنه الأفراد الذين يرتكب منهم في علاقاتهم المتبادلة : عليه أن يكون قوة إرادة مجسدة يريد أن ينمواويزداد ، أن يتسع ، أن يستولي ويسيطر ، ليس عن طريق أخلاقية أو لا أخلاقية ، لكن لأنه يعيش ولأن الحياة هي إرادة قوة . ليس هناك مجال ينفد فيه وعي الأوربي من تثقيف ذاته . وعندما يذكر العلم اليوم تتجلى حماسة متفائلة حول الوضع المستقبلي للمجتمع حيث «لن يوجد الاستغلال» : إن كلمات مماثلة تظن في أذني كما لوكنا نعد بإيداع صيفة من الحياة ترفض طواعية كل فعالية عضوية . ليس الاستغلال خاصية مجتمع شائن أو مجتمع ناقص وبدائي : الاستغلال ملازم للحياه التي يشكل فيها فعالية أولية ، إنه وبدقة نتاج إرادة القوى التي يشكل بدورها نتاج إدارة الحياة .-

لنفترض أن هذه النظرية جديدة ، فهذه الحقيقة هى الفعل الأولى لكل التاريخ : ليكن لدينا قدر من النزهة للإعراف بذلك .

يولد جنس ، يترسخ نموذج ويتصن عبر معركة طويلة يخوضها ضد ظروف غير مناسبة وذات نمط واحد تقريبا وبالعكس : تعلمنا تجربة المربين أن الأجناس التى تتلقى غذاء اكثر من الوفرة وتشكل موضوع إفراط من الأعتناء تميل وبسرعة إلى الابتعاد عن أنموذجها منتجة عددا كبيرا من التشوهات والفظاعات (وكثيرا من العيوب الفظيعة أيضا) لنتزمل ، الآن ، فئة ارستقراطية ، مدينة اغريقية قديمة أو مدينة البندقية مثلا بصفتها مؤسسة طوعية أو غير طوعية ، هدفها اصطفاء الجنس البشرى : سنجد جنبا إلى جنب أناسا مكرسين لأنفسهم ، يريدون الانتظار لصنفهم ، لأنهم مجبون على ذلك ، وإلا فهناك مخاطرة استئصالهم تماما . العناية ، الغذارة والحميات التى تشجع التنوع غير موجودة . الجنس يحتاج إلى الاستمرار فى البقاء كجنس ، كشيىء مثل قساوته . نمطيته وبساطة صيغته قادرتان وحدهما على جعله يستمر وينتصر فى الصراع الدائم الذى يخوضه ضد الجار كما ضد المضطهد العاصى أو التمرد . تعلمه التجربة الطويلة ماهى الميزات التى بفضلها لا يزال موجودا رغم الناسب والآلهة وينتصر بشكل دائم : يسمى هذه الميزات فضائل ولا يعنى بها يمارس ذلك بقسوة ، ويتمسك بهذه القسوة : كل أخلاق ارستقراطية غير متساهلة ، سواد تعلق الأمر بتربية الشباب ، بشرط المرأة ، بالزواج بالعلاقات بين الشباب والشيوخ ، أو بالقوانين الجزائية (التى لا تنطبق رلا على الذين يبتعدون عن الأنموذج) : لا بل تجعل من اللاتساهل فضيلة وتسميها «عدالة» . هكذا تترسخ سلالة من الناس الصارمين ، الشرسين الصموتين برصانة وتعقل ، الحازمين والكتومين (مهمما لغت حساسيتهم لجاذبيات وفروقات الحياة الالجتماعية) الذين لا يخضعون للتغيرات التى يسببها تتابع الأجيال . وكما قلت للتو ، إن الكناح المستمر ضد الظروف المتشابهة دوما وغير ملائمة دوما ، هو الذى يجعل النوذج يتحصن ويصبح أكثر قساوة لكن فلتأت فى النهاية حالة ملائمة ، وليسترخ التوتر الشديد فربما لم يعد هناك أعداء فى الجوار وربما

هناك مصادر كثيرة للحياة ، لا بل من أجل التمتع بالحياة ودفعة واحدة تنحل ضرورة الانضباط القديم : لم تعد يحس بها على أنها ضرورة وشروط الحياة – ولايمكن أن تبقى إلا بصفتها ترفا ونوقا مقلدا للقديم وتدخل الحقيقة ، سواء بمعنى الأختلاف الذى يطمع إلى حياة أكثر علوا ، أكثر رهافة ، أكثر ندرة ، أو بمعنى الانحطاط الذى يميل إلى الوحشى الفظيع تدخل فجأة لتمارس دورا ما تمارس بكل قوتها ولعانها وهكذا يتجرأ الفرد على الإنعزال والإبتعاد وأثناء انعطافات التاريخ هذه يظهر توالد متعدد يشبه الغابة العذراء المتوحشة وتختلط تجليات بطريقة مبهمة نوع من الإقاع الاستوائى فى هيجان النمو وكفاح مميت تفرزه الأنانيات المتنافرة بشكل وحشى وصدامى يشتبكان من أجل «الشمس والضوء» فى معركة بلا حدود ، بلا تباطىء ولا مجاملة ؛ معركة لا تأتى الأخلاق القديمة من أجل ترطيبها هذه هى الأخلاق التى كدست هذا الاحتياط الهائل من القوى وشدت القوس بشكل مرعب : الآن قد تم «تجاوزها» يتم بلوغ النقطة الخطيرة والمثيرة عندما تباشر الحياة الاكثر تعقيدا وسموا واتساعا مغامرتها فيما وراء معايير الأخلاق القديمة عند ذلك يكون «الفرد» مجبرا على خلق قوانينه الخاصة ، على اكتشاف الإجراءات والحيل التى تتيح له الحفاظ على نفسه ، الارتقاء والحرية عند ذلك تنبثق لماذات [من لماذا]جديدة ؟ وكيفات [من كيف] جديدة ؟ تنقدم الصياغات المشتركة والعامة يمتزج اللافهم بالإزدراء ويتحالف معه الإنحطاط والفساد وأعلى الطموحات تنسج فيما بينها روابط مرعبة عبقرية السلالة تفيض بالخير واالشر من جميع الجوانب يتجاور الربيع مع الخريف داخل وجود مشترك مدمر ، مليىء بالجاذبيات المجهولة والخاصة ، بانحلال لا يزال فنيا داخل وجود لا يعرف الامـلاء ولا التعب ومن جديد يظهر الخطر –إلا تاريخ مسيرة من الإختصار والإيجاز – عبر هذا الاتفاق السريع تنشأ الروابط القديمة ، والقوية جدا كلما كبر الشعور بالحاجة إلى الاتفاق ، بسرعة وبلاكد ، حول ما يناسب فعله فى مواجهة الخطر ، على الناس أن يتجنبوا أولا أى سوء تفاهم بينهم فى كل صداقة ، فى كل حب تعاد التجربة ذاتها إن مشاعر مماثلة لا تستمر عندما يبدو أن الألفاظ نفسها تعتبر

لدى الأول عن أنطباعات ، عن أفكار ، عن طموحات ، عن مخاوف لا يشاركه فيها الآخر (الخوف من «سوء التفاهم الأبدى» هو الذى، وكأى عبقرية جيدة ، يجعل أفراد من جنس مختلف يرفضون اتحادا متسرعا قد يسوقهم إليه قلبهم وحواسهم وليست «عبقرة الجنس البشرى» كما يريد شوبنهاور) ما هى فئات الإحساس التى تستيقظ أونرى النفس كما تتكلم وتأمر ؟ هذا ما يحدد التراتبية العامة للقيم ويكشف بكلمة واحدة عن محتواه الأحكام التقويمية لانسان ما تخوف شيئا من بنية نفسه ، تظهر ما يعتبره شروط حياته ، وضرورته الخاصة إذا افترضنا أن الضرورة لم تقترب إلا بين أناس قادرين على التواصل عبر إشارات متماثلة ، حاجات وتجارب مماثلة أيضا ، تسينتج أن طبيعة الضرورة ، الطبيعة التى يمكن إيصالها بسهولة ،أى القدرة على أن نعيش فقط تجارب عادية ومشتركة قد فرض عليها أن تكون الإكراه الأكثر عمومية من بين جميع الإكراهات التى أثقلت كاهل الإنسان الناس العاديون ، الناس الذن يتشابهون فيما بينهم ، كانوا ولا يزالون الرابحين النخبة ، الناس الأكثر رهافة ، الأكثر تفردا ، والذين يصعب فهمهم يظلون غالب الأحيان وحيدين ، يستلمون للأحداث بفعل انعزالهم وقلما يدومون ويستمدون لا بد من قوة مضادة هائلة كى تتصدى لهذا التقدم الطبيعى جدا ، والتقدم فى التشابه تقدم يحصر الوجود البشرى فى المتشابه ، فى العادى . فى السطحى المألوف فى القطيعى فى المشترك .

بمقدار ما يلتفت البسيكولوجى ، البسيكولوجى - بالولادة ، والعراف المرصود للنفوس ،إلى الحالة الاستثنائية وإلى الناس غير العادين ، بمقدار ما يخاطر بالخناق من الشفقة والعطف ، وبمقدار ما يحتاج بسيكولوجى آخر إلى القسوة والرصانة فشل الناس المتفوقين ، غرق الأنفس المنحوته وفق نموذج استثنائى هذه هى القاعدة : من المرعب أن تبقى هذه القاعدة ماثلة باستمرار أمام الأعين الألم المستمر للبسيكولوجى الذى اكتشف الفشل ويكتشف باستمرار - وفى كل مكان تقريبا عبر مسيرة التاريخ - حالة «الخسرات» التى ترقد داخل قلب إنسان النخبة وهذا «الفوات للآوان» الأبدى بكل معانى الكلمة - تقول هذه الألم ربما يقوده إلى الانقلاب بمرارة ضد مصيره الخاص وإلى محاولة تدمير نفسه

و«إفنائها» أيضا نلاحظ عند جميع البسيكولوجيين ميلا وإيثارا لمخالطة الناس العاديين الرصيينن ، الأفراد الذى لا يلبى حاج إلى الاشفاء والنسيان . إلى التهرب بشكل ما من حدوساتهم ومن غزواتهم داخل النفوس ومما ألقته «مهنتهم» على ضميرهم يخاف البسيكولوخى من ذاكرته الخاصة ؛ وتتركه أحكام الآخرين بلا صوت : هادئا يستمع إليهاتمجد ، تعجب ، تحب ، تعظم ، بينما يكتفى هو بالنظر ، أو يخفى ذهوله موافقا على عظمة أى رأى سطحي وقد تصل مفارقة حالته إلما حد مرعب ، فيرى الجماهير ، الناس المثقفين ، والمتحمسين البسطاء يدفعون ضريبة كبيرة من التعظيم فى سبيل الأشياء التى يعلم أن يزدريها ، ضريبة هذا التعظيم الذى يتوجه إلى «العظماء» إلى كبار من جميع الأجناس والذين بسببهم نبارك الوطن ، والأرض ، الكرامة الإنسانية ، والذات ونعلم الشباب أن هؤلاء قدوة لا تباع والاحتذاء ومن يدرى ، لعل الظاهرة قد حدثت فى جميع الحالات المعتبرة : الجماهير تعبد إلها ، و«الإله» لم يكن فى العمق إلا صيحة تعيسة كان النجاح دوما أكبر الكذابين ، - و «العمل الفنى» نفسه نجاح رجل الدولة الكبير ، والفاتح ، والمبدع يظهرون مقنعين بإبداعاتهم لحد أنهم لا يعرفون بسببها الأثر الفنى أثر الفنان ، أثر الفيلسوف هو الذى يخلق ممن خلقه أو يعتبر كذلك «العظماء» فى النهاية - وكما يتم تكديمهم - رابسودات (قصائد ملحمية كان ينشدها رواة محترفون) صغيرة ومزعجة النقود الميفة هى التى تسود فى عالم القيم التاريخية هؤلاء الشعراء الكبار ، بايرون ، موسيه ، بو ، ليوباردى ، كليست ، غوغول ، لنعتبرهم كما هم أو كما يجب أن يكونوا - رجال اللحظة التى تمر - اندفعا عيون حسيون ، فاسقون ، صبيانيون ، عبثيون ، سريعون فى منح ثقتهم وفى نزعها ، لهم النفوس تريد إخفاء تصدعها الداخلى ، وبأعمالهم الفنية ينتقمون ينتقمون من رسخ داخلى ، متعطشون فى طيرانهم إلي إطفاء ذاكره وفيه جدا يضلون فى حمأة الفجور لحد أنهم يشبهون النيران اللعوبة التى تتسكع حول المستنقعات ، لحد أنهم يأخذ من اللهب أقنهة لهم - وقتها يسميهم الشعب مناليين - هم أنهم يأخذون من اللهب أقنعة لهم - وقتها يسميهم الشعب مناليين هم غالبا فى صراع ضد قرف طويل

، ضد شبح مخيف من الشك يجعلهم يرتعدون من البرد ، يجبرهم على الذل بعد المجد وعلى أن يلعقوا من فوق أيادى ماديمهم السكارى «الإيمان بهم» أى الإيمان الذى يفتقرون إليه : – أليس هؤلاء الفنانون الكبار – ومعهم العظماء بشكل عام – عذابا ، ألما بالنسبة إلى من عرفهم واكتشف سرهم ! هكذا ندرك كيف أن النساء، وبما لديهم من قدرة الرؤية فى عالم الألم ويميلهن إلى المساعدة والانقاذ غمرن هؤلاء الرجال بحنان لامتناه ، بإخلاص لا يعرف جدا إخلاص لا يستطيع الجمهور – والجمهور يعظم ويمجد قبل كل شيء – أن يفهمه بل يثقله بتأويلات فضولية فيها كثير من المحاباة إن حنوا من هذا النوع يخدع بسلطته وقدرته ؛ فالورأة نريد التصديق بأن الحب يستطيع كل شيىء – وهنا تكمن خرافتها الخاصة للأسف ، من يعرف القلب البشرى يكتشف أن الحب الأكثر إخلاصاوالأكثر عمقا فقير ، مجرد مغرور ، أعمى ، أقدر على الهدم منه على الانقاذ ! لعل الاسطورة التى تحيط بحياة المسيح تخفى حالة من الحالات الأكثر ألما لشهيد ولدته معرفة الحب: شهيد القلب الأكبر براءة والأكثر تعطشا، الشهيد الذى لم يكن أى حب بشرى قادرا على اشباعه والذى كان يطلب بأن يحب وأن يكن محبوبا ولا شييء آخر كان يطالب بذلك بشدة ، بجنون ، بغضب على الجميع الذين كانوا يرفضون أن يقدموا له حبهم – حكاية كائن بائس متعطش للحب دوما ، كائن وجب عليه خلق الجحيم كما يرسل إلى هناك الذين رفضوا أن يحبوه وجب عليه – وبعد أن تعرف على الحب البشرى أكثر – أن يخلف إلهاكه حب وقدرة على الحب يزدرى الحب البشرى لأنه بائس جدا وجاهل جدا إن من يشعر هكذا ، من لديه هذه المعرفة حول الحب ، يبحث عن الموت لكن هل يناسب أن نتيه فى هذه التأملات المؤلمة – إلا إذاكنا مجيدين على ذلك ؟ –

أيها المسافرة من أنت ؟ أراك تعبر الطريق بلا ازدراء ولا حب ، ولا يمكن فهم عينيك إنك رحب وحزين مثال مسبار يصعد من الأعماق إلى الضوء متلهفا إلى الغوص من جديد – عماذا كنت تبحث فى أعماق مماثلة ؟ صدرك لا يتنهد ، شفتاك تخفيان قرفهما لم تعد يدك مسك إلا ببطيء من أنت ، ماذا فعلت ؟ كنت . قل لى ماذا ترغب ، ما الذى يرممك

ليس لك إلا أن تتكلم ، وأقدم إليك ما أملك - أن أرمم نفس ؟ أن أرمم نفسى ؟ آه أيها الفضولى ، ماذا تقول ؟ لكن اعطنى أرجوك - ماذا ؟ قناعا زائدا ، قناعا ثانيا -

الناس الذين يسكنهم حزن عميق يخونون أنفسهم عندما يشعرون بالسعادة : ينقذفون على السعادة وكأنهم يريدون سحقها وخنقها من الغير - لكن للأسف ، يعرفون جيدا إنها تفلت منهم «هل سوف أصدق ؟ لكن أطالب بأن أصدق : لم أفكرنهائيا لحسابى إلا فى حالات نادرة جدا وعندما كنت مجبرا على ذلك . وربما بلا اهتمام بـ «الشىء» دوما وأنا جاهز للابتعاد عن نفسى دون أن أومن بالنتيجة يعود ذلك إلى احتراس بلا حدود من امكانية معرفة الذات بالذات ، احتراس قادنى إلى التحقق من تناقض فى مفهوم «المعرفة المباشرة» الذى يسمع المنظرون لأنفسهم باستخدامه واستهلاكه هذا ما أعرفه حول نفسى لا بد أن هناك نوعا من النية السيئة فى هذا الرفض للإيمان بشىء محدد لحسابى هل هناك أحجية ؟ ربما ، لكن ولحسب الحظ ، لست أنا الذى يجب عليه حل هذه العقدة لعلها تكشف عن النوع البشرى الذى أنتمى إليه ، لكن الكشف لا يتوجه إلى وهذا ليس من أجل أن أزعج نفسى»

أعظم الأحداث وأعظم الأفكار - لكن أعظم الأفكار هى بالتحديد أعظم الأحداث - تكشف عن نفسها فى زمن متأخر دوما الأجيال المعاصرة لهذه الأحداث لا تعيشها ، لكن تمر إلى جانبها وشيىء مماثل يحدث فى مملكة النجوم نور النجوم الأبعد هو الذى يصل إلى الناس آخر الأشياء ، وقبل أن يصل إليهم ينكرون أن يكون هناك نجم فى الأعالى «كم عصر يلزم كى يفهم مفكر ما ؟» هذا معيار آخر أيضا ، ينتج أن نقيم تراتبية فى المجال الذى إليها فى مجال الذكاء والنجوم .

فى كتابات متواحد أعزل نلمح شيئا من صدى الصحراء شيئا يذكر بوشوشة العزله بيقظتها الشرسة حتى فى كلامه الأكثر عنفا ، وحتى فى صراخة ، ترن طريقة جديدة - أكثر خطرا - فى الصمت - وفى فرض الصمت على كلامه هذا الذى استمر سنة بعد سنة ، وليلا نهارا فى نقاش مع مع نفسه ، هذا الذى وفى كهفة - الذى يمكن أن يكون دهليزاً

حلزونيا لكن أيضا منجم ذهب - أصبح دب هذا الكهف ، أو باحثا عن كنز ، أوحارس كنز يشبه التنين هذا الانسان سيرى شيئا لا يمكن إيصاله ، شيئا متجهما سيجمد الذين يمرون فى مداه لا يصدون المتوحد أن فيلسوفا واحد - مع أن الفيلسوف يبدأ دوما بكونه متوحدا - قد عبر فى كتبه عن آرائه الحقيقية والنهائية : إلا نكتب الكتب كى نخفى ما نخفى فى دواخلنا ؟ يشك فى أن الفيلسوف يستطيع امتلاك آراء «نهائية وحقيقية» يتساءل إن كان لا ينفتح أو لا يجب أن ينفتح - وراء كل كهف - كهف آخر أعمق - إن كان لا يمتد عالم أوسع ، عالم أغرب وأغنى تحت السطح الظاهر إن كان لا ينحفر عمق تحت كل عمق ، تحت كل «أساس» للفكر كل فلسفة هى فلسفة واجهة، ذلك هو حكم المتوحد : «هناك شىء اعتبارى فى كونه توقف هنا كما ينظر إلى الأمام واصفا معدله جانبا . وفى ذلك كثير من الحذر» كل فلسفة تخفى أخرى كل رأى محبا أيضا كل كلام قناع أيضا .

المكر العميق يخاف أن يفهم أكثر من خوفه أن يساء فهمه فى الحالة الثانية قد يصاب فى كبريائه قليلا ، لكن فى الحالة الأولى سيقول له : «لماذا تريدون أن تعيشوا بشكل قاس كما أعيش أنا أيضا ؟»

الفيلسوف إنسان يشعر ، يرى يسمع ، يرتاب ، يأمل ، يحلم بلا توقف بأشياء خارقة أفكاره الخاصة - والتى هى أحداث بانها - تقرع من جميع الجهات ، من الخارج ، من الأعلى ، ممن الأسفل تقرع كضربية العاصفة . قد يكون هو نفسه عاصفة حبلى ببروق جديدة إنسان قدر تدوى السماء حوله ، ومن حوله تنشق الأرض يعيش فى جو من التخمين والبشارة : الفيلسوف كائن وللأسف ، يهرب أمام أفكار باستمرار ويخاف من نفسه - غير أنه فضولى جدا وهو من الفضولية بحيث «لا يعود إلى نفسه» إلا نادرا .

